2271
.221
.361
.1947

2271.221.361.1947
al-Ḥaffār
al-Mamlakah al-Muttaḥidah

DATE ISSUED	DATE DUE	DATE ISSUED	DATE DUE

Princeton University Library
32101 072538091

وجيه المغار

المملكة المتحدة

مشاهد ودراسات

الطبعة الثانية

دمشق — حزيران ١٩٤٧

٨٨٢٩

وجيه الحفار

al-Haffar, Wajih

al-Mamlakah al-Muttahidah

المملكة المتحدة

مشاهد ودراسات

الطبعة الثانية

دمشق — حزيران ١٩٤٧

2271
.221
.361
.1947

اهداء الكتاب

إلى حضرة صاحب الفخامة رئيس الجمهورية السورية

وزعيم البلاد شكري القوتلي

1-3-65 1985

مقدمة الطبعة الثانية

قلت في مقدمة الطبعة الاولى من هـذا الكتاب ، ان هذه رسائل كتب اكثرها في بريطانية العظمى ، ونشرت في جريدة «الانشاء» على التتابع ، ضننت بها ان تذهب مع الاعداد المتناثرة من الجريدة السيـارة ، فجمعتها في هذا الكتاب لاقدمها الى القراء العرب ثمرة من ثمرات البحث والدراسة ، واثراً من آثار الاستطـلاع والمشاهدة . ولم اكن ارمي من وراء جمعها يوم جمعتها الى دعاية اقوم بهـا ، ففكرة الدعاية لم تقم في نفسي يوم كتبت هذه الرسائل ، وانما قصدت من وراء جمعها فائدة يمكن ان يجنيها القراء ، وخطة يمكن ان يستلهمها الحاكمون في هذه البلاد من اوضاع دولة راقية كبريطانية العظمى .

ويسرني ويملأ قلبي سروراً ان هذه المجموعة من الابحاث والرسائل نالت رضى الجمهور ، وانها فهمت على حقيقتها دعوة للنهوض واستحثاثاً للهمم على الاخذ باسباب النهضة والنظـام الذي يصل بالدولة الى مراقي العز ومطارح السؤدد ، وتعزيزاً للشعور الاستقلالي في نفوس الشعب ، بامثلة يحتذيها في نهوضه ويقتبس منها طرائق حياته .

ثم انها نالت رضى الجمهور ، وكتب الرحلات من شأنها ان تلذ القارئ، لانها تحمله الى آفاق بعيدة يستمريء فيها المتعة بشؤون الحياة ، والاطلاع على ما عند الغير من طرائق العيش .

وها انا ادفع بالطبعة الثانية الى المطبعة مع اضافات قليلة على الطبعة الاولى ، يحدوني الرجاء بان تكون مثل سابقتها ، موضع عطف جمهور القراء .

٢٠ حزيران ١٩٤٧

وجيه الحفار

صور ومشاهد

بيروت في ٢٧ كانون الاول ١٩٤٦

ليس ما اكتبه في هذه الرسائل بحثاً منسجماً متتابعاً ، فانما البحث في اية ناحية من نواحي الحياة العامة في بريطانيا العظمى التي دعينا الى رحلة في ارجائها ، تقتضي له مراجع كثيرة ودراسات طويلة ، واستقراء واستنتاج لا يتسنيان لمن يزور الجزر البريطانية كالطيف ، متنقلا بين شمالها وجنوبها وشرقها وغربها في شهر واحد .

ولكن هذه الرسائل صورة لبعض المشاهد ، على ان انقلها على حقيقتها ، وان انير جوانبها ليستطيع القارئ ان يصيب من نقلها بعض الفائدة ، فاذا وفقت الى حسن النقل بعد دقة الرؤية والاختبار ، كان ذلك بمثابة الدليل على انني لم اضع وقتي سدى ، ولم يذهب جهدي عبثاً .

وفي بريطانيا العظمى في كل حين ، مجال فسيح امام من يتقصد البحث ، وفيها في هذه الايام مشاكل كثيرة ، يمكن ان تدرس على انها دستور عمل لدولة عظمى ظفرت في هذه الحرب وتريد ان تبقى ظافرة فيما بعد الحرب ، وان تحتفظ بمكانها في التوجيه السياسي والاقتصادي في العالم ، ضمن هذا الصراع العنيف القائم بين الدول الكبرى الثلاث المنتصرة الان .

على ان هذه المشاكل لن يكون لبحثها مكان فسيح ، لانها تستلزم كما قلت تعمقاً في الدرس ، واستقصاءاً لاسرار وحقائق ، لا يمكن استجماعها في الوقت القصير الذي نقضي اكثره متنقلين . وحسبي من هذا ان اطوي رسائلي على مشاهد ، قد تتتابع في بعض الاحيان بدون رابطة بينها ، تتخللها مع ذلك بحوث منسجمة لطائفة من شؤون

الساعة الحاضرة ، وطائفة اخرى من حقائق الاوضاع السياسية والخلقية في بريطانيا، بذت بها غيرهـا من الدول ، وتفوقت على غيرهـا من الشعوب ، واستوت على عرش العظمة والسيادة والخلود مدى قرون .

سبقتنا الى بريطانيا العظمى في الصيف الماضي، بعثة من زملائنا الصحفيين في سورية ولبنان ، كانوا اوفر حظاً منا من حيث انهم زاروا الجزر البريطانية في نجوة من البرد القارس ، الذي يمكن ان يحول في كثير من الظروف بيننـا وبين وضوح المشاهد ، ولكن هذه الرحلة الثانية نظمت تنظيما ادق ، ورسمت خطوطها بقدر أوفى من العناية ، ولسوف يظهر اثر هذه العناية وهذا التنظيم في اطوار الرحلة ومراحلهـا، كما ظهر في مقدماتها الاولى ، أي في البرامج والخرائط والتعليمات التي سلمت الينا ، وفي المعلومات الكثيرة التي وضعت في متناول ايدينا ، حتى لا تفوتنا نحن اعضاء البعثة شاردة او واردة ، وحتى نكون على بينة من كل امر كلما سـاقنا البرنامج الى مكان من الامكنة هناك .

يومان في القاهرة

القاهرة في ٢٨ كانون الاول ١٩٤٧

وصلنا القاهرة على متن طائرة اميركية من نوع «دا كوتا» تابعة لشركة الخطوط الجوية اللبنانية للشرق الاوسط ، قطعت المسافة بنا الى القاهرة في ساعتين ؛ وكان في وداعنا في مطار بيروت — او على الاصح في وداع زملائنا اللبنانيين — دولة رئيس الوزارة اللبنانية السيد رياض الصلح وجمهور كبير من الناس. اما اعضاء بعثتنا فهم من

في مطار بيروت امام الطائرة اللبنانية التي اقلت الوفد الى القاهرة

دمشق الاستاذ نصوح بابيل صاحب جريدة «الايام» و كاتب هذه السطور ، ومن حلب الاستاذ شكري كندر صاحب جريدة « التقدم » ، ومن بيروت الاستاذ سعيد فريحة صاحب مجلة « الصياد » والاستاذ زهير عسيران صاحب جريدة « الهدف »، وقد تخلف

الاستاذ اسكندر الرياشي صاحب مجلة « الصحافي التائه » ، لمرض مفاجئ ألم به يوم السفر . ويرافق الوفد اللبناني السيد اميل غصن مندوب المطبوعات والاذاعة ، ويرافق البعثة كلها الاستاذ فريد المدور مندوب المكتب البريطاني لنشر المعلومات في بيروت .

قضينا في القاهرة يومي الجمعة والسبت ، واكرم الكولونيل مارساك مدير المكتب البريطاني لنشر المعلومات في القاهرة وفادتنا ، فتناولنا الغداء معه هذا اليوم ؛ والكولونيل مارساك يعرفه السوريون جميعاً ، فقد قضى في دمشق نيفاً وسنتين ، ويعرفون اثره في حوادث العدوان الفرنسي في ايار ١٩٤٥ ، ويذكر له اللبنانيون كذلك مجهوداً قيماً في حوادث تشرين الثاني ١٩٤٣ يوم عدت السلطة الفرنسية على دستور لبنان ورجاله الرسميين ثم ارغمت على الرجوع عن عدوانها .

لم تطل اقامتنا في مصر ، فسنسافر منها في الصباح الباكر من غد على طائرة هي الخم طراز بين الطائرات الحديثة ، واذا كانت الاعراض الجوية ملائمة ، امكن ان نصل الى لندن في المساء .

المفوضية السورية في القاهرة

القاهرة في ٢٩ كانون الاول ١٩٤٦

قيل لنا ان السفر سيكون في الساعة السابعة من صباح يوم الاحد من مطار الماظة الى لندن ، وان الرحلة تستغرق اثنتي عشرة ساعة ونصف الساعة ؛ وفيما نحن في فندق متروبوليتان عند منتصف الليل ، ابلغنا نبأ هاتفي ان السفر ارجئ الى الساعة الحادية عشرة من ليل الاحد ، بسبب الاعراض الجوية . وقد قضينا يوم الاحد في القاهرة ، وسمح لنا هذا التأخير ان نقوم بواجب زيارة المفوضيتين اللبنانية والسورية . استقبلنا حضرة الوزير المفوض الشيخ سامي الخوري في المفوضية اللبنانية بالجيزة ، وتمنى لنا سفراً سعيداً ، وأوصانا بزيارته في طريق العودة الى الوطن ، فشكرناه

وانتقلنا الى المفوضية السورية في الزمالك ، فاستقبلنا حضرة القائم باعمال المفوضية الدكتور عمر الجابري والمستشار الاستاذ اسعد محفل ، ولما عرف اننا مسافرون قبيل منتصف الليل دعانا لتناول العشاء في المفوضية ، فقابلنا دعوته اللطيفة بالشكر معتذرين بضيق الوقت ، فأبى حضرته الا ان نتناول الشاي في المفوضية في الساعة السادسة مساء ، وقد حفلت دار المفوضية في تلك الساعة بكبار الصحفيين

الوفد الصحفي في المفوضية السورية في القاهرة

في مصر ، اجتمعوا على مائدة انيقة في جو من الانس الى اعضاء الوفد الصحفي المسافر الى بريطانيا العظمى يتبادلون معهم امتع الاحاديث .

عاصفة رملية تلعب بالطائرة !

وقد قيل لنا ان الطائرة التي نركب متنها الى لندن من طراز « لانكستر » ذات اربعة محركات ، وهي اقوى الطائرات المسافرة عبر البحار ، وتليها في القوة طائرات « يورك » ذات الثلاثة محركات ، ثم طائرات « داكوتا » ذات المحركين ، وهي التي

اقلتنا من بيروت الى القاهرة . وقد صادفتنا في المرحلة الاولى في طائرة « داكوتا » قبيل وصولنا الى مطار الماظة عاصفة رملية شديدة ، هي اشد مايمكن ان تصادفه الطائرات — بشهادة قائد الطائرة — فأخذت هذه القطعة الضخمة تتراقص ذات اليمين وذات اليسار ، وتعلو وتنخفض ، واوصتنا الانسة العاملة في الطائرة ان نربط الاحزمة ، وان لاتتنقل في جوانب الطائرة كما كنا نفعل طوال الطريق ، وعلت بعض الوجوه صفرة الخوف ، ولكن الطائرة التي تعد في الحقيقة — على ضخامتها — ريشة في مهب الريح ، كانت متينة مغالبة لايخشى عليها من بأس في هذه العاصفة ، ولقد وصلنا المطار والحمد لله سالمين .

ذكرت نبأ هذه العاصفة لأستدل من ذكرها على ان طائرة لانكستر التي نركبها هذه الليلة ، لايخشى منها علينا رغم سفره الليل ، ورغم طول المسافة ، ورغم تقلب البحار والممرات ، والله حافظ امين .

من القاهرة الى لندن

لندن في ٣٠ كانون الاول ١٩٤٦

حملتنا الطائرة « لانكستر » الجبارة في الساعة الحادية عشرة والربع ليلاً من مطار المـاظة ، وكانت تحمل عدا الوفد الصحفي خمسة من الضبـاط الانكليز ، وسارت في ظلام الليل تطوي مجاهل الصحراء الليبية طياً ، وقد مرت فوق العلمين ، وفوق مرسى مطروح ثم فوق السلوم وطبرق ودرنة ، كل ذلك ونحن في غفلة التسليم الاعمى ، ولما ابتعدت عن الشاطئ في اتجاه جزيرة مالطة الجاثمة في وسط البحر الابيض المتوسط ، هبت عاصفة شديدة اخبرتنا عنها الانسة المرافقة للطائرة سلفاً قبل ان تحلق في الجو ، فارتفع الطيار الى علو شاهق لتجنب التيارات المخيفة التي اخذت تقذف بالطـائرة في مختلف الاتجاهات . وتنبه الركاب جميعاً واخذتهم الرعشة ، ولم يكادوا يطمئنون الى توازن الحالة حتى اخذتهم جميعاً نوبة من الدوار ، شملت حتى الانسة التي وجـدت للعناية بالمسافرين ، ذلك لان الطائرة ارتفعت الى ثمانية عشر الف قدم لاجتناب العاصفة ، الى الطبقة التي تقل فيها الاوكسجين ، وكان واجباً ان ينبه المسافرون الى اخذ اقنعتهم المهيأة لهـذا الغرض ، ولما طرحهم الدوار اسرع احد رجال الطـائرة الى الركاب فوضع لهم اقنعة الاوكسجين بعد فوات الوقت ، ثم مضت دقائق معـدودة فاذا نحن في مطار مالطة !

في جزيرة مالطة المركز الحربي البريطاني الخطير

نزلنا مالطة في الساعة السادسة والربع ، بحسب التوقيت في الشرق الاوسط ، أي بعد مسير سبع ساعات كاملة ، ثم انتقلنا بالسيارة الى مركز استراحة الشركة البريطانية

لتناول الطعام واخذ قسط من الراحة في هذه الجزيرة التي لمع اسمها وتألق نجمها في الحرب العالمية الاخيرة ، وقذفت بالقنابل والحمم بشكل لم يسبق له مثيل ، وتهدم خمسة عشر الف منزل من منازلها ، وقتل الف وخمسمائة شخص من سكانها ، واصيب ثلاثة آلاف وسبعمائة بفعل هذه القنابل. وتتألف هذه الجزيرة في الواقع من عدة جزر صغيرة يشهدها من يحلق في سمائها ؛ وفيها مدن وقرى كثيرة ، وفيها جامعة ومائة وستون مدرسة ، واهلها خليط من اديان مختلفة ، يتكلمون الانكليزية ، ولكن المالطية تتصل بالايطالية والعربية ايضاً .

هذه الجزيرة مركز حربي عظيم الاهمية ؛ وهي محطة طيران مدني هام اليوم ، ويذكر الذين تتبعوا انباء الحرب ان مالطة كانت هدفاً لهجمات المحور الجوية العنيفة ، وبصمودها لهذه الهجمات تبدل وجه الحرب ، فكانت هزيمة الالمان والطليان في العلمين ، اثراً من آثار بقاء مالطة مركزاً لعرقلة التموين المحوري الى ليبية ، وكانت مالطة في ايدي الجيوش البريطانية مؤذنة ببداية النهاية لدول المحور ، وقد استحقت فعلا السيف الذهبي الذي اهدي اليها اعترافاً بأثرها الفعال في هذه الحرب .

من مالطة الى لندن في مرحلة واحدة

كان مقرراً في منهاج الرحلة الجوية ان نقضي ساعة واحدة في مالطة ، ولكن القائد قدر ان الركاب متعبون فمدد اجل الراحة ساعة اخرى ، وركبنا الطائرة من مالطة في الساعة الثامنة حسب توقيتنا في الشرق ، وكانت الشمس تطل من الافق ، وسارت بنا باسم الله مجريها ومرساها في جو مشرق بهيج ، ومرت وشيكا في سماء جزيرة صقلية ، التي تبعد ٥٨ ميلا عن مالطة ، ثم في سماء كورسيكا الفرنسية ، التي كانت في يوم من الايام محور نزاع عنيف بين ايطالية وفرنسة ، وبعد قليل حلقنا فوق الساحل الفرنسي بالقرب من مرسيلية ، ثم فوق « الماسيف سنترال » وكانت قراه ومزارعه مغطاة بالثلوج ، ثم مررنا الى الغرب من باريز فوق « دييب » التي اشتهرت في الحرب بغارة الكوماندوس الانكليز . ولم ير الرفاق المسافرون في كل ما حلقوا فوقه من اراضي فرنسة منظرا يلفت النظر لاختلافه عن مناظر بلادنا ، بل ان اكثرهم اكدوا ان

قرى لبنان اجمل تنسيقاً واوفر عنايـة ، ومزارع سورية ادق تنظيماً واكثر اغراءا وجمالا : تلك هي النظرة الجوية الاولى الى الارض الفرنسية ، وربما تسنى لنا ان نشهد بعض المدن والمزارع عن كثب .

كانت الطائرة ترتفع في اغلب الاحيان الى علو ١٢ الف قدم في المرحلة الثانية بين مالطة ولندن ، وكنا نتحدث ونشرب القهوة والشاي ونحلق ذقوننا وندخن وكأننا في صالة استقبال ، ثم استعدينا لعبور المانش ، فقد قيل لنا انه ممر للرياح ، وان الطائرة تحتال بالارتفاع للتغلب على عواصف هذا الممر ، ولكن شيئاً من ذلك لم يكن ، فقد تراءى لنا بعد دقائق من التحليق فوق المانش شاطيء امتلأ بالاحواض والابنية البديعة التنسيق ، والمزارع الجميلة التنسيم ، والجداول المنسابة بنظام هنـا وهناك ، قلنا انه الشاطيء الانكليزي على التحقيق ، وكانت الشمس المشرقة والجو الصافي يغريانا بجو الشرق وشمسه ، وبعـد قليل بدت من الطائرة مصانع وشوارع وأحياء وابنية طال وقت اجتيازها رغم سرعة الطائرة ، وهبطت الطائرة الى ارتفاع قليل بدت معه حركة السيارات والاوتوبوس والمارة ، كل ذلك والشمس مشرقة ، والضباب لا اثر له ، والجو دافيء في الطائرة .

اللحظات الاولى على الارض البريطانية

هبطنا في مطار لندن الفسيح ، وهو لا يزال قيد الانشاء ليكون اعظم مطـار في بريطانية ، وليكون مستعداً لاستقبال مائة وستين طائرة في الساعة في مدارجه الستة التي يبلغ طول اكبرها خمسة آلاف يرد ، ويستطيع ان يستقبل طائرة بريستول « بربازون » التي تزن مائة وعشرة اطنان ، وكان في استقبالنا في المطـــار حضرة الجنرال بولوك رئيس دائرة نشر المعلومات في وزارة الخارجية ، ومن معاونيه المستر فيتز جرالد ، والمستر باتنام ، والمستر فيدلر وغيرهم ، وحضرة الاستاذ كميل شمعون الوزير المفوض للجمهورية اللبنانية في بريطانيا العظمى ، والاستاذ فيكتور خوري مستشار المفوضية ،

وفريق من موظفي هـذه الدوائر والمصورين السينمائيين . ولما نزلنا من الطـائرة، حيانا المستقبلون ، وكانت آلات السينما التابعة لدائرة نشر المعلومات تسجل مشـاهد

الوفد الصحفي ساعة وصوله الى مطار لندن بين مستقبليه

—o—

الوصول ، وانتقلنا الى ردهة المطار حيث دوائر الجوازات والجمرك والمراكز الصحية، وفي جولة قصيرة طابعها النظام ، النظام الذي لامثيل له والذي تتولاه موظفـات ناعمات وموظفون على غاية من التهذيب والانسجام ، انتهت جميع المعاملات الضرورية: هذا يؤشر على الجواز ، وهذه تتناول تذكرة السفر بالطائرة ، وتلك تأخذ منـا اوراق التصريح التي كتبناها قبل نزولنا من الطائرة وتناولنا الشهادة الصحية ؛ وآخر يؤشر على الحقائب التي انتقلت كلها من الطـائرة الى مركز الجمرك ثم انتقلت بسرعة الى الفندق . ودعينا بعدئذ لتناول الشاي والقهوة والسـاندويش والحلوى في المطار ، ثم رافقنا الجنرال بولوك ومساعدوه ووزير لبنان ومستشاره الى فندق « دورشستر » ، احد فنادق الدرجة الاولى في لندن ، حيث نزلنا ضيوفاً على الحكومة

البريطانية ، وجاء الوزير المفوض للجمهورية السورية الدكتور نجيب الارمنازي الى الفندق في هذه الاثناء لتحية الوفد .

وصلنا لندن والشمس مشرقة ، والطقس عادي لايختلف عن طقس دمشق في شيء ؛ ولعل الضباب الذي يلازم لندن في اكثر الاحيان هو الفارق ، والبرد الذي حملنا التحدث عنه على حمل امتعة كثيرة ثقيلة ، لايزيد اليوم عن برد المدن الباردة في سورية ، والظاهر اننا وصلنا بعد زوال موجة من البرد الشديد والصقيع اجتاحت اوربة منذ عشرة ايام ، والظاهر ايضاً ان شهر كانون الثاني في انكلترة خير من الشهر الذي يتقدمه والشهر الذي يليه .

نحن الآن في ضيافة كريمة ، اعطيت التعليمات ان تبذل لنا فيها كل عناية ، ووضعت سيارتان على باب الفندق لتنقلاتنا من الصباح الى المساء ، هذه السلسلة من مظاهر العناية في دمشق وبيروت والقاهرة ولندن ، نقابلها جميعاً بالثناء والامتنان والشكر الجزيل .

معرض «بريطانية قادرة على صنع ذلك»

لندن في ٣١ كانون الاول ١٩٤٦

اصبحنا اليوم والطقس يختلف عنه بالامس برذاذ من المطر وقايل من الضباب يغشى المدينة ، اما الطقس فيغلب عليه الدفء ايضاً . وفي البرنامج ان يجتمع الوفد الصحفي في المركز الرئيسي لدائرة نشر المعلومات لمناقشة برنامج الرحلة ، واقتراح ما يمكن ان يعن للوفد من الملاحظات على المنهاج اضافة وحذفاً . وقد ارسل الينا منذ اسبوعين ونحن في دمشق منهاج لأيام الرحلة الثلاثين يبدأ من يوم ٢ كانون الثاني ١٩٤٧ ، ثم تقدم موعد الرحلة بضعة ايام ليتسنى لنا ان نحضر حفلات عيد رأس السنة الجديدة في هذه العاصمة الكبرى ، فمكن هذا رجال دائرة نشر المعلومات في وزارة الخارجية من اضافة زيارات كثيرة على البرنامج الضخم الذي أعدوه من قبل .

تناقشنا بالبرنامج في هذا الصباح ساعة ونصف الساعة ، وعدنا الى الفندق لتناول الطعام ، ومما اقر من التعديلات ان نشاهد بعد الظهر معرض « بريطانية قادرة على صنع ذلك » ، وهو آخر يوم يستقبل المعرض فيه الجماهير ، بعد ان افتتح في يوم ٢٤ ايلول الماضي في « متحف فيكتوريا والبرت » ، فذهبنا اليه في الساعة الثانية والنصف ، وتنقلنا في ارجائه ساعة ونصف الساعة ، وشهدنا كل مايصنع في بريطانية — ويصنع فيها كل شيء — وجلنا بين جماهير لاتحصى من زوار المعرض نساء ورجالا وشباباً وفتياناً ، فكان هذا المعرض في نظرنا معرضين : اولهما ما يمكن ان تصنعه بريطانيا من الحاجات ، والثاني هذ الحشد الذي يمثل مدينة لندن بمختلف طبقات السكان فيها . وقد اغلقت ابواب المعرض بعد ساعتين من زيارتنا وسجل من الزوار ١،٤٣٢،٣٦٩ زائراً .

هؤلاء الناس الداخلون الى المعرض ينتظمون في بابه صفاً متتابعاً لايزاحم بعضهم بعضاً بالمناكب ، فاذا مادخلوا على كثرة مافي المعرض من جماهير لاتحصى ، كان الهدوء طابعهم ، وكان التهذيب صفتهم البارزة ، فاذا اصاب ذراع احدهم ذراعك بادر الى الاعتذار حالا « أنا متأسف ! » ، واذا كنت امام مكان للعرض انتظرك القادم بعدك الى ان تبرح المكان . هذا النظام وهذا التهذيب وهذه النعومة في معاملة الناس بعضهم بعضاً ، لاتجدها في عاصمة من عواصم الدنيا ، فمن خصائص الشعب البريطاني هذا الحب للنظام والتفاني في سبيله والصبر على مقتضياته ، وهـذا الادب الجم في المعاملة والاتصال والاخذ والعطاء .

في زيارة المفوضية السورية

كان علينا بعد هذه الجولة في المعرض ان نزور المفوضيتين السورية واللبنانية قصدنا اولا الى المفوضية السورية في دارها الجديدة الانيقة ، واستقبلنـا حضرة الوزير المفوض الدكتور نجيب الارمنازي والسيد سعيد رعد سكرتير المفوضية ، أما السكرتير الاخر السيد جورج طعمة فهو في اجازة بدمشق ، وتناولنـا الشاي عند الوزير . والمفوضية السورية الجديدة من اجمل الدور وأفخمها وأجمعها لافخر الرياش ، ابتاعها الدكتور الارمنازي وكانت صفقة موفقة الى ابعد حدود التوفيق ، ودفع الثمن من ماله الى ان تمت المعاملات المالية الرسمية وتم ارسال الاعتمادات لشراء الدار وما يتبعها من اثاث . والمفوضيات العربية في لندن — ماخلا السفارة المصرية التي تملك قصراً من افخم القصور — تغبط المفوضية السورية على مااحرزته من نجاح في اقتناء هذه الدار .

ونسمح لانفسنا ان نهمس في آذان المسؤولين بهذه المناسبة ، ان المفوضية السورية في لندن بحاجة الى عدد اكبر من الموظفين ، وان العدد الضخم من موظفي المفوضية والقنصلية في القاهرة اجدر به ان يكون هنا في مركز الحركة السياسية الدولية في العالم .

في زيارة المفوضية اللبنانية

انتقلنا الى المفوضية اللبنانية ، فاستقبلنا حضرة الاستاذ كميل شمعون الوزير المفوض ، والاستاذ فيكتور خوري مستشار المفوضية ، والاستاذ نديم دمشقيه المستشار التجاري ، والسيد يوسف شديد السكرتير ، والسيد فؤاد رضا الملحق: بمجموعة من الشباب يشعون نوراً حول الوزير المفوض ، ويشيعون النشاط والحركة في المفوضية ، على حين يجد وزيرنا المفوض نفسه في وحدة مؤسفة ، وفي حالة من جمود الحركة تفقد العمل السياسي كثيراً من اثره وفعله ، ولو انصفت وزارة الخارجية في دمشق لاختارت لمفوضيتنا في لندن خمسة من آلمع الشباب لمعاونة الوزير في اعمال المفوضية المختلفة المتشعبة .

على اننا في هذه العاصمة ، نستطيع ان نرفع الرأس عالياً بالوزيرين وبالمفوضيتين ، وان نغتبط للتعاون المخلص الوثيق بينهما في العمل لصالح سورية ولبنان ولصالح العرب جميعاً . ففي هذه المدينة الكبرى شعرنا — لأول مرة — ان سوريه ولبنان بلد واحد بالمصالح والآمال والاهداف ، وان كل مايعترض علاقات البلدين من الشؤون الصغيرة هناك ، يزول هنا امام مقتضيات المصلحة السياسية الدولية الكبرى ، وامام الشعور العربي الذي يغبطنا ويملأ نفوسنا سروراً ان كميل شمعون وفيكتور خوري يحملانه بمثل القوة وبمثل الحرارة التي يحمله بها الدكتور نجيب الارمنازي .

ان الوزيرين السوري واللبناني يشغل بالهما في هذه الايام امر واحد ، هو مؤتمر لندن لبحث مشكلة فلسطين ، وهما يستعدان لهذا المؤتمر الذي نرجو ان يعلن فيه الحل العادل لقضية فلسطين المصابة بالداء اليهودي العضال .

سهرة ليلة العام الجديد في لندن

تهيأنا بعد ذلك لسهرة رأس السنة الجديدة ، فدعونا الوزيرين المفوضين ، ودعونا المستر فيدلر كذلك لفندق دورشستر . كان الفندق مقصد الرواد من الطبقة الممتازة ، مئات السيارات حملت عدداً كبيراً من السيدات والرجال بالبسة السهرة التي بدأت تظهر في الاماكن العامة منذ شهر واحد بعد الحرب ؛ الانوار تشع في جوانب الفندق

صالاته الواسعة الشاسعة ، المتناهية في الاتساع والضخامة ، وتشع في الوجوه الضاحكة ايضاً ، والسيدات باللباس نصف العاري يحملن ألواناً من الجمال الانكليزي الذي لا مثيل له .

قضينا جزءاً يسيراً من السهرة في « دروشستر » ثم ركبنا السيارات الى الاحياء البعيدة من لندن ، حيث يأنس العمال الى ليلة العام الجديد ، فشهدنا الغناء والرقص في فناء المشارب المزدحمة بالخلائق ، متنقلين من هنا الى هناك الى هنالك ؛ ثم قصدنا قبيل منتصف الليل ساحة كاتدرائية القديس بولس ، وكان امام الساحة عشرات الالوف من الناس ما برحت جموعهم تتقاطر بالسيارات والاوتوبوس حتى عدت السيارات بالمئات ، جاؤا جميعاً لينشدوا في الهواء الطلق ذلك النشيد الاسكتلندي القديم « ذكريات الماضي وذكريات الاصدقاء » الذي ينشده كل انكليزي ساعة ينتصف ليل رأس السنة ، وكانت السماء صافية الاديم ، والقمر في كبد السماء يرسل اشعة باهتة ، والطبيعة في جملتها سادرة ، والبرد يحتمله الجميع بأبسط اللباس .

عدنا الى دروشستر ، حيث اعد برنامج اسكتلندي خاص من الموسيقى لساعة دخول العام الجديد ، فشهدنا جموع الطبقة الراقية كيف تخلع العذار في تلك اللحظة الفاصلة بين السنة المنصرمة والسنة القادمة ، واشتركنا في فرح الجموع بوداع العام المنتهي : ليلة من ليالي العمر في انكلترة لا تشبهها الا ليلة عيد الميلاد ، وقد فاتتنا هذه ولم تفتنا اختها .

كذلك انتهت سنة ١٩٤٦ وبدأت سنة ١٩٤٧ ، ويقيني ان السنة الجديدة ستكون سنة سعادة ورخاء للعالم اجمع ، وهي لبريطانيا منذ بدايتها سنة انقلاب خطير في اكثر الاوضاع الموروثة من الحرب التي تصرمت حبالها وتركت من آثارها ما هو قمين بدعوة العالم الى التفكير في مصائر الشعوب ، الغالب منها والمغلوب ، لقطع دابر الحروب ؛ وازالة اسباب النزاع ووسائله بقواعد للسلم متينة الاواصر قوية فعالة .

برج لندن

لندن في ١ كانون الثاني سنة ١٩٤٧

في هذا اليوم الاول من العام الجديد ، نتوجه الى البريطانيين الذين تشرق علينا شمس هذه السنة في عاصمتهم ، والى العرب جميعاً في انحاء العالم العربي ، باطيب التمنيات ان يجعل الله هذا العام بداية عهد السعادة لهم . لقد اشرقت علينا شمس لندن بالفعل في هذا الصباح ، وتراءت من خلال الضباب قرصاً من الذهب ، وكانت تنقصها الحرارة شأنها في كل يوم ، واني لنا بالشمس الحارة في لندن في مثل هذا الشهر من السنة !

آثرنا بالاتفاق مع رجال دائرة نشر المعلومات في وزارة الخارجية ، ان نخصص هذا اليوم من ايام الراحة في منهاج الرحلة ، بزيارة بعض الاماكن التاريخيه ، فقصدنا الى برج لندن يصحبنا المستر باتنام والمستر فيدلر .

هو بناء قديم رافق تاريخ بريطانية منذ الف سنة ، بناه وليم الغازي سنة ١٠٦٦ ميلادية في البقعة التي عبر منها يوليوس قيصر نهر « التايمز » ثم اضيفت اليه ابراج كثيرة فيما بعد ؛ وقد كان مقر ملوك بريطانية ، ومثلت في ارجائه فواجع هي التي خلقت بريطانية الحديثة على مر العصور . وليس من شأن زيارة قصيرة لبرج لندن لم تستغرق اكثر من ساعة ، ان تسمح لنا بتدوين وقائع التاريخ ، بل اننا نذكر هنا بعض المشاهد الجديرة بالوصف ، ففي ناحية من القصر باب اسمه « باب الخونة » كانوا يدخلون منه اولئك الذين تقرر مصيرهم اذا كانوا من ذوي المكانة العالية ، اما الآخرون فيقتلون من غير ان يدخلوا هذا الباب . هنا مسكن الملك او مسكن الملوك ، هناك في الساحة

مربع من الارض طول ضلعه متر واحد أحيط بسوار من الحديد ، وكتبت لوحة في وسطه تقول: « في هذا المكان قطع رأس الملكة بولين سنة ١٥٣٦، والكونتس سالسبوري عام ١٥٤١، والملكة كاترين هورت عام ١٥٤٢، وجين فيكونتس روشفورت

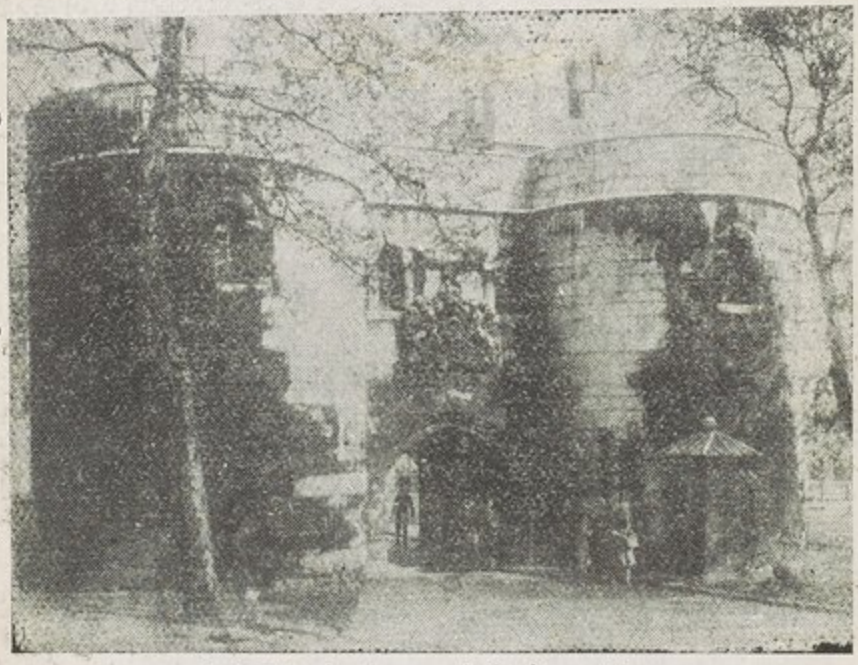

مدخل برج لندن الرهيب واسواره الضخمة

سنة ١٥٤٢ ، واللادي صباي غراي سنة ١٥٤٥ ، وروبرت دوفر ايرل اسكس سنة ١٦٠١ ، وعلى مقربة من هذا المكان قطع رأس اللورد هاستنس . »

جولة قصيرة في بعض انحاء البرج التاريخي : هنا الجناح الذي سجنت فيه الملكة اليزابيث بامر شقيقتها الملكة حنا ، هناك لوحة باسماء طائفة من الذين اعدموا في مرحلة من مراحل التاريخ البريطاني ، هنالك الغرفة التي سجن فيها المطران بامر عمها الملك ريشارد ، وفيها السرير الذي كانا ينامان عليه . ثم الى الامام من الغرفة نفسها كتاب ضخم كتب على غلافه « تاريخ العالم » هو الكتاب الذي الفه « راليه » مدة سجنه من سنة ١٦٠٣ الى ١٦١٨ ، وعند باب الغرفة مصعد حلزوني كمصعد المأذنة ينتهي الى

ممر لايتجاوز العشرة امتار بعرض مترين ، مطل على نهر التايمز وعلى الحدائق النامية بين القصر وبين ضفة النهر ، هو الممر الذي كان يطل منه « راليه » على التايمز ويتمتع فيه بالهواء الطلق ، والى ناحية من القصر جمعت نماذج من المدافع البريطانية القديمة العهد تتألف منها مجموعة ذات قيمة كبيرة .

ثم هنا وهناك في انحاء هـذا القصر ابراج تفتح تباعاً للزائرين لم يسمح الوقت بزيارتها . على ان برج لندن كان اول بناء بني في لندن ، ثم امتد عمران المدينة من حول هذا البرج . وقد مثل فيه الشيء الكثير من فظائع التاريخ التي تسمى عندنا اليوم وقائع ، وتفاقم الخلاف ذات يوم بين شارلس الاول وبين الشعب ، فحاصره الشعب في البرج وشدد عليه الحصار ، فانهزم الى قصر وستمنستر وحل فيه ، واكتفى الشعب منه بهذا . وخرج الشعب بعد هذا الظفر الى هضبة قريبة تقع بين القصرين ، وسن تقليداً يقضي بان يكون كل انسان حراً في ان يقول في هذا المكان بين الساعة الثانية عشرة وبين الساعة الثالثة مايريده من ضروب القول ، شريطة ان يتجنب أمرين اثنين : الطعن بالملك والعائلة المالكة والطعن بالدين . وعلى هذه الطريقة تتألف الجموع في « هايدبارك » كل يوم ، وباسم هذا التقليد يخطب الخطباء في امر معين لهم ، وسيتاح لنا ان نصف هذه المشاهد في غير هذا المكان .

كاتدرائية سان بول

كاتدرائية سان بول وكاتدرائية وستمنستر تتنازعان السلطان والنفوذ عن طريق استئثار الواحدة دون الاخرى بدفن العظماء . الاولى تحفة من تحف الفن المعماري ، توفرت فيها كل وسائل العظمة والجلال ، واجتمع فيها من التماثيل اكثر مما اجتمع في مثلها ، هي الكاتدرائية الثالثة في العالم من حيث عظمة الاتساع والفن . هيأ الالمان ذات ليلة — ٣٠ كانون الاول ، ١٩٤ — غارة تدميرية جهنمية ، فعينوا خطاً للنار يمتد ميلا واحداً أخذت الاسراب تروح وتغدو اليه ، وكان جناح هذا الخط يستند الى كاتدرائيه « سان بول » وظلت طائرات الالمان تقذف الحمم على هذا المكان من المساء الى الصباح فدمرت ثلث « مدينة لندن » وقدرت الخسائر بثلاثمائة مليون

جنيه ، واصيبت الكاتدرائية التاريخية بقذيفتين لم يكن لهما اثر في التخريب ، والعمل جار لاعادة كل شيء الى ما كان عليه .

كانت هذه الغارة افظع ماصادفته مدينة لندن من الغارات، ومع ذلك أفاق الناس في اليوم التالي وذهبوا الى مكاتبهم ومحلاتهم يجمعون من بين الانقاض ماتبعثر من الاوراق ويستأنفون العمل حالا ، اما خطوط التلفون فاستعيض عنها فوراً بما يسد الحاجة الى المواصلات التلفونية . ولاتزال الانقاض باقية في بعض الامكنة ، وقد زال كل اثر للأبنية المهدمة في البعض الاخر ، على ان ازمة المساكن التي خلقتها تلك الغارات التهديمية تضمحل رويداً رويداً ، ويد العمران تمتد الى اكثر الاماكن التي يشهدها الزائر في كل زاوية من زوايا لندن .

هذه المشاهد تحضرك حالا متى جئت كاتدرائية سان بول زائراً في هذه الايام ، لانك تلمح من حولها فراغاً كبيراً ، وتجد فوراً من ينبئك ان هذه الغارة المنظمة فعلت مافعلت في اموال الناس وارواحهم ، ولكنها لم تفعل في نفوسهم واعصابهم ما كان ينتظره الالمان من تلاش وانهيار، انهم ظلوا كما كانوا مؤمنين بالنصر حتى أدركوه ! .

وقفة بين الشرق والغرب

لم يتسع الوقت بعد الظهر لغير زيارة مرصد «غرينويتش» ، فهو في مكان قصي الى الشرق من لندن ، وقفنا فيه عند النقطة التي يلتقي فيها الشرق والغرب ، وهي نقطة غرينويتش حيث يبدأ حساب خطوط الطول والعرض الى الشرق والى الغرب ويبدأ التوقيت . وعدنا من « غرينويتش » فتناولنا الشاي في مطعم يكثر أمثاله في احياء العمال في لندن ، يأخذ الداخل اليه حاجته من الشاي والساندويش والخبز والمربى والحلوى بسعر رخيص متناه في الرخص ، وبكميات تتحدى التقنين الذي يطبق في لندن على الجميع سواء بسواء . وهذه الظاهرة سنتناولها عند بحث التقنين .

نظام التقنين

لندن في ٢ كانون الثاني سنة ١٩٤٧

مايزال المستر فيدلر رفيقنا في رواحنا ومجيئنا، وقد اخجل تواضعنا جميعا بفرط لطفه ورقة حاشيته. هو رجل في السادسة والخمسين، ولايظهر عليه انه بهذا العمر، فهو محتفظ بشبابه وقواه، وهو كذلك قوي الذاكرة، يعرف تقريباً كل شيء عن كل مكان نزوره، ولكنه لايخجل اذا فاته العلم بشيء من الاشياء، ثم انه وهو موظف كبير في دائرة تابعة لوزارة الخارجية البريطانية، يفتح لنا باب السيارة عند الركوب، ويفتح الباب عند دخولنا الى مكان ندخله: مارأي مواطنينا من موظفي السلك الخارجي؟ ال مارأي اصغر صغارهم في ابسط دائرة من دوائر الحكومة؟ مارأي الآذنين والسائقين والسعاة؟ انهم يأنفون باسم الكبرياء الفارغ ان يقفوا مثل المستر فيدلر، لان التربية لمسلكية للموظفين ناقصة عندنا، يضاف الى ذلك ان التربية الاساسية تقلب معالم لاشياء؟

نحن في نظر المستر فيدلر ضيوف وزارة الخارجية البريطانية، فهو يخدمنا ويبالغ في اكرامنا بمختلف الوسائل، ثم نحن في الفندق نزلاء، يحيطنا جميع موظفي الفندق وسعاته ومستخدميه باقصى الاحترام، فاذا خلا كل واحد من هؤلاء البريطانيين الى نفسه، احترم نفسه الى اقصى الحدود، واستحال رجلا له حقوق الرجال جميعاً. هذه معرفة الواجب الى جانب الشعور بالشخصية، شخصية الفرد التي تتألف منها شخصية الدولة. ولقد عرف كل بريطاني واجبه في خلال الحرب الطاحنة التي مرت ببريطانية

ليال سوداء فيها ، وانكر كل بريطاني شخصيته عندما كان الواجب يقضي الجميع التفاني في انكار الذات ، وكانت تكمن وراء هذا الانكار ، الشخصية البريطانية الفذة التي ربحت معركة الحرب ، والتي تعمل الان لربح معركة السلم ، معركة الاقتصاد العالمي .

نظام التقنين لربح معركة السلم

لاجل ربح معركة الحرب ومعركة السلم بعد ذلك ، خضع البريطانيون لنظام التقنين خضوعا تاما ، فلم يعد الرجل البريطاني رجلا أكولا يزدرد اللحوم والاسماك بلا حساب . ويروح ويغدو الى مائدة الطعام سبع مرات في اليوم . أصبحت اللحوم مقننة ، ودخلت الخضار في نظام التغذية في بريطانية ، وحتى الخبز اصبح يعطى للشخص بدل شيء آخر يحرم منه في غذائه ، والزبدة والبيض ومواد اخرى اساسية تعطى بنظام يزعج في الواقع ربة البيت اكثر مما يزعج نزيل الفندق .

نحن في فندق « دورشستر » لانشعر بالتقنين على انه مانع للشبع ، بل نشعر به على انه مانع للافراط في تقديم الاطعمة ، فالخبز لايقدم لنا الا في فطور الصباح . واللحم محدود الكمية ، وقطعة السكر لاتكاد تكفي نصف فنجان القهوة ، الى جانب ذلك نستطيع ان نتناول الشاي والحلوى عندما يحل وقت الشاي ، هذا التحديد في كمية الطعام وفي نوعه أثر تأثيراً حسناً في الصحة العامة ، على حين ضوعفت العناية بالاطفال وبذلت لهم الفيتامينات واغدقت على امهاتهم انواع من طيب الغذاء تحمد عليها دائرة التقنين .

ولم ينس المسؤولون مع ذلك ان في البلاد عمالا يحتاجون الى عدد اكبر من « الكالوري » ليستطيعوا ان يؤدوا واجباتهم على الوجه الاكمل ، هؤلاء العمال زيدت حصصهم الغذائية ، ورفه عن ربات بيوتهم بنوع من المطاعم الشعبية يختلف هؤلاء الناس اليها ، فيأكلون ما هم بحاجة اليه من الخبز والساندويش والمرغارين والمربى مع الشاي والقهوة والحليب ، بلا تحديد في الكمية ، وبسعر لايوصف رخصه . ولقد

قصدنا واحدا من هذه المطاعم بعد زيارة كاتدرائية سان بول امس، ووقفنا في الصف وتناولنا الشاي والساندويش والسمك واللحم والمربى، وتناولنا الحلويات، وتناولنا الغداء هذا اليوم من طعام العمال في مرفأ لندن، فشعرنا ان العامل روعي جانبه، وان هذه النافذة في نظام التقنين لابد منها لسلامته.

وهـــذا التقنين شمل اللباس مثلما شمل الطعام، وقد احتفظ به بكل شدته بعد مرور سنة وثمانية اشهر على نهاية الحرب، لان المواد المصنوعة تعد اليوم للتصدير؛ وانك لتشهد بين كبار الموظفين في دوائر الدولة العليا من يلبس رداءاً رتق من اكثر من مكان واحد فيه، ولقلما تجد بين الانكليز من يلتمس الحيل والاسباب لابتياع قدر من الملابس اكبر مما يسمح له به، فهو يؤثر ان يتعرض للبرد القارس على ان يخالف روح الخطة العامة في الدولة التي سنت الشرائع في سبيل تطبيقها.

ولقد شهدنا مكتباً من هذه المكاتب التي يرتادها الانكليز لاستلام ماخصص لهم من «كوبون» التقنين، فرأينا المراجعات والمراجعين يجلسون في صفين من المقاعد في غرفة اختل فيها عشرون من الموظفات والموظفين مكاتب العمل، حتى اذا انتهى الموظف من مراجع، نادى على آخر باشارة صامتة فاجلسه امامه وقضى له حاجته.

لا ندري متى ينتهي هذا التقنين، ومتى تعود الحياة في بريطانيا الى سابق عهد الترف، ولكن شعورنا ان هذا العهد غدا قريباً لا يتجاوز السنتين، وان هذه السنة التي حلت ستشهد مع ذلك تطوراً عظيما في اوضاع الدولة وفي قواعد الاقتصاد. على اننا في ظل التقنين الذي وصفناه لا نجوع في دورشستر، ولا نجد أية صعوبة في تدارك حاجات الغذاء، وربما فاضت الكميات التي تقدم عن حاجتنا، ولكن الطعام واحد لا يتبدل إلا قليلا، وهذا ما يشعرنا السآمة من تماثل ألوانه. وهنا مجال القول ان كل تحذير وكل توصية لنا فيما يختص بالغذاء كانت نوعاً من الصدى الخادع لما هي عليه حالة التقنين في بريطانيا العظمى.

مرفأ لندن الكبير

لندن مدينة داخلية يجتازها نهر كبير هو نهر التايمز ، وقد اختصت منذ القديم بكونها مركزاً من مراكز التجارة في العالم ، فكان موقعها الجغرافي مساعداً لأن تكون مرفأ عظيم الاهمية ، ولكن هذا المرفأ الطبيعي لم يكن فيه من صنع الانسان شيء حتى امتدت اليه الايدي الفعالة والجهود الجبارة فجعلته مرفأ عظيما . وقد زرنا مرفأ لندن في هذا الصباح وتنقلنا في ارجائه ، فشهدنا نشاطاً لا يعدله نشاط في أي مرفأ من مرافئ البحار ، فلقد بنيت احواض السفن على هامش نهر التايمز بعيدة عنه مايقارب نصف كيلو متر ، واقيمت الابنية والمستودعات وسكك الحديد وطرق السيارات هنا وهناك ، وجعل لكل حوض من الاحواض اسم خاص ، ولكنها كلها وحدة لا تتجزأ .

ومرفأ لندن كان حتى سنة ١٩٣٥ يأتي في الاهمية بعد مرفأ ليفربول ، ولكنه منذ تلك السنة اصبح اكبر مرفأ في العالم من حيث اهمية التجارة فيه تصديراً واستيراداً ، ويشتغل في مرفأ لندن نحو ٢٣ الف عامل ، وتتراوح اجرة العامل بين ١٠ — ١٥ جنيهاً استرلينياً في الاسبوع ، وقد كانت هذه الاجرة قبل الحرب لاتتجاوز اربعة جنيهات ونصف جنيه في الاسبوع ، كما كانت منذ خمسين سنة لاتتجاوز اربعة شلنات في اليوم اي نحو جنيه ونصف جنيه في الاسبوع .

بعد جولة طويلة في احواض السفن ، رافقتنا فيها المس طمبسون ، الفتاة الذكية الموظفة في مركز دائرة نشر المعلومات في وزارة الخارجية ، كما رافقنا المستر فيدلر ،

قصدنا الى مركز ادارة احواض الملك جورج ، فاستقبلنا مدير الاحواض والمستر طومسون مدير مكتب نشر المعلومات في المرفأ ، ودعينا لتناول الغداء من طعام العمال، وهو عبارة عن طبق واحد من اللحم والبطاطا والجزر ، وطبق آخر من الحلوى ، وفنجان من القهوة بذل السكر فيه بدون تقنين هذه المرة ، ثم وقف المستر طومسون يرحب بنا ويقدم لنا بعض الشروح المفيدة عن هذه الاحواض فقال : ان مرفأ لندن أنشيء بتشريع خاص من البرلمان سنه ١٩٠٩ وكان المستر لويد جورج اكبر المتحمسين للمشروع . واتفقت شركة المرفأ على تحسينه نحو ٢٥ مليون جنيه ، وقال ان المرفأ له فروع في جميع انحاء العالم ، واحواضه تمتد على مسافات طويلة في النهر ، ولكن العمل متمركز في الاحواض الرئيسية ضمن مدينة لندن ، وتجارة المرفأ مع المتوسط ناشطة، وقد جاء المرفأ امس مائة واربعون باخرة تجارية يحمل بعضها الفواكه وزيت الزيتون والخضار من الشرق ، بينها باخرتان من حيفا تحمل احداهما ثمانين الف صندوق من البرتقال ؛ وتذهب قوارب المرفأ الى ابعد الموانيء كما ترتاد اقربها على المانش ، وتحمل الى العالم صادرات بريطانية التي تعادل ستين في المائة من انتاجها الصناعي ، والشعب البريطاني راض بمنع الحاجات عنه لتصديرها في سبيل الانعاش الاقتصادي.

ومرفأ لندن يتولى اعاشة نصف سكان انكلترة القاطنين جميعاً على بعد مائة ميل من المرفأ ، فيستورد لهم اللحم بكميات كبيرة في مخازن التبريد ، وكان في ايام الحصار يسعى لتأمين ثلاثة انواع من الاطعمة المفقودة ، وهي الزبدة والدهون والفيتامينات ، وقد جرب ان يستورد البرتقال تحت اشد الخطر ليخصص للاطفال.

شكرنا المستر طومسون على الايضاحات والشروح التي قدمها لنا ، وشكرنا مدير الاحواض على الغداء الخفيف اللطيف ، وركبنا السيارات الى احواض اخرى، فشهدنا طرود الدخان المستورد من تركية ومن سورية ، وشهدنا صفوف السيارات تنقلها الرافعات الى البواخر لتحملها الى حيث تباع في الاسواق الخارجية، وعدنا في الساعة الثامنة والنصف الى الفندق .

جولة لندنية في الليل

تلطفت المس طمبسون فقبلت دعوتنا وتناولت العشاء معنا في الفندق ، ثم رافقتنا في جولة ليلية بالسيارة في شوارع لندن الكبرى . كان الضباب كثيفاً ، والسيارات الغادية والرائحة ينبعث منها بصيص من النور لايكاد يدرك ؛ ومع ذلك تجدها جميعاً مسرعة الخطى في سيرها ، كأن هذه الحالة مألوفة عند سائقيها . وليست حركة السير في الليل بأقل منها في النهار ، ان اشارة السير الاوتوماتيكية لتجمع اكثر من مائة سيارة من هنا ومائة من هناك في اقل من دقيقة واحدة .

وفيما نحن نجتاز حديقة هايدبارك ، اشتد الضباب فجأة ، فاذا نحن في ظلمة دامسة لا نرى من حولنا شيئاً ، واذا حركة السير تتعطل ، والسيارات تسير بسرعة مائة متر في الساعة اذا استطاعت ، ثم تراءى لنا في وسط الشارع نور اصفر ضخم ، هو الذي ينار في الضباب ، تمكنت السيارات ان تهتدي به وتسير ، وبعد ربع ساعة من هذا الحصار خفت وطأة الضباب ، وقد كان من حسن حظنا ان نشهد ما كنا نسمع به من ان الضباب يعطل حركة الشوارع ، فلا يكاد الانسان يرى رفيقه قيد خطوة منه !

قصر هامبتون التاريخي

لندن في ٤ كانون الثاني ١٩٤٧

كان الصباح جميلا ، الشمس تلمع باهتة من وراء ستار رقيق من الضباب ، والبرد يبدو اشد اليوم منه في الايام الماضية . ركبنا السيارات الى ضاحيه لندن ، القرى لا تختلف بناء بيوتها عن المدن ، والمزارع تبدوا منسقة جميلة غنية ، تتعانق فيها اغصان الشجر وتكثر الغابات في ارجائها ، ويظهر عليها اثر الغنى والثروة. هذا هو الريف الانكليزي : انه مجموعة متناسقة من المزارع والمساكن في اطار من جمال الطبيعة اتيح لنا ان نشهده من الطائرة في نظرة عامة تغني عن التنقل في كثير من انحائه ، وبين المزارع والطرق المتقنة الرصف والتزفيت يتراءى نهر التايمز وقد ركبته عشرات الجسور لتشيع الحياة على ضفتيه .

وصلنا قصر هامبتون بعد الساعة العاشرة والنصف من الصباح ، وهو من اروع ما يزار في ضاحية لندن ، يقصد اليه كل من يهمه ان يشهد نفائس الفن في العاصمة البريطانية . بناه الكاردنيال وولزي سنة ١٥١٤ ، وجعله مقراً لسكناه ولضيافته ، وقد حل فيه سفير فرنسة واربعمائة من رجاله ضيوفا على الكردينال يوم عقدت المعاهدة بين فرنسة وبين انكلترة سنة ١٥٢٧ ، ثم في سنة ١٥٢٩ اهدى الكردينال قصر هامبتون الى الملك هنري الثامن بجميع مافيه من ابنية واثاث ورياش وحدائق ، وفي ٣٠ تشرين الاول ١٥٢٩ اعلن القصر من ممتلكات التاج ، اما الكردينال الذي اهدى القصر الى الملك لينال رضاه ، فقد نعم بهذا الرضى قليلا

وانسحب الى مقاطعة يورك ، ولم يطل به العهد حتى اتهم بالخيانة العظمى في تشرين الثاني سنة ١٥٣٠ وقبض عليه ومات وهو في طريقه الى لندن .

هذه لمحة تاريخية عن منشأ هذا القصر الفخم الذي اضيفت اليه اقسام جديدة في مناسبات مختلفة بعد ذلك . وقد عني الملك هنري الثامن باعداد القصر حتى جعل منه اروع قصور المملكة المتحدة ، وسكنت فيه على التتابع زوجات الملك هنري الثامن الخمس الملكات : آن بولين ، جان سيمور ، آن اوف كليف ، كاترين هوارد ، كاترين بار . وسكن القصر اولاده ايضاً وهم ادوارد السادس ، وماري واليزابيث . وسكن القصر الملك شارل الاول ، وحل فيه سجيناً ايضاً ، ثم خصص القصر بقرار من البرلمان بسكنى اوليفر كرومويل وقد جدد الملك شارل الثاني بناء القصر ، واضاف وليم وماري اليه اقساماً تبدو مختلفة في طراز انشائها عن البناء الاول. وكان اهم ما توجه العناية اليه في امر البناء ، اتقان النقوش والصور ، واستجلاب التحف النادرة ، وقد عمل في هذا السبيل فنانون كثيرون من ايطالية وفرنسة. ولما ماتت الملكة ماري سنة ١٦٩٤ أهمل انجاز الابنية التي انشأتها ، ولما مات وليم سنة ١٧٠٢ عنيت الملكة آن بتزيين اكثر الغرف المنشأة ، وكذلك الملك جورج الثاني الذي كان آخر من سكن القصر ، وقد مات سنة ١٧٦٠ وهجر القصر فلم يحل فيه احد من الاسرة الملكية منذ ذلك التاريخ . وفي عهد الملكة فكتوريا فتحت غرف القصر للجمهور .

اعظم مجموعة من التحف واللوحات في هامبتون

في قصر هامبتون من التحف والصور واللوحات النادرة مجموعات قل ان يوجد مثلها في غيره؛ وتلفت نظر الزائر — الى جانب ضآلة الجناح الذي انشأه صاحب القصر الاول — عظمة الفن في اول بناء ملكي في عهد هنري الثامن الذي لصق تاريخ حكمه باقسام هذا القصر لصوقاً قوياً . ويطوف الزائر ارجاء القصر اليوم ، فيجد في كل غرفة من غرفه حارساً من البوليس يحرص على ان يكون مرئياً ، تخاله تمثالا من الحجر لاحراك فيه ، وهو انسان يسمع ويرى ويصعد الانفاس .... هنا صالة العرش وعلى جدرانها مجموعة ثلاثة آلاف قطعة من السلاح القديم ، وهنا صالة جلوس الملك ،

احدى حدائق قصر هامبتون إتاريخي مع جانب من جوانب القصر

وغرفة استقبال اللورد رئيس التشريفات ، وصالة استقبال الملكة ، ومن هنا مصعد الملك وقد فرشت جدرانه وسقفه باروع النقوش الزيتية . ثم هنا جناح ضخم فيه غرف النوم والاستقبال واللباس والاستحمام لهذه او لتلك من الملكات اللواتي حللن في القصر . ثم هنا كنيسة القصر التي كان يصلي الملك فيها ، ثم الممر الذي تهاجمه روح الملكة كاترين حتى الان ، فقد امر الملك هنري الثامن باعدامها وهو يصلي ، فاقبلت عليه تطلب عفوه ، ولكن رجال الحرس انتزعوها من بين يديه وقادوها الى برج لندن حيث اعدمت ، وروحها لا تزال تملأ جوانب المكان . ولها سلم خاص تصعد منه خائفة صارخة مذعورة ، تملأ صراخها الفضاء ! كذلك يتحدث عن الملكة المظلومة دليلنا من حراس القصر ، وكأنه يرمز بذلك الى ما كانت تتمتع به الملكة من عطف الجمهور يوم امر الملك باعدامها ظلماً ليتزوج من احدى وصيفاتها بعد ذلك !

هذه غرفة نوم الملك وليم الثالث ، السرير والستائر النفيسة معروضة على الجمهور وهذه مجموعة صور الملك تشارلس الثاني ، وهذه غرفة عرض الملكة حنة ومجموعة خزفها . وفي ناحية خاصة من القصر قاعة الطعام الكبرى التي كانت تقام فيها ولائم الملك هنري الثامن ، وقد احيطت بابراج الحرس ، وفرشت جدرانها بانفس الطنافس من صنع الافرنسي آراس ، وهي تمثل حياة سيدنا ابراهيم ، ونقشت على زجاج بعض نوافذها اسماء الملكات زوجات هنري الثامن ، وعلى شرفة مرتفعة كانت تعزف فرقة الموسيقى الملكيه ألحانها في الولائم .

في الطابق الارضي المطابخ والمشارب والافران وغرف طعام الحرس ، وبين الابنية باحات مختلفة النقش والتزيين ، وحول القصر حدائق لا مثيل لها ، ثم الى الجهة المطلة على التايمز بحيرة ماء كانت تصل السفن اليها حاملة ما يرسل الى القصر من الحاجات .

ساعتان من الطواف في القصر اتاحت لنا ان نشهد شيئاً عجباً ، ورجعت بنا

الى الماضي القريب من تاريخ بريطانية العظمى ، تشد آصرته مشاهد برج لندن التي تحدثنا عنها في بحث سابق .

لعبة دولية في كرة القدم بلندن

تناولنا الغداء في اوتيل ميتر مقابل القصر وذهبنا مسرعين الى ملعب شلزي . لنشهد مباراة كبرى بكرة القدم على غرار المباريات الدولية التي نشهدها على لوحة السينما . فريق شلزي ينازل فريق ليفربول في ساحة يحيط بها مدرج يتسع لسبعين الفاً من الناس . السيارات تصل مسرعة الى باب الملعب الضخم ، الناس يتراكضون من المداخل الواسعة وكل واحد يقصد الى المكان الذي يحمل تذكرة الدخول اليه . مكبر الصوت يذيع التعليمات الى هذا والى ذاك من المدارج . عشرات المداخل لمقاعد الدرجة الاولى وكل يدخل من الباب الذي يؤدي الى المدرج والى الصف والى الرقم المخصص له . نصف ساعة والناس يتوافدون كالسيل المنهمر ، وقبل هذا مرت على دخول الناس ساعتان ، النساء والرجال والشباب والفتيان كلهم مقبلون باهتمام وعناية الى الملعب ، وبعضهم وقفوا في الصف من الصباح لابتياع التذكرة .

موسيقى السكوتش في وسط الملعب تعزف الحانها ، امتلأت المقاعد وكثر الواقفون في كل بقعة بقي فيها موطيء لقدم ، الناس تجاوز عددهم ثمانين الفاً ، مشهد حي لم تكن نشهد مثله في غير السينما . بلغت الساعة الثانية والنصف واعلن المذيع قدوم فريق شلزي بالقمصان الزرقاء ، انسحبت فرقة السكوتش من الملعب وأقبل اللاعبون الزرق ، فدوت عاصفة من التصفيق والهتاف ، ثم أقبل فريق ليفربول بالقمصان الحمراء ، واستقبل بعاصفة اشد من التصفيق والهتاف .

تصافح رئيسا الفريقين ، وأقبل المصورون يصورونها ، ودوت صفارة الحكم فبدأ اللعب بين هياج الجماهير وحماسة الهاتفين ، وسجل كل فريق هدفاً واحداً .

وفي فترة الاستراحة عادت موسيقى السكوتش الى الملعب ، وطافت من حوله تعزف مقطوعات ممتازة ورئيسها يلاعب عصاه ويتراقص على نغمات الفرقة . ثم عاد اللاعبون تظاهرهم حماسة اشد ، وسجل فريق « شلزي » هدفين آخرين فكان الغالب .

كان يهمنا ان نشهد عن كثب هذه العناية البالغة بلعبة الكرة من الجمهور ، وقد رأينا بالفعل عشرات من المقعدين بعرباتهم الصغيرة يشقون طريقهم بين الجموع المكتظة ليشهدوا المباراة . هذه هي الرياضة في الغرب ، وهي في نظرنا ونظرهم اساس في تكوين الشعب وخلقه واعداده .

محافظة لندن

الادارة - الصحة - التربية

لندن في ٦ كانون الثاني سنة ١٩٤٧

فوجئنا صباح اليوم بموجة من البرد رافقتها موجة من الثلج ، ومع ذلك فمن واجب الحقيقة ان نقول ان البرد هنا لايزيدعن البرد في دمشق مثلا ، وهو لايمنع الانسان من ممارسة عمله على اي حال .

وكان علينا ان نزور مجلس محافظة لندن ، فقصدنا الى بناية هي افخم ماشاهدنا من الابنية في لندن ، واجتمعنا في غرفة من غرف المذاكرة حول مائدة نصف مستديرة ، وجلس الينا احد رجال مجلس المحافظة يقدم لنا شروحاً ضافية عن وجهة الادارة في مدينة لندن وفي محافظة لندن ، ويحدد نطاق كل شأن من الشؤون بمصور وضعه بين ايدينا ، وهذا النطاق يضيق ويتسع بحسب الاختصاصات ، وليس التقسيم واضح المعالم ، وليست هذه الاختصاصات لتعطي فكرة بينة يستطيع المرء الالمام بها بسهولة ، ولكنها جديرة بالدرس ، او فلنقل انها جديرة بان تعرض على الرأي العام في بلادنا مهما يكن فيها من التداخل والارتباك والغموض .

لندن تعني من وجهة الادارة اموراً كثيرة ، فمدينة لندن القديمة وجدت منذ زمن بعيد ، ثم نمت وتطورت حتى اصبحت على ماهي عليه اليوم . وقد كانت انكلترة منذ القديم مقسمة الى محافظات تعتبر بمثابة وحدات ادارية ، وفي سنة ١٨٨٨ انشئت محافظة جديدة هي محافظة لندن بضم عدة محافظات الى بعضها ، والتمييز لايزال قائماً بين محافظة لندن ومحافظة مدينة لندن من جهة توزيع العدالة ، اما من الوجهة الادارية

والاعمال المدنية ، فالمدينة والمحافظة شيء واحد لا يختلف .

هناك مجلس لمحافظة لندن يتولى تصريف الاعمال في المنطقة الادارية كلها المنقسمة الى ٢٩ محافظة لكل واحدة منها مجلسها ، ويسمى احد هذه المجالس مجلس مدينة لندن والثمانية والعشرون الاخرون مجالس العاصمة .

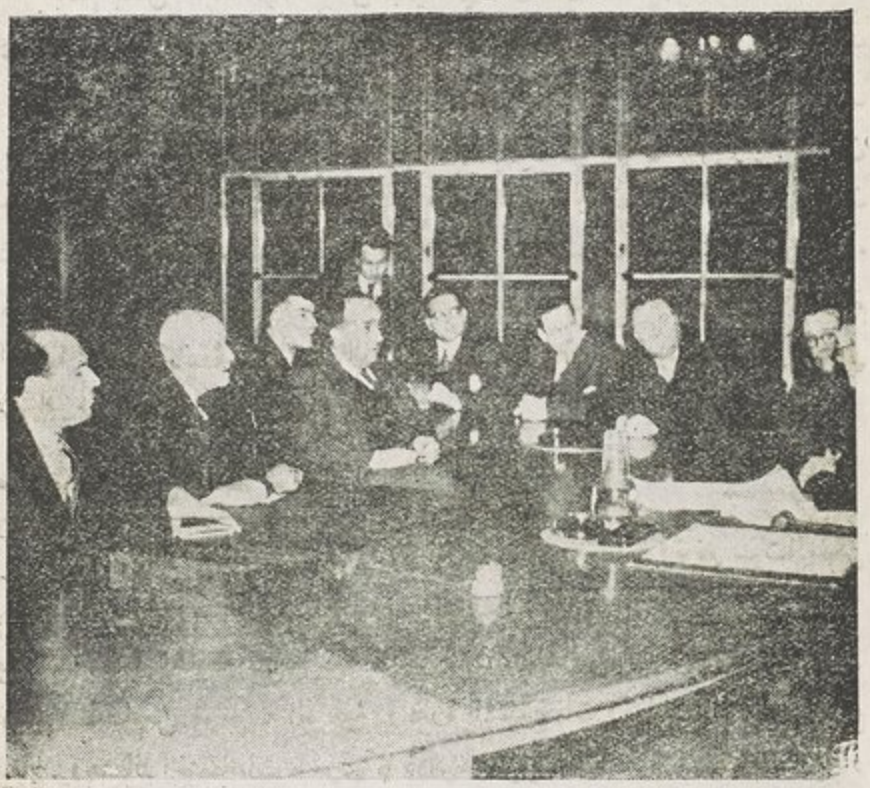

اعضاء الوفد الصحفي في مجلس محافظة لندن يستمعون الى محاضرات الاخصائيين في شؤون الادارة والتربية والصحة العامة .

مجلس محافظة لندن الذي تأسس سنة ١٨٨٨ ينتخب من مجموعة السكان البالغين ٢١ سنة من عمرهم ، لمدة ثلاث سنين ، ويتألف المجلس من ١٤٤ عضواً ، منهم ١٢٦ ينتخبون بالاقتراع العام ، و١٨ يعينون من المجلس نفسه — واسمهم الاختيارية — النصف لمدة ثلاث سنوات ، والنصف الآخر لمدة ست سنوات ، ومجالس العاصمة المنشأة سنة ١٨٩٩ تنتخب على الطريقة نفسها ، وفي كل مجلس منها سبعون عضوا ،

واللورد المحافظ رئيس ذو مركز اجتماعي خطير ، ولكن اثره في الاعمال الادارية محدود ، وهو يتناول راتباً لانقطاعه الى العمل ، ولكن اعضاء مجلس المحافظة لاراتب لهم ، على غرار المجالس البلدية عندنا .

يجتمع مجلس المحافظة في قاعة من البناية التي اشرنا الى ضخامتها ، صفت مقاعدها على مدرج مستدير ، ونسقت على غرار قاعة المجلس النيابي عندنا ، ولكن تنظيمها ادق وتأثيثها اروع ، وتجري الانتخابات لمجلس محافظة لندن ومجالس المقاطعات على اساس الخطوط السياسية العامة في الانتخابات النيابية ، ويجلس اعضاء المجلس من حزب العمال الى اليسار ؛ على حين يجلس المحافظون الى اليمين ، والزعماء من الحزبين يتخذون المقاعد الامامية مكاناً لجلوسهم ، ويجري التصويت على احدى طريقتين ، اما برفع الايدي ، او بالخروج من احد البابين ، باب « نعم » وباب « لا » ، وزعيم اكثرية المجلس كائنا هو رئيس الوزارة ، ولكن اللورد صاحب الكرسي حيادي عندما يعتلي كرسي الرئاسة .

صلاحيات مجلس محافظة لندن

مجلس محافظة لندن مسؤول عن امور التربية والصحة العامة وتوفير بيوت السكن وانشاء الحدائق ومساعدة الفقراء وتصريف المياه القذرة الكبيرة ، وهو يتولى هذه الشؤون في المحافظة كلها ما عدا مدينة لندن ، والمجالس الاخرى مسؤولة عن تفتيش الطعام من الوجهة الصحية وادارة المستوصفات وتنظيف الشوارع وجمع البقايا . وهناك اختصاصات اخرى كما ذكرنا يضيق معها نطاق المنطقة الادارية او يتسع ؛ فمياه الشرب يتولاها « مجلس المياه المركزي » المنتخب من جميع المحافظات ، وتشمل صلاحية هذا المجلس منطقة اكثر اتساعاً من محافظة لندن ، وشؤون البوليس تخضع لها منطقة واسعة تزيد عن منطقة المياه ؛ وشؤون السير يتولاها مجلس خاص ، ويتسع نطاقها بحيث يشمل جزءاً كبيراً من الضواحي ، وادارة مرفأ لندن تشرف عليها لجنة حكومية خاصة .

تقوم هذه المجالس بعملها بواسطة لجان تؤلفها لمختلف النواحي ، وقد حدد

التشريع البرلماني الذي تأسست هذه المجالس بموجبه صلاحيلاتها وحدود عملها ، وأوجب عليها القانون حسن اداء المهام التي يطلب منها اداؤها . وقد انيط بمجلس المحافظة امر الموافقة على القروض التي تعقدها مجالس المقاطعات ، كما انيط به امر القيام بالعمل اذا قصر احد هذه المجالس في اداء واجباته ؛ واعطيت الحكومة حق الاشراف العام على اعمال المجلس وحق التفتيش المالي ، وهي تملك السيطرة المالية على هذه المجالس بطبيعة الحال، لانها تدفع هبات لها ، ولاسيما لشؤون التربية، تعادل ستين في المائة من نفقاتها ، ومن واجب المجالس ان تأخذ موافقة الحكومة قبل مباشرة بعض الاعمال الكبرى كانشاء الابنية وعقد القروض لمباشرة بعض المشاريع العامة وصرف الموظفين الكبار.

تتألف ميزانية مجلس محافظة لندن ومجالس المقاطعات من الرسوم المحلية المختلفة والضرائب الخاصة بالمحافظات ، وتختلف الضرائب والرسوم من محافظة الى اخرى ؛ وبعض هذه الضرائب لايستهان بها ، مثال ذلك بيت السكن الذي ايجاره السنوي مائة جنيه يدفع خمسين جنيهاً .

اهداف التربية ومراحلها في بريطانية العظمى

انتقلنا من هذه المحاضرة الى محاضرة اخرى تولاها اخصائي بشؤون التربية ، مشفوعة بطائفة من الصور الناطقة ، توضح مراحل التطور في امور التربية منذ عام ١٨٦٥ الى عام ١٩٣٥ .

وضح لنا هذا الخبير ان اهداف التربية في بريطانية ثلاثة : اولا ضمان حصول كل واحد من البريطانيين على النواحي التربيوية الموافقة كل الموافقة لخلقه الشخصي وميله الفطري وميزاته او عاهاته الجسدية او العقلية . ثانيا ضمان اكتشاف الامة لكل ذرة من مقدرة الطلاب البارزة التي يمكن ان تكتشفها فيهم في كل جيل من اجيال المدرسة، لتهيئة ما يوافق الطلاب جميعاً ، كل واحد بحسب مواهبه ، الى ان يبلغوا درجات التربية العليا ، الفنية والجامعية ، بدون ان يكلف العاجزون عن الدفع شيئاً لقاء ذلك. ولفسح المجال الكافي لانماء المواهب في سبيل خدمة المجموع . ثالثاً ازالة الاسباب التي

من شأنها ان تؤدي الى نقص الكفاءة التربيوية كالجوع وعدم توفر الالبسة والاحذية وعدم توفر العناية الطبية وتسهيل النمو الجسدي .

كان في وسع من يزور لندن سنة ١٨٦٥ ان يشهد الى جانب القصر الزجاجي والمركبات الفخمة والاناقة البالغة درجة الكمال في المنطقة الغربية من لندن والتجارة الواسعة المزدهرة، مساكن للفقراء تبعث على الشفقة ، ومدرسة حقيرة البناء تلاميذها جفاة قذرون ، يأكلون مفترشين الارض بشكل غريب . وكان في وسع من يزور لندن سنة ١٨٨٠ ان يرى المدرسة الحكومية بالية البناء ، حشد في غرفها الضيقة مئات الاولاد ، وقد كتفوا ايديهم ، وبدت ملابسهم الرثة ، وظهر بينهم المصابون بالكساح بسبب سوء التغذية ، وظهرت فيهم فتاة في الخامسة عشرة من عمرها تعلم في صف الاولاد الكبار . ويمكن ان يشهد الزائر سنة ١٨٩٥ بداية التطور في ابنية المدارس : عربات تنقل الكسيحين ، وصناعات يدوية مختلفة يدرب عليها التلاميذ ، ولكن مناظر الحفاة كانت مألوفة في ذلك الحين ، واصحاب العاهات كانوا لايزالون بين الطلاب . وفي سنة ١٩١٠ بدأت العناية بابنية المدارس وباحاتها ، وبدأت الرحلات المدرسية الى المصانع والى الريف ، وشرع يبذل الخدمات الصحية في المدارس ، وكانت نتائج الفحص الطبي الاول مخيفة . وتطورت المدارس تطوراً كبيراً في سنة ١٩٢٥ : ابنية واسعة ذات نوافذ كبيرة وملاعب متسعة امامها ، ودروس عملية في مختلف الفروع ، وحيوية ونشاط في كل مكان ، خياطة وطباعة ونجارة واساليب حديثة في تعلم الحساب . وفي المرحلة التالية سنة ١٩٣٥ اصبحت المدارس ذات طابق واحد : نوافذ واسعة جداً للتهوية ، وملعب كبير جداً رسمت عليه خطوط العاب الكرة ، وفي الداخل كل مايشوق الطلاب الى الدرس ، وفي بعض الصفوف يدير احد الطلاب ادارة الصف تعاونه سكرتيرة ؛ وتجري المناقشة الجدية بين التلاميذ ، والمعلم في ناحية الصف يشهد ذلك صامتاً ، والمعالجة الطبية تقدمت تقدماً باهراً ، الملابس اصبحت خفيفة ، التفتيش الصحي قبل المدرسة ، الالعاب المختلفة في رياض الاطفال ، الدروس في الريف وفي المزارع ، التمثيل والغناء .

هذا هو التطور الذي تم في نحو ثمانين سنة ، والذي لايزال سائراً في طريقه

هو استكمال اسباب التربية في بريطانية . وقد دلت احصاءات سنة ١٩٣٨ على ان في لندن اربعين الف تلميذ دون الخامسة و١٦٠ الف تلميذ دون العاشرة . ويجتاز التلاميذ الصغار فحصاً واحداً يذهبون بعده الى المدارس المركزية او يستمرون في المدرسة الابتدائية العليا حيث يكملون الدراسة ويزاولون بعض الصناعات الخشبية والمعدنية والاشغال الفنية والرسم والطباعة والصباغ والكتابة والتجليد وصنع الخزف وما الى ذلك ؛ اما في المدارس المركزية فيضاف الى كل هذ المواد تعلم لغة اجنبية الفرنسية او الالمانية ، ودرس كيفية استخدام الرسوم الهندسية ، واستعمال الآلات الحديثة .

في المدارس الثانوية يدرس التلاميذ في الكتب اكثر مما يعملون في الصناعات ، يدرسون اللغة الانكليزية ودروس التاريخ والجغرافية والرياضيات ،ولغة اجنبية واحدة او لغتين معاً هما الافرنسية والالمانية ، ويدرسون كذلك اللاتينية واليونانية من اللغات غير الحية ، وهناك دروس ليلية للذين لايتمكنوا بعد المدرسة الابتدائية من دخول الثانوية . وفي لندن الان ٩٦٠ مدرسة تقضي خطط التربية الجديدة بضمها الى بعضها وجعلها تسعين مدرسة فقط .

هذه خلاصة موجزة ناطقة لشؤون التربية في بريطانية العظمى ، وهي التي تنشىء الجيل العالم المؤثر في بناء كيان الدولة الكبرى .

الخدمات الصحية في محافظة لندن

اقبل اخصائي آخر يحدثنا عن الخدمات الصحية في محافظة لندن ، وهي من مهام مجلس محافظة لندن الاساسية ، فقال ان هناك مستشفيات عامة واخرى للامراض العقلية وللامراض السارية ، وهناك الخدمات الصحية في المدارس ، وتوفير القابلات لولادة الامهات ، ومعالجة الامراض الزهرية ، والعناية بذوي العاهات ، والاعمال الصحية المختلفة والتمريض للفقراء ، ومصلحة نقل المرضى ، والاشراف على المؤسسات الصحية الخاصة وعيادات الاطباء ، والتحقق من نقاء مياه نهر التايمز ، وهذه الناحية

يتولاها مجلس خاص مهمته ضمان عدم تلوث المياه في هذا النهر الذي يلقى فيه كل يوم ١٣٦٠ مليون غالون من الاقذار .

في محافظة لندن سلطتان محليتان ، سلطة مجلس محافظة لندن وسلطة المجالس الصغرى ، وهناك ١٨ مقاطعة ريفية منتخبة ومسؤولة . ومجلس المقاطعة يتولى مهام

الوفد الصحفي في زيارة المركز النموذجي في لندن . وقد ظهر في الوسط مدير المركز بقلادته التقليدية

حفظ الصحة واصلاح البيوت وتطهير الاماكن القذرة الصغيرة والكبيرة ، والمجالس الصغرى تعنى بمنازل السكن ومنع انتشار الامراض السارية والتطعيم ضدها وانشاء المحارير ، ومجلس محافظة لندن مسؤول عن المحارير العمومية وحرق الاقذار وتفتيش

الطعام والشراب ومنع انتشار الروائح الخبيثة والسيطرة على الصناعات التي تبعث هذه الروائح .

مجلس مدينة لندن الاساسية ، وعدد سكانها عشرة الاف فقط له كل امتيازات المجالس الصغرى وبعض مسؤليات مجلس محافظة لندن .

توفير مياه الشرب للندن يتولاه مجلس خاص يتمثل فيه مجلس محافظة لندن

اعضاء الوفد الصحفي في غرفة الاشعة فوق البنفسجية حيث يعالج الاطفال بالاشعة تعويضا لهم عن اشعة الشمس المفقودة ، فيلعبون مدة معينة من الوقت عارين عن اللباس تحت الاشعة .

—

ومجالس المحافظات ، وهذا المجلس الخاص يستند الى تشريع برلماني وانظمة خاصة ، ويتقيد باوامر وزارة الصحة ، وللحكومة حارس يشرف على حسابات المجلس ويحرص على صرفها في السبل المقررة لها ، فاذا وجد خللا نبه اليه المسؤولين .

يتولى مجلس محافظة لندن شؤونه بواسطة لجانه المختلفة : لجنة الشؤون الصحية ، لجنة الشؤون الاجتماعية، لجنة شؤون التربية ، وتقدم له وزارة الصحة الاطباء والممرضات ، وهو مسؤول عن الخدمات الكبرى كالمجارير وانشاء الحدائق الكبرى والعناية بها على حين تتولى المجالس الصغرى شؤون الحدائق الصغيرة ؛ ويعنى مجلس محافظة لندن كذلك بتوفير بيوت السكن داخل المحافظة وخارجها ، وعدد السكان القاطنين في بيوت مجلس محافظة لندن يزيد على ربع مليون ، ويتولى فحص الحليب الذي يرد الى لندن .

لدى مجلس محافظة لندن الذي يعنى بخدمات الامومة مائة وخمسون قابلة لتوليد الامهات في بيوتهن ، وقد خصص الف سرير في محافظة لندن للتوليد ، فيما عدا المستشفيات الخيرية الخاصة العديدة التي توضع فيها اسرة للولادة . وفي احصاء رسمي عام لاسرة الولادة ان ثلاثة اسرة يقدمها مجلس محافظة لندن وسريراً واحداً يقدم من نتائج الاحسان. على ان تأدية اجرة التوليد اختيارية تابعة لقدرة الشخص ، ومعدل مايطلب دفعه عشرة الى عشرين شلنا في الاسبوع ، على حين يكلف المريض الواحد اكثر من خمسة جنيهات في الاسبوع .

يعنى مجلس محافظة لندن بالخدمات الصحية في المدارس ، والخطة المتبعة ان التلميذ يفحص اربع مرات في حياته المدرسية ، مرة عند دخوله المدرسة ، ومرتين في اثناء الدراسة ، ومرة رابعة عند انتهاء الدراسة ، وكل معالجة للتلاميذ في المدارس مجانية، فهناك مستوصفات خاصة لامراض العين في سبيل وصف النظارات الملائمة لها، ولامراض الاذن والاسنان والروماتيزم والنقص في القدرة على الكلام وسوء التغذية وتوجيه الاطفال . والذين يبدو عليهم العجز رغم كل معالجة يرسلون الى مدارس خاصة ، ومن هؤلاء من يظهر نقص في مستوى تفكيرهم او من يصابون بالكساح او بمرض عقلي ، ومنهم الصم والبكم والعمى والمصابون بمرض السكر . وعند الفحص الاخير يدون في سجل كل واحد من هؤلاء المصابين ما يقتضي من الملاحظات حتى لا يتعرض لاعمال يفشل في القيام بها ، وترسل الاسماء الى وزارة العمل لتخص هؤلاء بالاعمال التي يصلحون لها . بعض الاولاد من ذوي الشذوذ الجنسي يرسلون

الى الاخصائيين وتدرس احوالهم واسباب شذوذهم ويوصف لهم مايكفل تغلبهم على هذا الشذوذ .

هنالك مستوصفات عامة تفحص فيها الصدور ، وآلات تصوير الصدر تبذل مجاناً في المعامل ، وهنـاك ٣٥٠٠ سرير لمعالجة الامراض الصدريـة بعضها في المستشفيات العامة وبعضها في المصحات والبعض في المستعمرات الريفية حيث تتطور احوال المصابين ويشتغلون في الصناعات الخفيفة ثم لايحتاجون الى معالجة بعد ذلك . ويؤخذ الاولاد من البيوت التي يوجد فيها مصاب بالسل الى امكنة خاصة في الريف .

وللامراض الزهرية مستوصفات مجانية يعالج فيها المصابون بشكل مكتوم جداً ، فلا يعرف الشخص باسمه بل برقمه ، واذا عولج شخصان مختلفان اعلما انهما اخذا الداء بالعدوى من شخص معين اجبر ذلك الشخص على ان يأتي للمعالجة .

في لندن اعظم مصلحه مستشفيات في العالم، تملك ٨٩ مستشفى فيها ٧٠ الف سرير، وبين هذه المستشفيات ماهو خاص بالامراض الحادة او المزمنة ، وبالحميات التي تتناقص حوادثها بسرعة فائقة ، وبامراض الاطفال وامراض السل في العظام او في المفاصل ، وبامراض القلب وامراض العين والامراض الجلدية وبالامراض العقلية ، وقد اصبحت معالجتها ذات اثر فعال في توجيه المرضى نحو الشفاء ، بحيث تعادل نسبة كبيرة من المرضى الى العالم العاقل ، وقد انشئت مدرسة للتراخوما ثم اغلقت لان مرض التراخوما لم يبق له من اثر ، واسست وحدة خاصة لمعالجة السرطان وجراحة الصدر . ويوجد ضمن هذه الوحدات مصلحة للعناية بالايتام والاولاد غير الشرعيين ، ومصلحة نقل كبرى .

لدى مجلس محافظة لندن ٩٠٠ طبيب و ١٨ الف ممرضة، ومع ذلك فالشعور بالنقص في عدد الاطباء والممرضات كبير ، والشعور بنقص الاسرة من جراء ماهدمته قنابل الالمان في الحرب اكبر ، فقد اسفرت اضرار المستشفيات عن فقد خمسة آلاف سرير لايوجد عنها عوض في الوقت الحاضر ، لأن الايدي العاملة لاعادة ماهدم الى سابق عهده قليله لاتفي بالغرض .

ينفق مجلس محافظة لندن ١٢ مليون جنيه استرليني في السنة للخدمات الصحية

المختلفة ، وقد ادرك نتائج خطيرة نتيجة لتوفره على شؤون الصحة العامة ، وتناقص عدد الوفيات في لندن منذ سنة ١٨٨٩ يوم بدء مجلس المحافظة عمله اكثر من ٢٥ الف نفس ، بين هذا العدد اربعة آلاف طفل .

وتنقل قريبا الى عهدة الحكومة جميع المستشفيات والدوائر والوحدات الصحية التابعة لمجلس محافظة لنـــدن ، وتنتقل المشاريع الصحية التابعة لمجالس المقاطعات الى مجلس محافظة لندن ، وذلك تنفيذاً للخطة الجديدة في بريطانية العظمى القاضية بنقل الكثير من المصالح الرئيسية العامة من ملكية الشركات والدوائر الى ملكية الدولة كما جرى في مناجم الفحم ، ولقد قرر البرلمان البريطاني ذلك ، وقرر لكل بريطاني في جميع انحاء بريطانية حق المداواة مجاناً ، وسينفذ التشريع الجديد في مطلع عام ١٩٤٨ .

مجلس محافظة لندن يكرم الوفد الصحفي

بعد هذه المجموعة القيمة من المعلومات المفيدة ، تنقلنا في ارجاء البناية الضخمة التي يعمل اربعة آلاف موظف في مكاتبها ؛ وعرفنا ان عدد الموظفين في مجلس محافظة لندن يبلغ مائة الف ، بما فيهم المعلمون والاطباء والممرضات وموظفو الحدائق والتنظيفات ، وان مجلس محافظة لنـدن موازنته السنوية اربـــعة ملايين ونصف مليون من الجنيهات ، وهي اكبر من ميزانية بعض الدول الاوربية كالدانمرك وفنلندة !

واقام اللورد المحافظ باسم مجلس المحافظة مأدبة غداء متقنة انيقة للوفـد الصحفي السوري — اللبناني القى في نهايتها كلمة ترحيب جميلة بالوفد ، تضمنت كثيراً من النكات الخفيفة الناعمة ، ومما قاله على سبيل المداعبة التي عرفنا ان للبريطانيين شغفاً خاصـــاً بها ، ان عنده فكرة سيئة عن اصحاب الصحف ، ولكنها لاتتعدى حدود لندن! ... اواشار الى ماقد لاقيناه من الصعوبـة في فهم التقسيمات المتشابكة والمسؤوليات المختلفة في محافظة لندن ، ولاغاضة علينا في ذلك فان الكثير من البريطانيين لايستطيعون فهمها!

ونهض زميلنا الاستاذ سعيد فريحة صاحب مجلة « الصياد » البيروتية فشكر مجلس

محافظة لندن على حفاوته وحسن استقباله ، وقال مداعباً ان اصحاب الصحف عندهم فكرة سيئة عن المحافظين اجمالا ولكنها كذلك لا تتعدى حدود لبنان ... وذكر ما قيل للوفد الصحفي قبل ان يبرح سورية ولبنان من ان البرد قارس وان الجوع فتاك وان الانكليزي اذا بادرته بالسلام وقلت له « هالو » اجابك في المساء ها ... وبعد اسبوع لو .. فاذا نحن في لندن لا نرى الناس يجمدون في الشوارع ، ولا نعتقد ان الناس جائعون رغم التقنين ، ولا نجد من الانكليز الا روحاً طيبة وميلا الى النكتة والحديث الظريف ، اما عن تقسيمات محافظة لندن فقال الزميل انها ليست وحدها غير مفهومة بل ان السياسة البريطانية كلها غير مفهومة في بعض الاحيان ... وتمنى ان تتأصل الصداقة القائمة بين العرب والانكليز بحل قضية فلسطين التي تهم العرب اجمعين .

زيارة مركز صحي نموذجي في لندن

كان الثلج يتساقط فيملأ الشوارع والابنية ، والسيارات تسير بطيئة الخطى على ذرات الثلج ، والبرد قارس ، ولكننا ننتقل من مكان حسن التدفئة الى مكان مثله. وقد قصدنا الى مركز صحي في غرب لندن شهدنا فيه طرق المعالجة ولا سيما للاطفال والفتيان الصغار بالاشعة فوق البنفسجية ، وشهدنا غرف التوليد والاغراق في العناية بالمواليد ، وكان الطقس غير ملائم فلم نشهد العدد الحقيقي من الناس الذين يرتادون المراكز للتداوي ، وفيه احدث اصول المعالجة ، وابرع فنون الطب ، وفيه اطباء وممرضات وموظفون شديدو الحرص على القيام بواجباتهم كاملة . وقد قدم لنا الشاي ، ورحب بنا عميد المركز ورئيسة ممرضاها وغيرها بكلمات تكثر فيها النكات ؛ وهي روح جديدة نكتشفها في الشعب البريطاني ونجد الدليل عليها حيثما ذهبنا واينما حللنا .

عدنا الى « الدروشستر » فندقنا العزيز الدافيء هربا من البرد الشديد والثلج المتراكم في الطرق وعلى الابنية ، وحضرنا في صالة فخمة من صالات الفندق حفلة

كبرى اقامتها الجمعية الانكلو – عراقيه تكريماً لسفير العراق الامير زيد الهاشمي وكان في مقدمة من حضروها من كبار الانكليزي رئيس الوزارة المستر اتلي ، وكان السفراء والوزراء المفوضون للدول العربية والشرقية والاجنبية في جملة حضورها .

كانت هذه الحفلة سبيلنا الى اكتشاف حالات في « الدروشستر » لم يكن لنا بها سابق علم ، وفوق كل ذى علم عليم ، فهي لا تفتح لا للحفلات الخاصة ، ولا يرتادها الناس الا في الحفلات العامة الكبرى ، وكانت هذه الحفلة التكريمية من اكبر حفلات الفندق واكثرها روادا من العظماء والكبراء .

مشاكل العمل والعمّال

لندن في ٧ كانون الثاني سنة ١٩٤٧

زيارتنا اليوم لوزارة العمل والخدمة الوطنية ، وموضع نقاشنا يدور حول مسألة من اخطر المسائل الوطنية الاجتماعية الحيوية ، وهل من امر اشد خطورة من امر العمل والعمال في الساعة الحاضرة ؟ وهل من مشاكل أعقد من مشاكل العمال في انحاء الدنيا ؟ وقد ركبنا سياراتنا في جو مكفهر ، بينما الثلوج تتساقط غزيرة ، والبرد يجعل الشارع محدود الحركة نسبياً .

دخلنا الى وزارة العمل والخدمة الوطنية ، وجلسنا حول مائدة نصف مستديرة في غرفة موقدة النيران ، امام ثلاثة من رجال دائرة نشر المعلومات في وزارة العمل ، نستمع الى شؤون العمال وارباب الاعمال ومشاكل الاجور وطرق معالجتها ، ثم الى كيفية تنسيق العمل في الصناعات المختلفة وفي صفوف الجيش والبحرية والطيران .

طريقة معالجة مشاكل العمال وعلاقاتهم مع اصحاب الاعمال تستند الى نظام يطلق عليه اسم « نظام التعامل الاجتماعي » . هذا النظام لم يكن ممكناً تطبيقه في بعض الصناعات لان العمال لم ينظموا صفوفهم التنظيم الكافي ، او لأن اصحاب الاعمال لم ينظموا صفوفهم ، او لان كلا الفريقين غير منظم ، ولذلك تعالج مشاكلهم بأسلوب آخر . وهناك اسلوب ثالث يتبع في معالجة قضايا العمال واصحاب العمل ، وهو اسلوب الاتفاق الشخصي الفردي بين العامل وبين صاحب العمل .

وفي اساس نظام التعامل الاجتماعي نقابات العمال ونقابات اصحاب الاعمال ، والنقابات يرجع عهد انشائها في بريطانية العظمى الى مئة وخمسين سنة ، ونظامها

متأصل في الامة ، داخل في اعماق تقاليدها وروحها ، وقد تطور على مدى السنين حتى انتهى في قمته الى الجمع بين فريقي العمال واصحاب العمل لحل مشاكلهم بروح هذه التقاليد العريقة في القدم ، والحكومات المتعاقبة من العمال والمحافظين ترجح الاخذ بهذا النظام سواء بسواء . وبحسب هذا النظام تدرس نقابات العمال ونقابات اصحاب الاعمال كل مشكلة تعرض بدون تدخل الحكومة ، وبموجب النظام الآخر تتدخل الحكومة لحل كل المشاكل على اساس يشبه الاساس القانوني في بلادنا .

في بريطانية العظمى تسعمائة نقابة للعمال مختلفة الاشكال والاجناس والالوان ، وهناك نقابتان تضم كل واحدة منها نحو مليون عامل، الاولى هي نقابة النقل والاشغال العامة ، والثانية الاتحاد العام لعمال البلديات ، وكلا النقابتين تضمان العمال غير الحاذقين ونصف الحاذقين ، ففيها من يتولى اصلاح الآلات الكاتبة ، وفيها مهندسون لمختلف الاعمال . هذه النقابات كلها تنتهي في تنظيمها الى اتحاد النقابات والى مؤتمر النقابات .

ولارباب العمل تنظيم مماثل ونقابات تنتهي في قمتها الى شبه كونغرس يطلق عليه اسم اتحاد ارباب العمل البريطانيين . وبهذا التنظيم المزدوج تستطيع المنظمات بطريقة ميكانيكية ان تعبر عن آرائها بطريقة منظمة ووثيقة . وقد انشيء منذ مطلع الحرب مجلس يضم ممثلين لاتحاد نقابات العمال وممثلين لاتحاد اصحاب العمل ، والحكومة كانت ولاتزال تحيل الى هذا المجلس جميع المشاكل التي تعرض لها في نطاق العمل لتدرسها وتقرر الحل الواجب ؛ وفي اغلب الاحيان كان هذا المجلس يصل الى الحل المطلوب بفضل التساهل والتسامح المتقابل بين فريقيه ، وبهذه الوسيلة لايمكن ان يقال ان العمال يشتطون او ان اصحاب العمل يسيطرون ، وفي الحالات النادرة التي لايصل فيها المجلس الى اتفاق يضع حداً للشكوى، تحال القضية الى وزير العمل ، فيدرسها ويحيلها في خلال ٢١ يوماً الى مجلس مختص للبحث والتفتيش، يتولى تدقيق حسابات الشركات وارباحها ، ويدرس احوال العمال واوضاعهم، ويقدم الى الوزير تقريراً مفصلا مدروساً يحيله الى البرلمان الذي تكون له الكلمة الاخيرة في الموضوع، وقل ان اهملت الصحف مواضيع كهذه ، فان كل خلاف يشتد ويتفاقم تتناوله الجرائد بالبحث على هامش دراسة

المجلس الخاص وبحث البرلمان، ويكون لها في النتيجة وللبرلمان الاثر الاكبر في توجيه القضية وجهة الحق . ان الشركات التي تربح الملايين وترفض الاذعان لمطالب العمال تهاجم ويفتضح امرها، فلا يعود ممكناً طي شؤونها بطريق اللف والدوران؛ ولا يمكنها في النهاية ان تزيغ عن الحق امام قوة الرأي العام الجارفة .

يمكن ان يقال ان العمال البريطانيين في حاله من الرفاهية لاتنكر ، وليس لنجاح حزب العمال فضل في هذا ، بل هو تطور جيل ونصف جيل من السنين ، وسياسة العمال الحاضرة هي سياسة جميع الاحزاب ، ومهما يكن لون الحكومة السياسي فهي تعنى قبل كل شيء بان يكون هذا النظام سائداً وسائراً الى الامام في طرق تطبيقه . حتى لايعتري الصناعة وهن او توقف ، وحتى لاتقف مشاكل العمال في طريق والتقدم الصناعي في بريطانيا العظمى ؛ وهذه الحكومة القائمة اليوم وكل حكومة اخرى تقول لارباب العمل والعمال : حلوا مشاكلكم بانفسكم وفصلوا ملابسكم على قدر اجسامكم . ولقد بلغت مشاكل العمال في بريطانية بهذه الطريقة اقصى مابلغته من التنظيم في اي جزء من اجزاء العالم اليوم .

على ان النسبة التصاعدية في الاجور لاتنكر اطلاقاً ، والسبب في ذلك ان ارباح الشركات غير خافية ، وان مطالب نقابات العمال لا ترد متى كانت هذه الارباح بالغة حداً يجيز ـ في نظر المجلس المختص وفي نظر الصحافه والبرلمان ـ اشتراك العمال في حالة اليسر الناتجة عن مجهودهم : نوع من الاشتراكية لم يخلقها تشريع تجمد معانيه عند حدود الالفاظ والنصوص ، بل خلقها التطور التدريجي ، خلقتها تقاليد الشعب البريطاني ومسايرته لمقتضيات الحاجة .

التشريع الخاص بالحكومة البريطانية وتطبيقه اليوم

اصدرت الحكومة البريطانية في مطلع الحرب الاخيرة تشريعاً اسمته قانون الخدمة الوطنية، يحتم على كل بريطاني ان يخدم في سبيل بلاده ، واعطى هذا التشريع لوزير العمل صلاحية دعوة من يشاء الى العمل حيث تدعو الحاجة . والغاية التي استهدفها القانون حفظ التوازن بين عدد الرجال الواجب استخدامهم في الصناعة ، وعدد الرجال الواجب

استخدامهم في الجيش بجميع فروعه وفي الصناعة الحربية . ولكي يسهل على وزير العمل تطبيق هذا القانون وتلبية طلبات الوزارت المختلفة بتأمين حاجتها الى الرجال في الصناعة والجيش والبحرية والطيران ، أنشأ مصلحة احصاء عامة سجل فيها اسماء جميع الناس باعمارهم وكفاءاتهم ، وكان محتما على الوزير ان لايرسل الى الخدمة في الجو او البحر او البر رجالا من ذوي الكفاءة الفنية والاختصاص والحذق لا يستغنى عنهم في صنع الاسلحة لهذه القوات ، وان يرسل الى ميادين الحرب رجالا لايملكون مثل هذه الكفاءة الفنية ، ولما استعر اوار الحرب ، واشتدت الحاجة الى الجنود ، واضطر وزير العمل لاستخدام النساء في بعض الصناعات التي تستدعي مهارة فنية فائقة ، ولجأ في بعض الاحيان الى رجال لايملكون الكفاءة الفنية ، قسم العمل الفني الدقيق فيما بينهم الى اجزاء صغيرة ، بحيث تجمع هذه الاجزاء بعد ذلك ويتألف منها الغرض المطلوب .

ولما وضعت الحرب اوزارها ، درست قضية اعادة من يمكن اعادتهم من الجنود الى الصناعة ، وتقرر ان هناك حداً في تسريح الجنود يجب ان لايتعداه المسؤولون مادامت الحالة الدولية مرتبكة وغير واضحة ، وروعي في التسريح عاملان : عمر الجندي والمدة التي قضاها في الخدمة ، واستخلصت من الجمع بين هذين الرقمين طريقة حسابية لاعادة الجنود الى الحياة المدنية ضمن النطاق الممكن الى ان ينجلي الموقف العالمي .

ولكي يملأ بعض الفراغ في صفوف الجيش والبحرية والطيران ، استدعي من البريطانيين من بلغوا ١٨ عاما من العمر للخدمة العسكرية ، ولم يفرقوا في الدعوة بين ذوي المهارة الفنية وبين غير الماهرين كما كانوا يفعلون في ابان الحرب ، بل ان الامر اختلف اليوم اختلافاً كليا . ذلك ان كل بريطاني متى بلغ العاشرة من عمره ، يستطيع بحسب اسلوب التربية الحديث ان يتعلم مهنة ويزاول تعلمها بارشاد معلم قدير مدة خمس سنوات ، فالذين يبلغون الثانية عشرة من العمر يستطيعون ان ينتظموا في صفوف الجندية ، ويمكنهم ان يتمموا مدة الخمس سنوات في تعلم المهنة ثم يلتحقون بالجندية بعد ذلك ؛ ومدة الخدمة

اليوم سلتان ، ويؤمل ان تصبح سنة ١٩٤٩ ثمانية عشر شهرا .

الجندية في بريطانيا العظمى اجبارية اليوم ، ولكن لها طابع التطوع ، ذلك ان من يتقدم من ذات نفسه في سنه المعينة يستفيد من ميزة الاختيار بين البحرية والطيران والجيش ، فينتظم في السلك الذى يراه موافقاً لاستعداده الشخصي اذا لم تكن هناك موانع ، اما الذي يدعى للانخراط في الجيش بسبب عدم تقدمه للتطوع ، فلا مجال للاختيار لديه .

على ان التشريع الحربي القاضي بدعوة جميع الناس بين الثامنة عشرة والخامسة والاربعين للخدمة الاجبارية في صفوف الجيش والبحرية والطيران والصناعة الحربية لا يزال نافذاً الى اليوم حيث تدعو الحاجة اليه ، وهو تشريع معمول به في المناجم الآن افرط الحاجة الى الفحم والمحروقات .

هذه خلاصة ما يمكن قوله عن شؤون العمل في بريطانيا العظمى ، ويلاحظ ان النظام المتبع ناجح ، فليس هناك اضرابات ، والاضراب ينشأ عادة عن ارتباك العلاقات وسوء تنظيمها بين اصحاب العمل وبين العمال ، وليس هناك بطالة ، فاليد العاملة ناشطة والانتاج على خير ما يرام ، ولا مجال للاحتكاك والتشاد ما دامت لانظمة مرنة الى حد بعيد ، وما دامت موافقة لروح الشعب وللتقاليد العريقة في القدم التي يجري عليها الفريقان العاملان .

مأدبة الحكومة البريطانية للوفد

اقامت الحكومة البريطانية دعوة رسمية للوفد الصحفي في فندق سافوي ظهر اليوم ضمت طائفة من الشخصيات الكبيرة ، ترأسها الماجور ميرو وكيل وزارة الخارجية البرلماني ؛ ومن حضورها المستر هاو مساعد وكيل الخارجية ، والمستر باكستر من القسم الشرقي في وزارة الخارجية ، والدكتور نجيب الارمنازي وزير سورية المفوض في بريطانيا العظمى ، والاستاذ كميل شمعون وزير لبنان المفوض ، والاستاذ رجائي الحسيني مدير المكتب العربي ، والمستر روبرت فرازر

لمدير العام للمركز الرئيسي لنشر المعلومات ، والماجور جنرال بولوك رئيس دائرة نشر المعلومات التابعة لوزارة الخارجية ، والمستر ستيفنس ممثل الاذاعة البريطانية ، والمستر موريس فيتز جرالد من دائرة نشر المعلومات للشرق الاوسط التابعة لوزارة الخارجية ، والمستر اوستين بوزويل وزير بريطانية المفوض في لبنان ، والكولونيل السير اريك كرانكشو ، والمستر ريس ، وكان اعضاء الوفد الصحفي الخمسة موضع الحفاوة والاكرام .

في هذه الصورة بعض المدعوين الى مأدبة الحكومة البريطانية للوفد الصحفي

وبعد انتهاء الطعام وقف الجميع وشربوا نخب جلالة ملك بريطانية ، ثم نخب صاحبي الفخامة رئيسي الجمهوريتين في سوريا ولبنان ، والقى وكيل وزارة الخارجية

الذي يرأس الحفلة بالنيابة عن المستر بيفن الغائب اضطراراً عن لندن الكلمة التالية بالفرنسية ، وقد اجاب عليها احد اعضاء الوفد الصحفي الاستاذ زهير عسيران .

كلمة وزير الخارجية

انني مضطرب لتحدثي اليكم باللغة الفرنسية اليوم ، واعتذر اليكم على هذه اللهجة الانكلو ساكسونية المحضة ، واحب ان اؤكد لكم من جهة اخرى انني بين الوكلاء الثلاثة الذين يهتمون بالشؤون الخارجية اقواهم جميعاً فيما يختص باللغة الفرنسية !

ان لي عظيم الشرف باستقبالكم هنا اليوم باسم حكومة جلالته وباسم وزير الخارجية المستر بيفن ، ولا انوي مطلقاً التحدث اليكم بخطاب طويل ، بل احب ان اقول فقط اننا مسرورون ان نستقبل ممثلي صحافة بلديكم بيننا في زيارتهم لبريطانية ، ومسرورون ان نريكم ما صنعناه حتى الان لنعيد شرائط الحياة الطبيعية في بلادنا ، بعد مرحلة من اصعب المراحل واخطرها في تاريخنا القديم النبيل .

سيتاح لكم وانتم بيننا هنا ان تشهدوا جميع طرائق معيشتنا ، وان تلاحظوا التطورات التي تتم رويدا رويدا نحو شرائط افضل واكثر ملاءمة ، ففي معاملنا ومشاغلنا وفي المدن والريف ، نبذل جميعاً رجالا ونساءا اقصى ما تستطيعه قوانا لاعادة بناء بريطانيا الجديدة .

على ان حظكم كبير من هذه الجهة ، ولقد سمعتم ولا شك بالمشاريع التي تعدها الحكومة لنقل ملكية الصناعات والخدمات العامة الاكثر اهمية الى الدولة . ومنذ اسبوع فقط ؛ في اول كانون الثاني سنة ١٩٤٧ ، خطونا خطوة اولى كبيرة نحو هذه الغاية ، ففي ذلك اليوم اصبحت صناعة مناجم الفحم جميعها تابعة للادارة الحكومية ، ومن حسن الحظ لست اخطب الان امام مجلس العموم ولن يهاجمني احد هنا ليضطرني للدفاع عن سياسة الحكومة ، بل انني اريد ان اذكر لكم انكم ستكونون في مقدمة الاجانب الذين يزورون مناجم الفحم وعمال المناجم عندنا في العهد الجديد ، ونعتقد نحن ان النظام الجديد يسجل

تقدما هاما في سبيل التحسين الاجتماعي والاقتصادي ، وقد لا تشاطرونني الرأي ، ولكنكم ستتفقون معي على ان التجربة الاولى من نوعها في بلد ديموقراطي ، تستحق ان تدرس باهتمام وعناية .

وبقطع النظر عن هذا كله نأمل ان تجدوا شؤوناً كثيرة تلذ لكم وتثير اهتمامكم ، ومن المحتمل جداً انكم سمعتم شيئاً من النقد ، فنحن لا ندعي الكمال ، ولا ندعي اننا خلقنا جنة على الارض للعمال . ان لنا سبعماية عام من تجارب وسائل الحكم البرلماني والمحلي ، واننا نعلم تمام العلم ان ارضاء الناس جميعاً بلا استثناء في وقت واحد غاية لا تدرك ، ولكننا مدركون في قرارة نفوسنا اننا سجلنا تقدما صريحاً محسوساً في طريق التقدم الاجتماعي والانهاض العام من غير ان نضحي ذرة من حياتنا الشخصية والوطنية التي يقوم عليها اساس ديموقراطيتنا كلها .

وانكم كمواطنين في بلدين شهدا تكلل سنين من الجهاد في سبيل الحرية بالظفر ، تستطيعون ان تفهموا بسهولة رفضنا بقوة كل تسوية ، مهما يكن شأنها ، نضيع فيها اقل جزء من حريتنا . لقد شهدنا بروح العطف جهودكم ، والان وقد اصبحتم اسياداً في بلادكم نعتقد ان التجربة التي ستكسبونها من المجهود الذي بذلناه نحن لحل القضايا الاجتماعية في الساعة الحاضرة ، قد تكون مفيدة لكم في المصاعب التي قد تعترض سبيل حكومتيكم .

واني لآمل وانا ارحب بكم هنا اليوم ، ان تكون زيارتكم مفيدة ، ليس لكم وحدكم ، بل لنا ايضاً لتمتين الصلات الودية التي تربط بلادنا ببعضها .

الصحافة في بريطانيا

لندن في ٨ كانون الثاني سنة ١٩٤٧

زيارتنا اليوم لشارع الصحافة « فليت ستريت » خلقت في نفوسنا رغبات جديدة، ووجهتنا نحو معلمح جديد ، ربما كان السبيل الوحيد لرقي الصحافة وخلق رأي عام صحيح من حولها . الصحافة في سوريا كانت صحافة مبدأ، فمنذ عشرين سنة لم يكن يعتد في الصحيفة بغير الرأي الذي تعرب عنه ، والاتجاه الذي تخلقه في الناحية الوطنية — او الناحية غير الوطنية — فكانت الجرائد اداة تطور وتحرر ، ولم تكن اداة نشر واذاعة ؛ ولما نهضت الصحافة نهضتها الكبرى في الازمنة الاخيرة ، قصرت صحفنا في البلاد عن مجاراة هذه النهضة ، ووقفت عاجزة عن مسايرة الصحافة في اتجاهاتها واساليبها الحديثة ، مع ان تطور الاحوال من الانتداب والخضوع للسيطرة الاجنبيه الى الاستقلال والسيادة يوجب خلق الصحافة الحديثة في بلادنا وأنشاء مؤسساتها .

ليس حديثي اليوم عن صحافتنا ، وانما هي كلمة استطراد قبل الحديث عن الصحافة البريطانية ، فلقد زرنا ثلاثة من مؤسساتها ، زرنا جريدة « الايفننغ نيوز » في « الكارمليت هاوس » بنائها الضخم ، وكانت الجريدة قيد التحرير وقيد الطبع بعد الظهر ، ذلك ان كل جريدة صباحية او مسائية لاينتهي عملها متى وضعت صفحاتها على الآلات الطابعة ، بل ان الآلات تسير في انتاج الالوف وعشرات الالوف ومئات الالوف

بينما التحرير يستمر في استجماع الاخبار الجديدة للطبعات الثانية والثالثة والسادسة ، والمعمل الطباعي الضخم يواصل عمله ايضاً لتحضير هذه الطبعات .

تصنع جريدة من هذه الجرائد الكبرى على طريقة سهلة معقدة ، سهلة لان المسؤوليات الموزعة والمجتمعة في شخص رئيس التحرير ومدير المطبعة ومدير التوزيع

الوفد امام « اللينوتايب » في مطبعة جريدة « افننغ نيوز »

ومدير قسم الاعلانات، ثم في اشخاص المعاونين الكثيرين المختصين لكل واحد من هؤلاء وغيرهم ، تجعل الجريدة كالمعمل في انتاجها واخراجها وعرضها . بل مالي اشبه الجريدة بالمعمل ؟ انها معمل كبير ضخم لايقل شأنا حتى من الوجهه الصناعية عن أي معمل آخر . الاخبار الخارجية ترد الى غرفة آلات الالتقاط وتدون رأساً ، وبين هذه الآلات خطوط خاصة بالجريدة ترتبط بمراسليها في العواصم الكبرى « تليبرنتر »، والاخبار المحلية يأتي بها المخبرون الكثيرون في ساعة معينة، وينقلون الكثير منها الى ادارة

الجريدة بالتلفون ، والاخبار الرياضية يهيئها فرع خاص بمخبريه ومحرريه ورئيس قسمه ، والمقالات يكتبها قسم خاص بالتعليقات في ادارة الجريدة ، وفرقة المحررين في المكتب هي التي تعطي الاخبار صيغتها . رؤساء الاقسام يجتمعون مرتين في اليوم الى رئيس التحرير ليتناقشوا في الاخبار وفيما يعتبر ابرزها بالنسبة الى ذلك اليوم ،

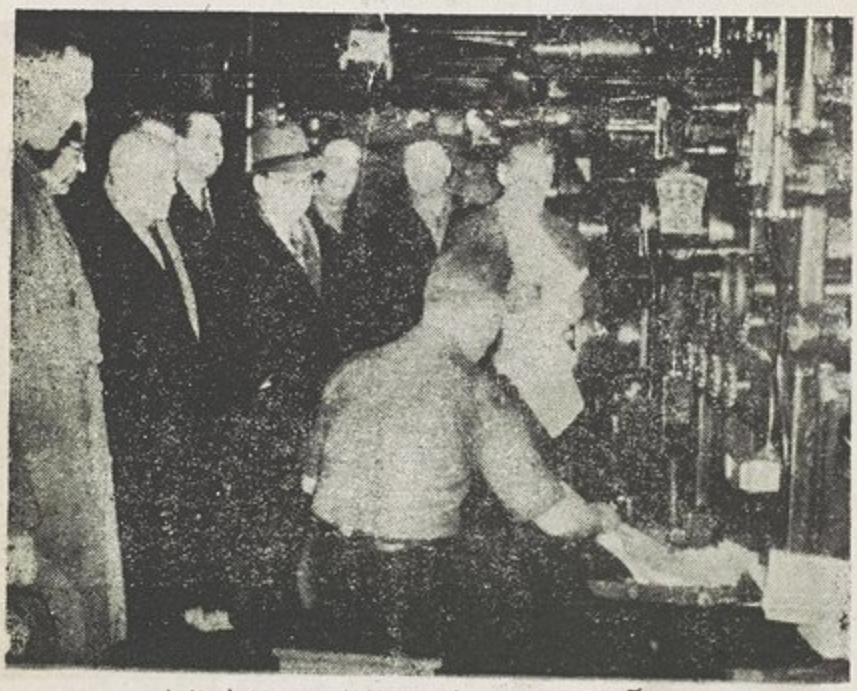

امام الآلة الطابعة التي تنثر ثلاثين الف نسخة في الساعة

وليتنافشوا في توجيه الجريدة او يتلقوا هذا التوجيه على الاصح ، وعندما تحرر المقالات والاخبار وتوضع عناوينها ، تضرب على الآلات الكاتبة ثم ترسل بواسطة اسلاك اتوماتيكية الى قسم الصف في المطبعة ، وفي هذا القسم العدد الكافي من آلات « اللينوتايب » غالباً او « المونوتايب » وتوابعه وصناديق صف الاحرف كما في « التايمس » . وبعد اعادة الاخبار المنضدة بنفس الطريق الاوتوماتيكي لتصحيحها ، ترتب في الصفحات ، وتبدأ عملية صب القوالب بواسطة الآلات المختصة ، وتنتهي هذه

القوالب التي تطبع منها نسخ كثيرة الى الطابق الثاني والثالث تحت الارض حيث تجثم آلات الطبع الضخمة ، ويشرع في اراج الطبعة الاولى ٢٥ الف نسخة : مطوية من الجريدة مهما يكن عدد صفحاتها تنثرها الالة في الساعة ذات اليمين وذات اليسار ، او ٣٠ الف نسخة او ٤٥ الف نسخة في بعض الاحيان . فاذا جاء وقت

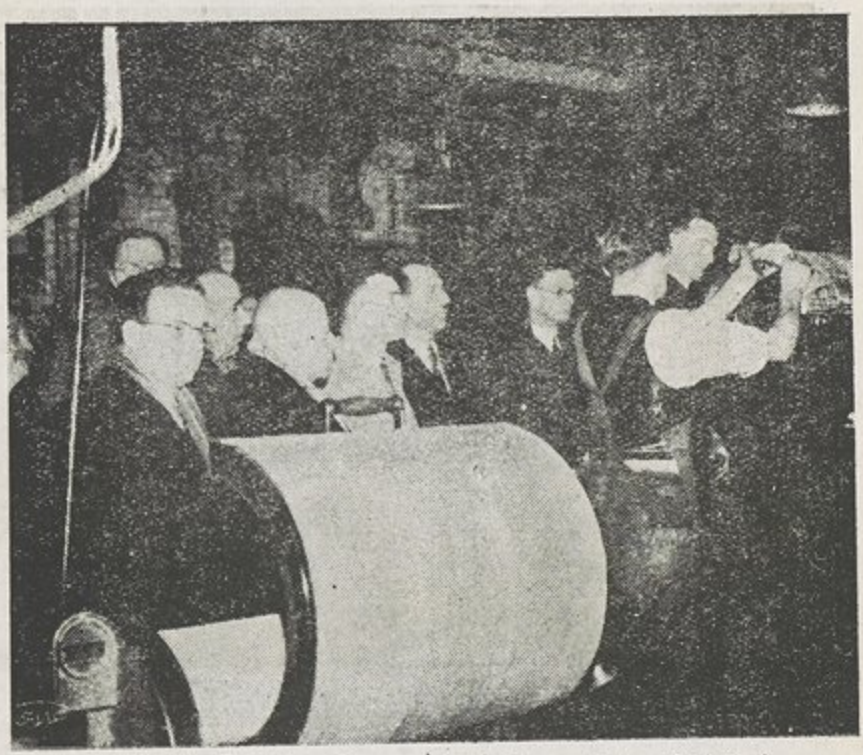

في المطبعة حيث تصب صفحات الجريدة بشكل قوالب من الرصاص

الطبعة الثانية ارسلت القوالب من القسم المختص بتحضيرها ، وهكذا تنتهي جريدة « الايفننغ نيوز » مثلا الى طبع مليون وستماية الف نسخة ، وتنتهي « الدايلي ميل » الى طبع مليونين وربع مليون من النسخ ، وجريدة « الدايلي اكسبرس » الى ثلاثة ملايين ، و « الدايلي هرالد » و « الدايلي ميرور » كل منها الى مليون ، و « النيوزاوف ذي وورلد » الاسبوعية الى سبعة ملايين !

و« الدايلي ميل » هذه تصنع على مقربة من زميلتهـــا في « نور ثكليف هاوس » ولها تحضيرها الخاص باعتبار وقت الصدور ، كما ان لها فريقين ايضاً يعمل احدهما في النهار والثاني في الليل ويكمل كل واحد منها عمل الآخر . على ان « الدايلي ميل » و« الايفننغ نيوز » و « الصاندي ديسباتش و « الافرسيزدايلي ميل » تابعة كلها لشركة واحدة هي « شركة الصحف المتحدة » .ومتى بدأ طبع الجريدة ارسلت نسخهامعدودة بحركة اتوماتيكيـة في الآلة الطابعـة الى مكان رحب حيث يجري التوزيع ، فتوضع عناوين الطرود وتنقل اتوماتيكياً الى مكان مجاور تقف فيه عشرات من سيارات النقل . وقد احصينا خمسين سيارة كتب عليها اسم « الايفننغ نيوز » في معـــارج شارع الصحافة امام دار الجريدة ، وربما كان لدى الجريدة اضعـاف هذا العدد من سيارات التوزيع في لندن ، وربما كان لها عدد كبير منها في غير لندن ايضاً .

قيل لنـا ان ١٦ الف عامل بينهم موظفو التوزيع يعملون في « الدايلي ميل » بينما لايعمل في معمل « برسيفـال » لصنع الطـائرات مثلا الا الف وستمائة عامل فقط ، وليس هذا بالعدد الكبير اذا قيست كمية النسخ التي تطبع من الجريدة بما يقتضي لنقلها وتوزيعها من الايدي العاملة . وهذه الصحف الكثيرة عدد النسخ يقرأهـــا الشعب بطبقاته الدنيا والمتوسطة ، وتقرأها الطبقات الراقية ايضاً لتتبع الاخبار .

وهنـاك جريدة « التايمس » ذات الاهمية والاثر الكبير في التوجيه ، جئنـا الى دارها في « هاوس سكوير » لنشهد الطبعة الاولى من طبعـاتها في الساعة العاشرة : صالات انيقة في الطابق الارضي ، وباحات واسعة في امكنة التحرير والتحضير والطباعة ، ونظام وانتظام لم نشهد مثلها في مكاتب ومطابع الصحف الاخرى ، وآلة طابعة ضخمة ذات ثلاث طوابق ، لم يمض على انتاجها اكثر من عشر سنين ، تتألف من عشرة اقسام كل قسم منها آلة طابعـة مستقلة تطبع ٤٥ الف نسخة في الساعة ، فاذا اشتغلت كلها انتجت اقل من نصف مليون نسخة بقليل في الساعة . والتايمس لاتطبع مع ذلك اكثر من ٢٦٠ الف نسخة كل يوم ، ولكن هذه النسخ القليلة تقرأها النخبة الممتازة من الانكليز ؛ وقلما خرج بريطاني من الطبقة الراقية من داره صباحاً قبل ان يطالع التايمس . وقد اسس التايمس سنة ١٧٨٥ المستر جون والتر وعمل فيها اربعة اجيال

من احفاده ، وشهدنا والتر الحالي رابع الاحفاد مع المستر كاتلر الذي استقبلناوحدثنا عن الجريدة حديثا طيباً ، وكان للورد نور ثكليف مؤسس بعض الجرائد التي تكلمنا عنها يد كبرى في نجاح التايمس ! والمعروف ان التايمس تعبر — بصورةغير رسمية او شبه رسمية — عن وجهة نظر الحكومة في اكثر الشؤون ، ولاسيما في الشؤون الخارجية ، ولكن المستر كاتلر قال لنا مبتسما ان الجريدة يتفق رأيها مع الرأي الرسمي مصادفة في كثير من الاحيان . . وقد يختلف احياناً فتوجه ملاحظتها الخاصة في شأنه ،

جريدة التايمس محترمة الجانب ، رغم ضالة عدد النسخ التي تطبعها بالنسبة الى غيرها ، والجرائد الكثيرة الطبع لاتتمتع بمثل هذه الحرمة ، وربما كانت النظرة اليها غير ملائمة ، فهي تعتبر تجارية في الدرجة الاولى ومتى اخذت الجريدة طابعا تجاريا فقدت روعة التأثير في الرأي العام رغم تأثره بتوجيهها .

لست من الذين يتوقعون للصحافة في بلادنا اتساعاً مماثلا ولو حفظت النسبة بين عدد السكان هنا وهناك ، لان عوامل الزواج عندنا مفقودة : القراء قلة لايركن لها ، والاكثرية القارئة تعتبر الجريدة شيئاً دون الحاجة ، لذلك ينتقل العددمن يد الواحد الى يد الآخر حتى لايبقى فيه رمق ، ومادام انتشار الصحف في سوريه محدوداً الى هذه الدرجة، فان تتعاش مؤسساتها لن يكون قريباً . ومع ذلك فان رؤية المؤسسات تخلق عندنا روحا من الامل في ان تسير الصحافة في بلادنا نحو النهوض لتقوم بواجب التوجيه الجديد في عهد الاستقلال ، ولتحمل اعباء السياسة الوطنية التي كانت شيئاً من الدعاية في صفوف الشعب المناضل لحريته ، فاصبحت نوعا من المسايرة لاهداف الدولة في نطاق العمل الداخلي والعمل الخارجي الدولي معاً .

جولة في قصر وندسور

لندن في ٩ كانون الثاني ١٩٤٧

اشرقت الشمس اشراقة لاعهد للندنيين بمثلها في ايام هذا الشهر من السنة ، بعد يومين عاصفين من الثلج والبرد الشديد ، فكنا نحس ونحن في طريقنا بالسيارات صباحاً الى مدينة وندزور لزيارة القلعة والقصر الملكي والكنيسة ، ان حرارة الشمس التي لايحجبها اي رداء من الضباب تشيع في اجسامنا الحرارة ، ومن غرائب الطبيعة ان تحمل اشعة شمس لندن الدفء في شهر كانون الثاني !

قطعنا مسافة ثلاثين ميلا الى وندزور في مزارع الريف التي لم يخف عري الشتاء جمالها ، وقبل ان نصل المدينة تراءت لنا القلعة على هضبة عالية ، تشبه اسوارها الحجرية قلاع الشرق . مع هذا الفارق الواضح الذي لابد منه من جراء اختلاف طراز البناء في بعض اقسام القصر في الداخل .

دخلنا من الباب الرئيسي ، وكان يحرسه جندي بريطاني انتصب كتمثال من الحجر لاحراك فيه ، ورافقنا الدليل الاول يقول ن هذا القصر بناه وليم الغازي سنة ١٠٧٠ ، ويدل على ذلك الزجاج المنقوش فوق الباب، وعلى قاعة المحكمة التي كان يحاكم فيها من يسرق خروفاً من السكان فيحكم عليه بالموت شنقاً... ثم يقول الدليل : هنا برج سالسبوري بناه الملك هنري الرابع في القرن الثالث عشر ، وهنا كنيسة القديس جاورجيوس شيدها الملك ادوارد الرابع سنة ١٤٧٤ ، وهذا مدخل الملوك اليها في حفلات العمادة والزواج والدفن، وقد دفن في الكنيسة من الملوك ادوارد الرابع وهنري السادس

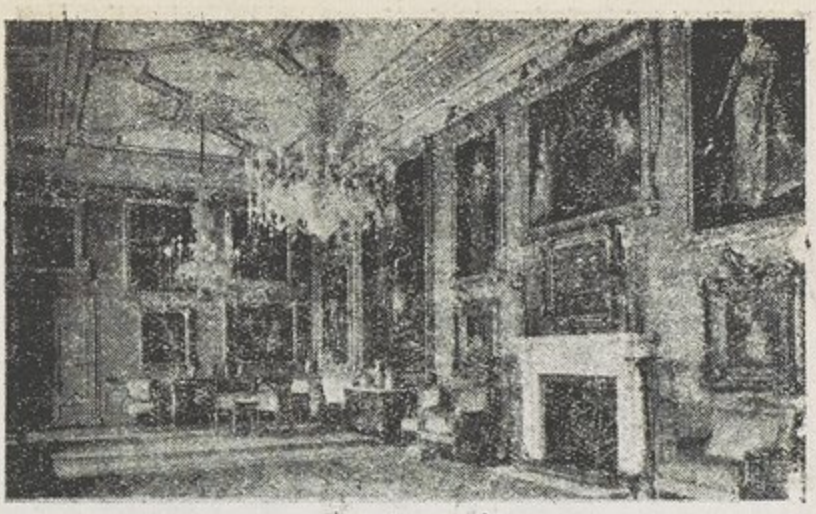

قاعة « فان ديك » وفيها اكبر مجموعة من اجمل صور الفنان الهولندي الكبير فان ديك

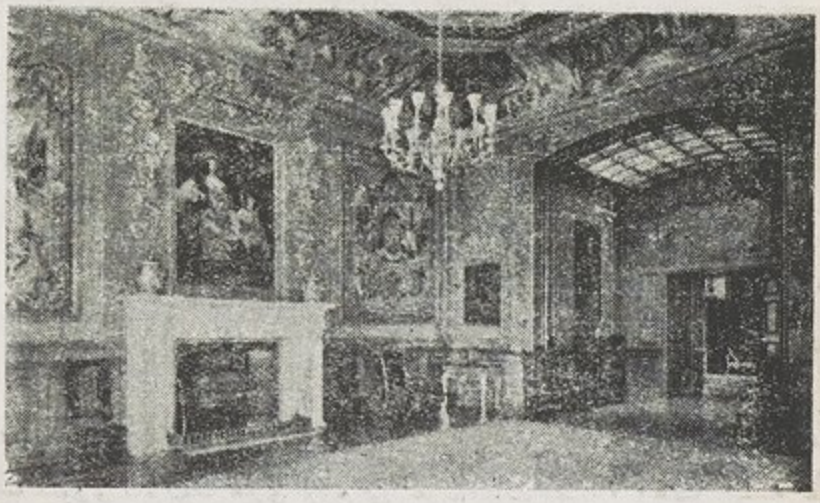

قاعة طعام الملك شارلس الثاني. وقد زخرفت جدرانها وسقفها بالنقوش واللوحات الجميلة

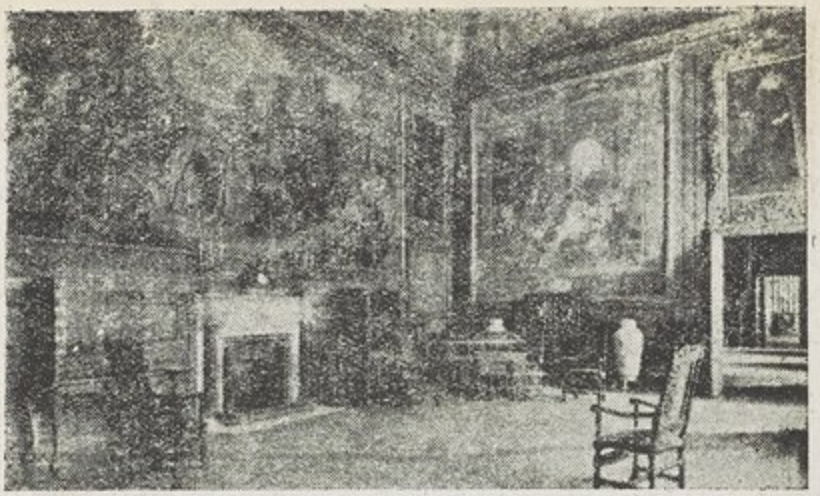

قاعة الاستقبال الكبرى في قصر وندزور ، وفيها من اللوحات والنقوش ما يعتبر
اندر مجموعة قائمة

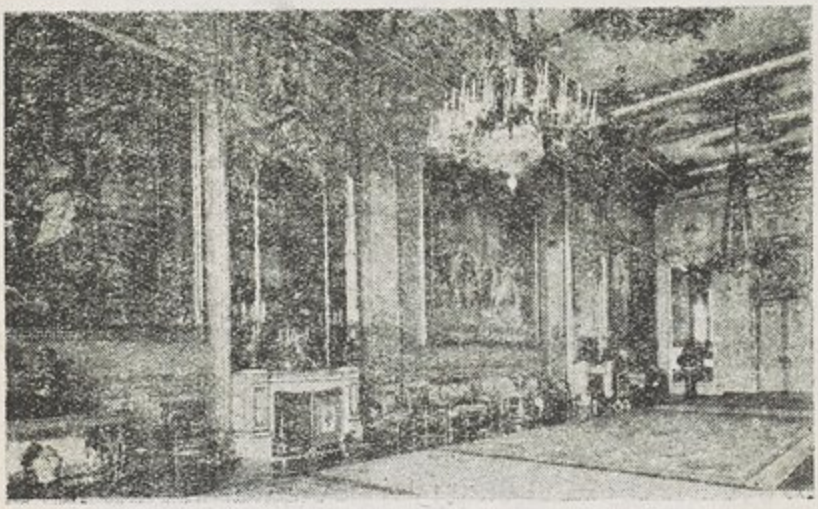

قاعة استقبال الملكة ، وهي من حيث التزيين من القاعات التي لا مثيل لها
في القصور الملكية

وشارلس الاول وهنري الثامن والملكة جان سيمور والملك ادوارد السابع والملكة الكسندرة واخيراً الملك جورج الخامس . وقد نزع زجاج القصر الملكي في ابان الحرب الاخيرة خشية الغارت الجوية ، وكان قد نزع قبل ذلك في عهد كروموبل خوفاً من عدوان جنوده سنة ١٦٤٩ . وامام الكنيسة غرف جوقة المرتلين، بنيت سنة ١٤٧٤ وهدمت سنة ١٨٧٠ واعيد بناؤها بعد ذلك بشكلها الاول. وفي غرفة من هذه الغرف عرض شكسبير رواية « النساء المرحات في وندسور » لاول مرة قبل عرضها على الجمهور . ويتابع الدليل محاضرته القيمة فيقول : هنا يسكن الكهنة ، وفي مكان مجاور يسكن رئيس اساقفة الكنيسة ، وكان هذا الجناح من قبل مسكن الملك هنري الثالث . هنا مسكن فرسان وندسور وعددهم اثنا عشر فارساً يرأسهم قائد ، وهم لايزالون في القصر . هناك داخل البرج المستدير كان يسجن رجال الحكومة المذنبون والمجرمون السياسيون ، وقد بقي الملك جيمس الاول الاسكتلندي ١٨ عاماً سجيناً فيه ، وسجن فيه الملك جاك الفرنساوي عدة سنوات ، واسر فيه الملك داود الاسكتلندي ، وكان من قبل مسكناً للملك ادوارد الثالث ، وفيه اسس وسام ربطة الساق المقدسة .

في الناحية الاخرى من القلعة باحة خضراء واسعة الارجاء ، انتصب في مقدمتها تمثال الملك تشارلس الثاني بلباس امبراطور روماني ، وقامت من حولها ابنية فخمة يتخذها جلالة الملك الحالي مقراً له ولاسيما في الصيف ، وينزل فيها ضيوف الملك ، وقد سكنت الاميرتان جناحاً منها طيلة مدة الحرب .

عدنا الى جناح من القصر هو غير مسكن الملك ، ورافقنا المستر ويلز امين القصر في تجوالنا فيه ، فرأينا أثمن وأعجب مايرى : مدخل امتلأت جوانبه بالتماثيل والرايات والمدافع والدروع والاسلحة القديمة . ثم صالة جمعت فيهـــا مجموعات من الاواني الخزفية المذهبة ، وصالة تتبعها ثانية فثالثة فرابعة لضيافة الملوك الاجانب ، فقد كان هذا الجناح من القصر حتى سنة ١٩١٨ يتخذ داراً للضيافة الملكية ؛ وهذه الصالات مزخرفة بشكل لامثيل له . ومزدانة بالصور والنقوش وقطع السجاد والتحف النادرة الثمينة هنا غرفة « روبن » ، وكل ما فيها من الصور وهو من صنع روبن الرسام الهولنـــدي

الشهير ؛ وهنا سرير ماري انطوانيت في غرفة النوم الملكية ، وقد كان ملك البرتغال آخر من نام عليه من الملوك ، ثم غرفة اللباس والمكتب ، ثم ممشى الصور وفيه مجموعة من التحف الفرنسية ابتاعها الانكليز بعد الثورة كما ابتاعوا سرير ماري انطوانيت ، وصالة خاصة للفنان الهولندي فان ديك اجتمع فيها ٢٥ صورة من اكبر صوره واجملها ، ثم غرفة الاسلحة والتحف والدروع والرايات ، فيها عرش توج عليه الملك جورج ، وآخر توجت عليه ماري ، وكرسي البرنس اوف ويلس ، ثم تمثال دوق ولنغتون بطل معركة واترلو والراية الفرنسية فوقه ، وتمثال دوق مالبورن بطل معركة ملانهايم ، وقد اقطع كل واحد من هذين البطلين بعد ظفره مقاطعة ضخمة؛ ومن التقاليد الموروثة التي لا تزال قائمة ان على من يتلقى هذا الانعام الملكي ومن يخلفه ان يأتي قبل الساعة الثانية عشرة ظهراً من يوم ذكرى المعركة ويقدم الى الملك علماً افرنسياً ثمناً للمقاطعة ، والعلم الجديد يعلق مكان العلم القديم الذي يحفظ ، فاذا ما قصر في هذا الاجراء اضاع ملكية المقاطعة .

وهنالك قاعات كبرى ، اولها قاعة القديس جاورجيوس التي تقام فيها المآدب

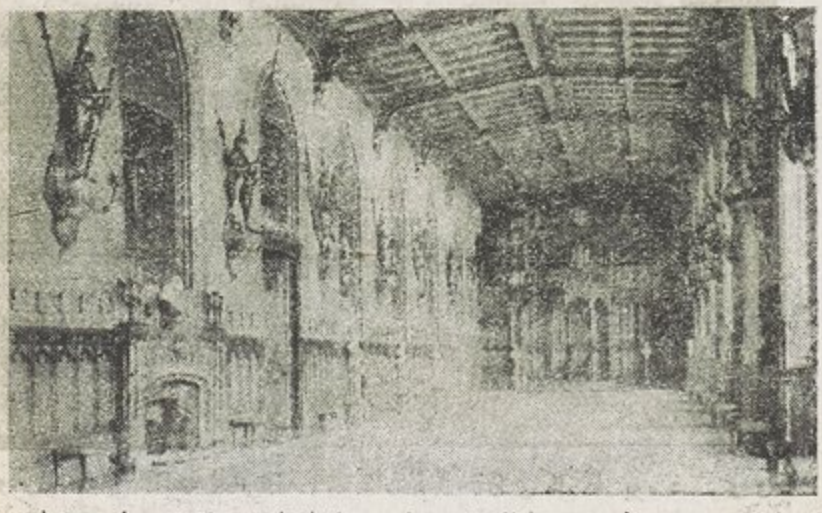

قاعة سان جورج ، وفي صدرها العرش وعلى جدرانها تماثيل رائعة ، وفي سقفها نقوش اوسمة ربطة الساق

الملكية الكبرى ، وقد وضعت على سقفها وعلى جدرانها شارات وسام ربطة الساق المقدس ، وفي القاعة ٨٩٦ شارة لمثل هذا العدد من الشخصيات الانكليزية والاجنبية التي نالت هذا الوسام ، وآخر هذه الشخصيات الملكة ولهلمينا ملكة هولندة ، والقائدان الكبيران الكسندر ومونتغمري اللذان نالا هذا الوسام منذ مدة قريبة ، ومن خصائص هذا الوسام ان حامله يصبح من النبلاء ويحمل لقب « سر »، وقد اعتذر المستر تشرشل عن قبول الوسام يوم قرر الملك ان يقلده اياه ليحتفظ باسمه المعتاد « المستر تشرشل ». وقد حمل هذا الوشاح احد سلاطين بني عثمان .

وحكاية وسام ربطة الساق جديرة بان تنقل ، وخلاصتها ان الكونتس سالسبوري، بينما كانت في حفلة راقصة في قصر وندسور ، في برج القصر المستدير الذي كان يسكنه الملك ادوارد الثالث ، وقعت ربطة ساقها، فاخذ الفرسان يتغامزون ويبتسمون، فانحنى الملك وتناول الربطة وهو يقول : ان هذا سيكون اعظم وسام في الامبراطورية، وشعاره : ان بعض الظن اثم ... *HONNI SOIT QUI MAL Y PENSE*

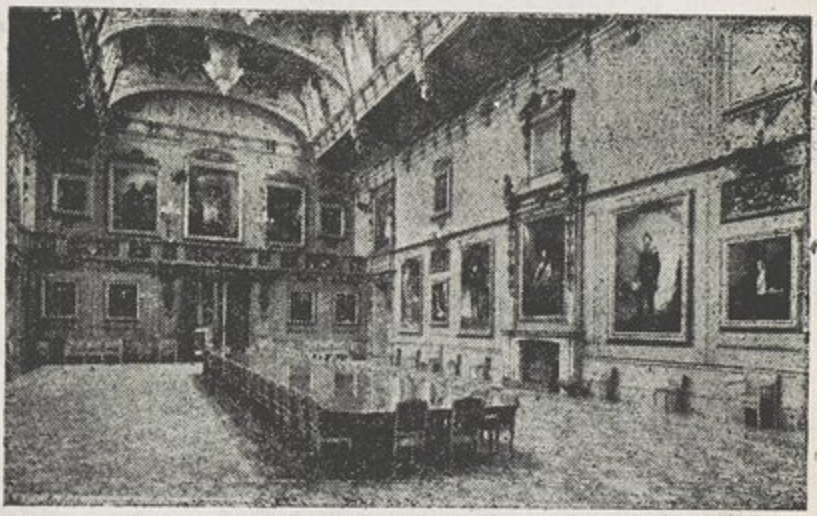

قاعة واترلو ، وهي القاعة التاريخية التي تقام فيها حفلة في كل عام يوم ذكرى واقعة واترلو الشهيرة

دخلنا قاعة واترلو ، وهي من أكبر قاعات القصر ، فرشت في ارضها قطعة واحدة من السجاد جيء بها من الهند مساحتها نحو الف متر مربع ، وعلقت على جدرانها اجمل القطع الفنية ؛ وتقام في هذه القاعة كل عام مأدبة ملكية كبرى يوم ذكرى واترلو ، وعندما يقيم جلالة الملك جورج في قصر وندسور يستعمل هذه القاعة للحفلات الراقصة والحفلات السينمائية ، وكانت هذه القاعة في ايام الحرب الماضية تستعمل قاعة للتمثيل المسرحي .

لم يكن فيما شهدناه من روائع الفن اجمل من قصر وندسور ، فقد فرغنا من هذه الجولة وقصدنا كنيسة القصر ، ومكان المرتلين فيها بني سنة ١٤٧٥ ، ولكن عليه من روعة الفن مالا يستطاع وصفه ؛ والى جانب المرتلين المقاصير الملكية التي يجلس فيها والعائلة المالكة للصلاة ، ثم على الجدران شارات فرسان ربطة الساق مع سبعة اعلام منشورة للاحياء الذين يحملون هذا الوشاح ؛ والاحتفال باهداء هذا الوشاح انما يجري في هذه الكنيسة بحفله دينية خاصة . وقد شهدنا تمثال الملك دوارد السابع مسجى الى جانب مذبح الكنيسة وعلى مقربة منه تمثال الملكة الكسندرة زوجته ؛ وشهدنا وراء المذبح سيف ادوار الثالث مؤسس الوسام ، وفي ارض الكنيسة بين صفي مقاعد المرتلين دفن ملوك بريطانية الذين ذكرناهم ، وينبغي ان يكون مايرى في المدفن تحت الارض اروع مما يرى هنا .

كلية ايتون التي تخرج فيها العظماء

كنا نطل من حدائق القصر على مدينة وندسور ، وهي من المدن الصغيرة ، يبلغ عدد سكانها نحو ٢١ الفاً ، وفيها كلية ايتون وكنيستها .

هذه الكلية يرتادها ابناء عظماء انكلترا ، ولايتجاوز عدد طلابها الالف ، يسجل فيها الطالب منذ ولادته حتى يجد دوره في التسجيل والقبول . اسس هذه الكلية الملك هنري السادس سنة ١٤٤٠ ، ولا تزال قاعة التدريس الاولى قائمة فيها ، وقد انفجرت في اثناء الحرب الاخيرة سنة ١٩٤٠ قنبلة من قنابل الالمان في المدرسة ، فهدمت الجناح المجاور لها ، ولو اصابت القنبلة هذه القاعة القديمة من قاعات التدريس

وفدنا في باحة كلية ايتون امام البرج والساعة التاريخية القديمة

في قاعة التدريس الاولى بكلية ايتون ، اقدم قاعة تدريس في العالم

لكانت الخسارة لاتعوض ، لأنها اقدم غرفة للتدريس في العالم بقاعدها وادواتها الاصلية ، وهي تستعمل حفظاً لتقاليد المدرسة التي بدأت يومذاك بسبعين تلميذاً كانت تستوعبهم هذه الغرفة جميعاً .

لهذه الكلية نظم وقواعد خاصة ، فالتلاميذ الكبار فيها يتولون الادارة والاشراف ، وتفرض على الصغار طاعتهم والا كان مباحاً ضربهم ، وهم جميعاً يأتون الكلية بالملابس الرسمية السوداء والقبعة العالية التي يلبسها رجال السلك السياسي . وفي المدرسة سبعون تلميذاً من الفقراء يسجلون منذ ولادتهم ايضاً ليستطيعوا ادراك دورهم ، ويقبلون بعد اجتياز فحص خاص . وقد احتفظ بهذا العدد من الفقراء اشارة الى عدد تلاميذ الكلية الاصلين .

في القاعة التي نقشت فيها اسماء المخرجين من كلية ايتون على الخشب ، وترى تماثيل بعض المخرجين من الكلية من عظماء بريطانية

تخرج من هذه الكلية عدد لايحصى من الانكليز والاجانب ، سجلت اسماؤهم في القاعات حفراً في الخشب ؛ والعادة المتبعة ان يدفع التلميذ المنتهي عشرة شلنات لهذه الغاية ؛ تخرج منها ١٧ رئيساً للوزارة في بريطانيا العظمى والوف من اعضاء البرلمان ، وتخرج منها كذلك ملك بلجيكة والامير نيقولا اليوناني وملك سيام الذي توفي مؤخراً واللورد بيرون الشاعر الشهير واللورد بلفور الذي يذكر العرب بالالم والاسى وعده المشؤوم وكثيرون من اسرة بلفور ، وتماثيل العظماء المتخرجين من ايتون تملأ اكثر القاعات .

اشترك في حرب سنة ١٩١٤ — ١٩١٨ من المخرجين من الكلية ٥٤٧٨ ضابطاً وجندياً قتل منهم ١١١٥ رجلاً وجرح ١٥٠٠ ،وقد نقشت على زجاج احدى نوافذ الكنيسة صورة تمثل الصليب الناري ذكرى لهؤلاء المفقودين والجرحى . وفقد في هذه الحرب من طلاب الكلية ٧٢٨ طالباً اقيمت لوحة تذكارية لهم ، ونقشت على زجاج الكنيسة لوحة اخرى للذين ماتوا في حرب القرم ، اما الذين نالوا وسام ربطة الساق من طلاب المدرسة ، فشاراتهم معلقة في الكنيسة . وقد كانت هذه الكلية دينية محضة ، ولا تزال عليها مسحة التعليم الديني والتقاليد الدينية . ولكنها في اسلوبها ووضعها مؤسسة ذات طابع خاص لاشبيه لها في العالم ، وهي تزار وتدرس من هذه الجهة .

حفلة المكتب العربي للوفد

اقام المكتب العربي في لندن هذا المساء في فندق ريتز مأدبة عشاء على شرف الوفد الصحفي ،حضرها الجنرال سبيرس والوزيران المفوضان لسورية ولبنان والجنرال بولوك وعدة شخصيات بريطانيه كبيرة من رجال وزارة الخارجية ودائرة نشر المعلومات والمدير العام لوكالة الانباء العربية ومدير مكتب لندن والملحق الصحفي في السفارة المصرية وموظفو المكتب العربي ، وقد كانت المأدبة انيقة ممتازة ، وفي نهاية الطعام القى مدير المكتب العربي الاستاذ رجائي الحسيني الخطبة التالية :

خطاب مدير المكتب العربي

سادتي — لقد قيل اذا شئت ان تكسب عداوة الاصدقاء ، فاضرهم بعد الغداء ، ويعلم الله انني ابعد الناس عن الرغبة في خسارة صداقتكم او في الاساءة الى رسل الصحافة ، ولذلك فاني استميحكم بكلمة صغيرة فقط لارحب بكم باسم المكتب العربي ولاعرب لكم عن اغتباطه بلقائكم في هذا البلد الطيب ، ولاشكركم تفضلكم بتلبية دعوتنا هذا المساء رغم برنامجكم الحافل وضيق وقتكم .

اخواني — لقد نزلتم هذا البلد الطيب ؛ ورأيتم وسوف ترون من اسباب عظمته ماهو جدير بالاعجاب ، وما هو جدير بالدرس والنقد ، وما هو جدير بالنقل والاقتداء ، واني لعلى يقين من انكم سوف تحملون معكم لاهل بلدكم رسالة قيمة تنطوي على كثير من العبر والفوائد لتلك الارض المقدسة التي تقف الان على عتبة عصر جديد ، وانني تتطلع اليكم لتنيروا لها السبيل ولترشدوها في سيرها الى الطريق السوي .

واذا جاز لي ان اتطفل فاني اقترح ان تحملوا في جملة ما تحملون الرسالة التالية التي هي نتيجة اختباري للانكليزي منذ عهد طويل ، فقد عرفت الانكليزي كزميل في الدراسة ، وعرفته كمعلم وكأستاذ في الجامعة ، وعرفته كصديق وكخصم ، وعرفته كسياسي ، وعرفته كنبيل وكعامل ، فعرفت بذلك كثيراً من صفاته وطرفاً من خلقه لم يتيسر لكثير منا معرفته ، وان انا رغبت اليكم في ان تطلعوا العربي على طرف من هذا الخلق ، فانما ارغب اليكم ان تطلعوه على امر له اثره الكبير في علاقاتنا مع الانكليز وفي مستقبلنا القومي .

ان الانكليزي يحترم قبل كل شيء نفسه ، ولا يحترم الا من احترم نفسه ، فهو بذلك يقول مع شاعرنا « ومن اكرمته عزة النفس اكرما » ، فهو يكره التملق وان ابتسم تأدباً ، وهو يحتقر الضعف وان لم يبد ذلك تعففاً ، فهو رياضي بكل ما في هذه الكلمة من معنى ، لا يحترم الا الخصم الكريم القوي ، ولا يصادق الا من اتصف بتلك الصفات ، فان اردت مصادقته ونيل احترامه فاجعله يشعر بانك من مستواه ؛

وانك قادر على ان تكيل له الكيل كيلين ان خيراً وان شراً . هذه صفة يجب ان نعرفها جميعاً ، ففي معرفتها والعمل بها خير لك ولقومك وخير لاصدقائك الانكليز .

والرسالة الثانية التي ارجو ان تحملوها هي ان تطلعوا العربي على مقدرة الانكليزي على التطور الاجتماعي ، بل على الثورة الاجتماعية دون اهراق الدماء ، فبوسائلهم الدستورية التي يجدر التمثل بها ، تمكنوا كما ترون بأم العين من احداث ثورة اجتماعية كبيرة بعيدة الاثر في حياتهم دون ان يهرقوا نقطة دم واحدة ، مع ان ثورة كهذه عند غيرهم من الامم يتطلب احداثها انهراً من الدماء . هذا ليس بالشيء الناتج عن جبن ، فتضحيتهم في الحرب الاخيرة اكبر دليل على شجاعتهم ، انهم قوم يضنون بدمائهم ان تسفك في سبيل الخلافات الداخلية ، ويحتفظون بها كي تسفك في سبيل الدفاع عن حريتهم وكرامتهم .

هاتان الرسالتان ارجو ان تحملوهما الى بني قومنا في جملة ما تحملون ، ففيهما عبرة وفيهما عظة ، وانتم خير من حمل الرسالة .

ورد الاستاذ سعيد قريحة باسم الوفد شاكراً المجهود الضخم الذي يبذله المكتب والمفوضيات العربية رغم ضعف وسائلها ، وحمل الاستاذ الحسيني بدوره رسالة يؤديها الى الانكليز في سبيل بلادنا التي تفتقر الى الدعاية كسلاح ضروري في حالة السلم . وانصرف المدعوون في ساعة متأخرة شاكرين للمكتب العربي كريم حفاوته .

مصنع برسيفال للطائرات

لندن في ١٠ كانون الثاني ١٩٤٧

ما اسرع ما يتقلب الطقس في بريطانية العظمى ، لقد ظهرت عليه عند وصلنا هذه العاصمة الى اليوم مرونة الانكليز ... بالامس كانت الشمس تملأ رحاب الجو ، واليوم تكاد السيارة تقف في مكانها لشدة الضباب . علينا اليوم ان نزور معامل برسيفال لصنع الطائرات في مدينة « لوتون » ، وكان ممكناً ان نبلغها في ساعة فوصلناها في نحو ساعتين ، وعلى ارضها قطع الجليد ، وفي مطارها من حالات القطب الشمالي أثر اي أثر !

جرى التعاون بيننا وبين هيأة الادارة في مكتب مدير العمل ؛ ثم نزلنا جميعاً الى المطار ، فشهدنا طائرة جاثمة على ارضه ، هي احدث ماصنع من الطائرات ، دار محركها وسارت حالا فوق ارض غير مستوية من الحشيش الاخضر ، فلم تكد تبتعد عشرين متراً حتى ارتفعت عامودياً في الجو وبلغت عنانه ، وفي لحظة واحدة اخذت تهبط وترتفع ، وتميل ذات اليمين ذات اليسار ، ثم تخفف السير في الجو كأنها تقف ، تنزل فجأة الى ارض المطار بلا لف ولا دوران ، وبدون تلك المقدمات والاحتياطات التي الفناها من الطائرات . هي طائرة بركتور ٢ العجيبة ، اوصت سورية على مثلها وتلقت اربعاً من طراز يختلف عنها باعتبار انها طائرات تدريب للمبتدئين .

بعد ان تناولنا الطعام بضيافة شركة برسيفال ، انتقلنا الى المعمل نطوف اقسامه ،

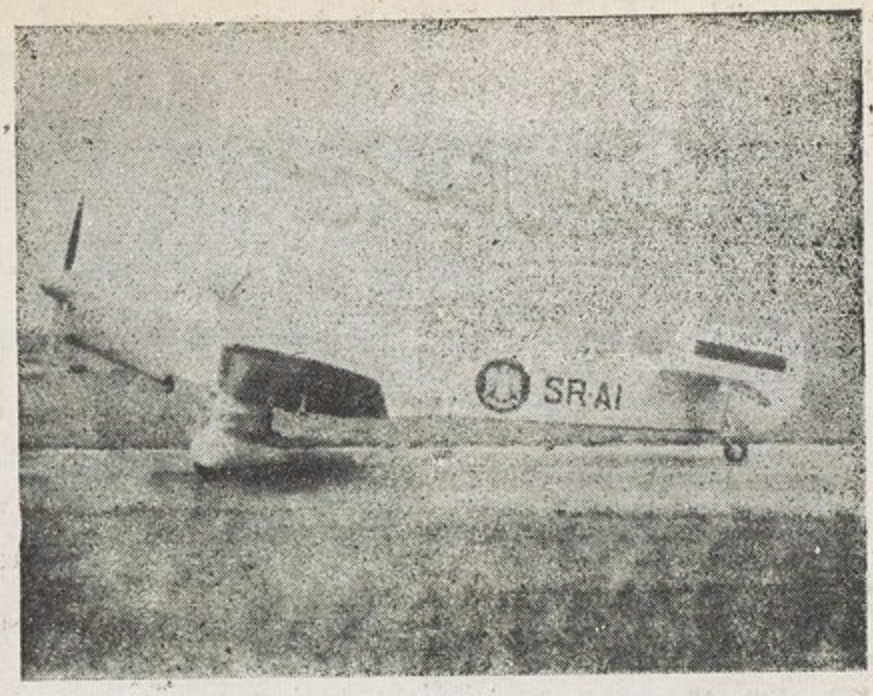

طائرة بروكتور V من طائرات سورية جاثمة على ارض مطار برسيفال بانتظار ارسالها الى البلاد السورية ، ويظهر في مؤخرتها العلم السوري

ونتتبع صنع الطائرة من اول قطعة من قطعها الى ان تصبح جاهزة للتحليق في الجو . وليس في نقل مشاهدات المعمل مايمكن ان يكون ذا فائدة ، خصوصاً اذا كان الناقل رجلا غريباً عن الطيران وفنونه ، الا ان هناك ظاهرة تستحق العناية والذكر ، وهي ان ربع العمال الذين يعملون في المعمل من النساء . انهن ناشطات في عملهن الشاق في اكثر الاحيان ، يشتركن في هذا المعمل في انتاج ستماية طائرة مختلفة الاحجام في السنة اشتراكا هو حسنة من حسنات الحرب في بريطانية العظمى .

ومن الامور التي يجب ان تذكر بعناية وبصورة خاصة لمناسبة هذه الزيارة ، ان

المس جين باتن سجلت على طائرة صغيرة من طائرات هذا المعمل شهدناها في الحظيرة ، بطوله خارقةاستمرت منذ عام ١٩٣٥ حتى هذه السنة، فضربت ارقاماًقياسية في الابعاد على التوالي ، وعملت في المواصلات الجوية طيلة مدة الحرب ، ويحتفظ المعمل بهذه الطائرة نموذجاً من نماذج التفوق ، وتذكر المس باتن التي سميت الطائرة باسمها كواحدة من البادرات في البطولة بفنون الطيران .

وشركة برسيفال هذه واحدة من عشرين شركة للطيران تعمل في انحاء المملكة المتحدة في سبيل القوة الجوية الامبراطوريةوالمواصلات المدنية .

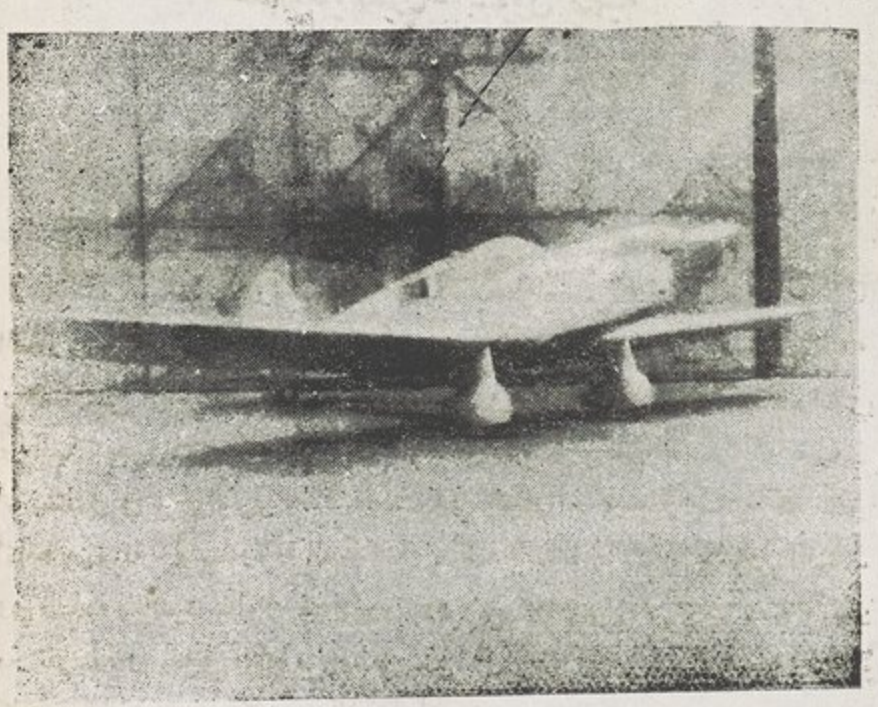

طائرة المس باتن التي ضربت ارقاماً قياسية مختلفة . وهي من صنع معمل برسيفال للطائرات ، ويحتفظ بها في احدى حظائره

في مراقي اسكتلندة

زيارة العاصمة ادنبرة
مشكلة بناء المنازل - الشؤون الصحية
زيارة منجم ومزرعة

ادنبره في ١٣ كانون الثاني ١٩٤٧

في صباح امس غادرنا لندن عاصمة بريطانية الى ادنبره عاصمة اسكتلنده . وركبنا القطار في الساعة الحاديه عشرة صباحاً من محطة « كينغ كروس » اي صليب الملك، وكانت شمس بريطانية مشرقة كأحسن ماتشرق في مثل هذه الايام . والقطارات في بريطانية تتحاشى السرعة حالياً لانها تستهلك بالسرعة كمية من الفحم اكبر يفضلون أن تستعمل في سبل اخرى ، لذلك قضينا في القطار احدى عشرة ساعة كنا ننتقل اثناءها بين غرفة جلوسنا وقاعة الطعام لتناول الغداء ثم لتناول الشاي ثم لتناول العشاء . وفي الساعة العاشرة مساء وصلنا ادنبره ، وهي تبعد ٣٩٣ ميلا عن لندن اوستمائة كيلو متر تقريباً ، وحللنا في فندق « نورث بريتش اوتيل » ، وكانت المدينة في شبه اغفاءة كما هي بريطانية العظمى كلها يوم الاحد وليله .

نحن في هذه المدينة الشمالية على مقربة من بحر الشمال ، تفصلنا عنه بضعة اميال فقط ، والمد والجزر يصلان بالماء المالح الى مدينة ادنبره في نهر فورث العظيم . البرد على اشده ، والشوارع يكسو الجليد ارصفتها ، وفي بعض نواحيها اكداس من

الثلج الذي تناثر منذ ايام في اكثر انحاء الجزر البريطانيه ، فاذا هو يزول بسرعة في لندن ويبقى اياما في ادنبره .

المدينة ليست من المدن الكبرى ، عدد سكانها ٤٤٠ الفاً ، ولكن خصائص السكان هنا تختلف عن خصائص الانكليز ، وقد كان تاريخ اسكتلندة حافلا بالحوادث مع الانكليز ، ثم تأسست الوحدة الكاملة ولم يبق من خصائص السكوتش الا هذا النوع من الخشونة ، او قل من الرجولة التي هي طابع الشماليين ، وتلك الذكرى التي لاتبرح النفوس لامجاد اسكتلندة ورجالها في التاريخ ، ثم هذه السرعة في الامتزاج بالناس نسبياً خلافاً لما هي عليه حالة الانكليز . وتشبه مدينة ادنبره بعض مدننا في الشرق من حيث فقدان الازدحام في الشوارع وهدوء حركة السير ، وهي كما قلنا لاتكاد تبلغ نصف مليون من السكان ، ولكن الناس هنا يسرعون الخطى في الشوارع او يترا كضون في بعض الاحيان ، لان الهواء البارد يصفع الوجوه صفعاً أليماً ، ومن الخير اجتنابه بالخطى الحثيثة الى حيث توقد النيران في البيوت او في المخازن والمحلات التجارية ، وكثافة السكان في اسكتلندة ضئيلة بالنسبة الى انكلترة ، ففيها اربعة ملايين وثمانمائة الف من السكان في مساحة لاتقل كثيراً عن مساحة ارض انكلترة ، وليس في هذا خروج على طبيعة الاشياء . والمناطق الشمالية تكثر فيها الجبال ، واسمها « هايلاند » اي الارض المرتفعة ، ويتزايد فيها البرد تبعاً لارتفاعها ولقربها من القطب الشمالي ، وقد تنقضي اسابيع من الشتاء وهي مغمورة بالثلوج والجليد . الا ان اهل اسكتلندة يعتدون بالصيف ، وقد سمعت الكثيرين يأسفون لان رحلتنا اليهم كانت في فصل الشتاء ويقولون ان مزارع اسكتلندة ومناظرها في الصيف شيء فتان لامثيل له .

وفي ادنبره ثلاث صحف رئيسية ، اهمها جريدة « سكوتشمان » اي الرجل السكوتلندي وهي صباحية ، وجريدتا الايفننغ نيوز والدبلي ميرور وهما مسائيتان ، ويقرأ صحف اسكتلندة كل اسكتلندي ، وتدل هذه الحالة عندهم على نزعة اقليمية لاتبلغ حد التاثير على وضع بريطانية الوطني .

مشكلة منازل السكن في اسكتلندة

اول جزء من برنامج اقامتنا في ادنبره زيارة دار الحكومة السكتلندية في «سانت اندروز هاوس» والاستماع الى بحث مشكلة بناء المنازل في اسكتلنده ، ويتبادر الى الذهن حالا متى ذكرت مشكلة بناء المساكن ، ان الحرب هي التي خلقت هذه المشكلة ؛ وان البيوت التي هدمتها قنابل الالمان هي التي يراد اعادة بنائها ، هذا صحيح بالنسبة الى مدينة لندن وبعض مدن انكلترة في الجنوب والغرب ، ولكن للمسألة طابعاً آخر في اسكتلنده ، فقد هدمت الحرب هنا سبعة آلاف منزل من مجموع مليون وثلاثمائة الف ، والشيء في اثناء الحرب مايعوض عن الاضرار الواقعة ؛ فليست الغارات اذن سبب المشكلة ، وانما سببها ان البيوت القديمة لاتساير المستوى الصحي ولاتضمن راحة السكان ورفاهيتهم ؛ فهي ضيقة وقديمة وغير مستوفية للشرائط المطلوبة في البيوت الحديثة . وقد تراءت ضرورة اعادة بنائها في اثناء الحرب ، فدرست القضية درساً فنياً انجلى عن تقرير يوضح ان اسكتلندة بحاجة الى نصف مليون بيت ، وان هذه الحاجة ملحة تستدعي السرعة في البت والانجاز ، وبرغم صعوبات فترة الانتقال من حالة الحرب الى حالة السلم ، وبرغم فقدان المواد الاولية اللازمة للبناء ، وضرورة استيراد بعض مايلزم البناء في هذه المنطقة من الخارج كالقرميد من بلجيكة ، فان الموافقة قد تمت منذ اواخر الحرب على المباشرة ببناء ستين الف بيت ، وفي الاونة الاخيرة اقترنت الخرائط والمخططات لتسعين الف منزل بالموافقة ، واختيرت الاماكن اللازمة للبناء ، ووافقت الحكومة والسلطات المحلية في اسكتلندة على كل مايتعلق بها ، ومن اصل ثلاثين الف منزل جرى توزيعها حتى الان ، تم بناء ٥٣٠٠ بيت ، وتبدو الصعوبة في توفير المواد الاولية كالرصاص المفقود في اكثر انحاء العالم والتجهيزات الكهربائية والحديد المصبوب للانابيب ، ولكن هذه الصعوبة تتضاءل مع الوقت .

بيوت موقتة تبنى في المعامل

ولكي تحل المشكلة باسرع من الوقت المقدر لها ، وتمتد هذا الوقت بضع سنين ، تقرر بناء مساكن موقتة تنشأ في المعامل وتنقل الى اماكنها ، واصاب هذا هدفين اثنين ، فوفر للمعامل العمل ، واوجد مساكن للسنتين التاليتين بعد الحرب ، وقد تقرر بناء ٣٢ الف منزل تم منها الى اليوم ١٣٦٢٦ ويؤمل انجاز الباقي هذه السنة ، والبيوت الموقتة فيها جميع وسائل الراحة ، فيها حمامات ومدافئ وبرادات ومطابخ فضلا عن الغرف الصحية الممتازة .

وفي البرنامج الاساسي للبيوت الدائمة تقرر العدول عن الاساليب القديمة في بناء البيوت من القرميد ، واستعمال الاسمنت والحديد والخشب في بعض الاماكن ، وسيكون ثلث الانشاءات الجديدة من الاسمنت والحديد . وتعنى السلطات اعظم عناية لتكون هذه المساكن مستوفية لجميع الشرائط وافية بالحاجة الى اقصى حد ، وقد اختيرت الاماكن لنحو ٢٠٦ آلاف بيت في اسكتلندة ، والعمل جار بسرعة كبيرة لانجاز هذه البيوت في وقت لا يتجاوز عشر سنين .

من الذي يبني المساكن في اسكتلندة ؟

هذه المنازل تبنيها الحكومة ومجالس المحافظات . وتتحمل الحكومة غالباً معظم التبعة ، فتستدين المال وتقدم الاثاث للبيوت . فاذا لم يتمكن مجلس المحافظة من المساهمة مالياً عمدت الحكومة الى « الشركة الخاصة لبناء المنازل الاسكتلندية » لتدفع جزءاً من التكاليف . وهذه المنازل تصبح بعد بنائها ملك مجالس المحافظات ، وتؤجر الى الناس باجر معتدل جداً ، فالبيت العادي الذي يشتمل على اربع غرف للسكنى مع صالة استقبال وحمام وبراد ومطبخ ومايتبع ذلك يؤجر بنحو ٢٧ جنيهاً وكلفة بنائه لاتقل عن ١٢٠٠ جنيه ، ومع ذلك لاتفي اجرته بفائدة المال ومصاريف الحفظ والاستهلاك ، فتتحمل الحكومة الفرق لتغطية العجز . ولو ارادت الحكومة ان تقرر بدل ايجار سنوي يكفي لنفقات الفائدة والحفظ لكان عليها ان تتناول خمسين جنيها اجراً سنوياً ،

ولكن الغاية الاصلية من هذا المشروع هي توفير بيوت السكن الصحية الملائمة للاسكتلنديين باجر معتدل وكلفة معقولة مقبولة ، فلو قررت اجراً عالياً للسكن لفقدت الغاية وتحولت عن قصدها .

والبناء الفردي غير شائع في اسكتلندة ، ففي الفترة بين الحربين كانت ثلاثة ارباع البيوت تملكها مجالس المحافظات ، على حين تختلف الحالة في اجزاء بريطانية الاخرى بحيث يملك الافراد في انكلترة ثلاثة ارباع المنازل .

ليس هذا المشروع باليسير ، فان بناء نصف مليون بيت في اسكتلندة بمعدل الف ومائتي جنيه لكل بيت ، يؤلف رقماً هائلا مقداره ستة مليارات من الجنيهات ، اذا قسمت على مدى عشر سنين مثلا ، كانت النفقة السنوية ستمائة مليون جنيه ، وهي ميزانية الدولة السورية لاربعين سنة . ويتبادر الى الذهن حالا ان بريطانية العظمى تبني بهذه البيوت كيان الدولة وتحفظه ، وتحدد الحيز الذي يجب ان يحتله البريطاني من هذا الكيان ، على اعتبار ان الفرد يجب ان يؤدي واجبه ، ولكن ينبغي ان ينال حقه ايضاً ، ومن اولى حقوقه ان يسكن بيتاً صحياً معتدل الاجر ، وان ينال الخدمات الطبية مجاناً على نحو ماتقرر مؤخراً ، وان يناله من عظمة الدولة ومن حسن حالها نصيب اوفى نصيب .

سيطرة الدولة على التنظيم المدني

الى جانب القضية الحيوية قضية المساكن الصحية الملائمة ، توجه العناية بشكل مطرد نحو التنظيم المدني العام ، اي نحو تنظيم استغلال الثروة على سطح الارض واستخراج الثروة من بطن الارض ؛ وتدخل الدولة في هذا المضمار يوجد الانسجام ويخلق الاطراد في العمل ، ويبلغ بالانتاج الى اوج قوته ، وهو تنظيم جديد يرجع عهده الى سنة ١٩٠٩ ويفرض استغلال الارض على افضل وجه ممكن في سبيل الخير العام . قبل هذا التاريخ كان الرجل الذي يملك قطعة ارض صالحة

للزراعة حيث تقضي الحاجة باستغلال خيرات الزراعة ، يستطيع ان يبني عليها معملا وينشيء صناعة . ولكن القوانين التي سنها البرلمان بين سنة ١٩٠٩ وبين سنة ١٩٤٠ خولت السلطات المحلية حق فرض مشروع لاستغلال الاراضي على الطريقة المثلى ؛ وبينما كان تدخل الدولة سلبياً في السنين الاولى ؛ اصبح بالتالي ايجابياً ، وجعل الشخص الذي يريد استغلال ارضه على غير الاسس الموضوعة والخطط المدروسة عاجزاً عن مباشرة استغلالها ، وكل ما يستطيع ان يفعله هو ان يستنكف عن لاستثمار و كفى الله المؤمنين القتال !

وقد خطت الحكومة خطوة ثانية في هذا المضمار سنة ١٩٣٠ حيث وضعت الاسس الملائمة لتشجيع الناحية الايجابية من مشروع التنظيم المدني العام ، وانشئت دوائر مختلفة في اكثر الوزارات لتأمين الانسجام والتعاون والتوفيق بين مختلف المصالح ، وفسح امام صاحب الارض باب الشكوى الى وزير الدولة اذا لم يكن التنظيم متفقاً مع الحاجة والحالة الراهنة ، منعاً للظلم وتحاشيا للضغط .

وتدخلت الحكومة في مسألة هامة اخرى ، وهي مسألة استثمار ارتفاع قيم الاراضي بشكل غير مشروع ، فجعلت تحديد قيمة الارض التي يرتفع ثمنها الى اضعاف اضعافه بسبب انشاء مطار الى جانبها مثلا ، امراً واجباً لامندوحة من الخضوع له ، والناس في بلادنا يعرفون مدى هذا الاستثمار ، ويعرفون ان مزرعة من المزارع يقفز ثمنها بالتدريج من الف ليرة الى خمسين الف ليرة ، لان شبكة من الطرق انشئت في محيطها ، فلا يصيب البلدية منها الا الربع النظامي الذي يستعمل للطرق ، والا مبلغ ضئيل باسم « الشرفية » لا يكاد يبلغ واحداً في الالف من مجموع الربح غير المشروع في اكثر الاحيان !

ضمان مستقبل عمال المناجم باسكتلندة

وتدرس الحكومة اليوم باهتمام مسألة العمال في اسكتلندة من ناحية ضمان مستقبل ايامهم ، فان معظم العمال هنا يعملون في مناجم الفحم والحديد ، والمناجم ليست

سرمدية ابدية ، فاذا نضب منجم وتعطل انتاجه، كان مصير العمال المختصين البطالة، وكان حقاً على الدولة ان تحمل وزر هـذه البطالة من ثروتها الوطنية ، وقد تنبهت السلطـات الى هـذا ، واخذت تشجع انشاء الصناعات المختلفة وتدرب العمال عليهـا، حتى تجد في هـذه الصناعات باب رزق للعمال ، يردونه حينما تغلق في وجوههم سبل العمل في المناجم .

وتشجع الحكومة انشاء الصناعات الخفيفة باحـدى طريقتين : الاولى هي انها تبني من اموال الدولة مصـانع في الاماكن الستراتيجية ، وتؤجرها لارباب العمل باجر بخس لـكي يستخدموها في سبيل تشغيل العاطلين عند الحـاجة ، والحكومة التي يهمها العامل اكثر ممـا تهمها الآلة تبني حول هذه المصانع حدائق كبيرة ووسائل مختلفة للترفيه ، والطريقة الثانية هي ان الحكومة تقدم هبات مالية للمجالس المحلية لتجعل المحيط في اماكن الصناعات الثقيلة جذابا بهيجاً ، وتعنى بطرق المواصلات واماكن السكنى وما الى ذلك .

انشاء مدن جديدة في اسكتلندة

وتعنى الحكومة هنا بانشاء مدن جديدة على الطراز العصري الحديث ، ولقد كان انشاء المدن في التاريخ تابعاً للصدف او للمناسبات ، وكثيراً ما تبعت المدن ضفـاف الانهر او البحيرات ، ولكن انشاء المدن اليوم من الشؤون التابعة للحاجة وللتنظيم، ويراد منها تخفيف الزحام حول بعض المناطق الصناعية ، وايجاد مناطق جديدة يختلف اليها الناس . وقد بدئ باسكتلندة ببناء مدن جديدة ، عدد سكان كل واحدة منها يتراوح بين ٣٥ — ٥٠ الفاً ، ووضعت مصورات هذه المـدن ، وستعطى مقاولاتها لشركات خاصة تتولى انجازها .

الشؤون الصحية والامراض السارية

جلس الينا رجل كبير يحدثنا عن شؤون الصحة في اسكتلندة ، هو السر اندره دايفدسون رئيس ادارات الصحة في حكومة السكوتش ، كان يصدر عن علم وخبرة

ومعرفة ، قال ان الاساليب المتبعة في لندن هي الاساليب المتبعة هنا ، انما هناك نواح خاصة تفرضها طبيعة اسكتلندة وتفرق السكان في ربوعها .

هناك امراض سارية مختلفة ، ولكن المشكلة الكبرى التي نعانيها هي السل . وقد كانت مكافحته ناجحة قبل الحرب . ولكن الاصابات كثرت من جراء الحرب ، ونسبة الوفيات من المصابين بالسل اليوم في اسكتلندة هي ٦٩ في الالف . وتظهر في السنة عشرة آلاف اصابة في مختلف انواع السل كانت قبل الحرب سبعة آلاف . ويعالج المصابون بثلاث طرق . طريقة سلبية تقضي بوضع المريض في المصح بحالة الراحة التامة وتغذيته تغذية صحيحة : وطريقة ايجابية باعطاء المريض ابرة الهواء لاراحة الرئة وقطع بعض الاعصاب او ابطال عملها ، وطريقة اخيرة تقضي باجراء عملية كبرى لاستئصال بعض اضلاع المريض وتقليص رئته . والنتائج حسنة اجمالا . ويلحق بالسل مرض بالرئة يصاب به عمال المناجم بسبب تنشقهم الهواء الممزوج بالفحم .

ومرض الروماتيزم منتشر في اسكتلندة ، ولا سيما بين عمال المناجم ، بسبب تعرضهم لرطوبة مدة طويلة . وفيما عدا حالة المناجم يعتبر مرض الروماتيزم منتشرا بين الناس ايضاً . واحدث طريقة لمعالجته هي الحقن بالذهب . وهناك الطريقة الطبية المعروفة باعطاء المريض عياراً كبيراً من ساليسيلات الصودا مع التدليك والاشعة فوق البنفسجية ، والى الآن لم يعرف جرثوم الروماتيزم . وهو لا يزال بحاجة الى ابحاث علمية مستفيضة ، حتى يصبح القضاء عليه اكيداً لا شك فيه .

ومرض السرطان منتشر هنا ، وهو آخذ بالازدياد ، ولكن سبب هذه الزيادة هي اننا اصبحنا نكتشف الاصابات في اطوارها الاولى ، وان معدل طول العمر قضى بتسجيل عدد اكبر من المرضى . ويتوقف شفاء السرطان على المنطقة التي يداهمها من الجسم . وليس هناك رأي نهائي يقطع به ، ولكن الاستاذ دودج من جامعة لندن نجح في استعمال دواء للسرطان في المثانة اسمه *Stulbo astral* ولم تقع اصابات كثيرة من هذا النوع ليحكم بدقة في شان فعالية الدواء . وقد أسست الحكومة سنة ١٩٣٩ مصلحة لمعالجة السرطان توقف عملها بسبب فقدان الراديوم . الى هنا

انتهى حديث السر اندره دافيدسون ، وقد كنا نعرف انه كثير المشاغل ، فودعناه وودعنا اركان الحكومة شاكرين .

هذا بجمل ماينبغي ان يقال عن شؤون اسكتلندة اليوم ونحن في جولتنا الخاطفة في عاصمتها ، وهناك شؤون كثيرة اخرى سنتناولها في رسائل اخرى .

جولة في قلعة ادنبرة التاريخية

ادنبرة في ١٤ كانون الثاني ١٩٤٧

مدينة ادنبره تشبه بعض مدننا في الشرق ، شوارعها تصعد وتهبط وتعلو وتنخفض ، وفي اعلى مرتفع منها قلعة ادنبره ، وعلى الجانبين من باب القلعة تمثالان للبطلين ولس وبروس اللذين حررا اسكتلندة من الانكليز ، وفي مدخلها حصى الدليل المرافق لنا سبعة ابواب ، وكان الوادي باكمله حتى سنة ١٨٢١ — وهو اليوم حافل بالعمران — بحيرة ماء حول القلعة تجعلها امنع من عقاب الجو ، ذلك ان القلعة لعبت دوراً مهما في تاريخ المدينة وفي نضال سكتلندة ؛ وكانت ملجأ حصيناً ودرعاً متيناً عندما كانت المعارك عنيفة في سبيل تحرير البلاد ، وقد حبس فيها دوق اوف اوزغايو خائن اسكتلندة .

والقلعة اليوم متحف ومزار ، وقد اضيفت اليها بعض الابنية في مناسبات مختلفة ، ولا سيما بعد الحرب العالمية الماضية ، وعلى اسوار القلعة مدافع قديمة بينها مدفع ضخم يطلق المنجنيق ، غنمه السكوتش من الفرنسيين في معركة مونتز سنة ١٤٧٦ . وتطلق في ادنبرة في الساعة الواحدة بعد ظهر كل يوم طلقة واحدة من احد مدافع القلعة اشارة الوقت ، وهو تقليد قديم جار منذ سنة ١٨٦٠ قبل ان تنشأ ساعة المدينة ، ولا يزال يحترم الى اليوم في بلاد تدين بالتقاليد وتتمسك بها ولا ترضى بما دونها .

من مشاهد القاعة كنيسة سانت مارغريت ، وهي اصغر كنيسة في العالم تتسع لنحو ٢٠ مصلياً ، والبرنسس مارغريت حملت الى هذه الكنيسة في اول يوم من ايام الجمعة

في تشرين الاول زهرة مرغريت ، فاخذت فتيات ادنبره اللواتي هن في سنها ويحملن اسم مرغريت يأتين في كل يوم من ايام الجمعة بزهرة مثلها ، ويمكن القول ان الازهار النضرة اذا خلت منها صالات ادنبره ، فان هذه الكنيسة لاتخلو منها على الاطلاق. ومن مشاهد القلعة ايضاً مقبرة صغيرة لكلاب الجنود ، قلما تخلو من اكاليل ، لا رحبتها الصغيرة ،

ذكرى السكوتش في الحرب الماضية

قلنا ان بناءاً جديداً شيد في القلعة في نهاية حرب ١٩١٤ — ١٩١٨ ، اريد منه تخليد ذكرى السكوتش الذين ماتوا في ميادينها ، وقد زين في داخله اجمل تزيين ، وملئت جدرانه وسقوفه بالتماثيل والمشاهد المنحوتة على الحجر ، ونقشت على نوافذ الزجاج ابدع النقوش من وقائع الحرب ، وفي احد جناحي البناء قرأنا هذه الاسماء منقوشة على احد الجدران : « القدس — غزة — دمشق » ، وعلى جدار آخر مقابل لهنقشت هذه الاسماء « مرج ابن عامر — بغداد — ايران » وفي الجناح الآخر كتبت هذه الاسماء متقابلة : « مقدونية — دوران — غاليبولي » ثم « انزوك — اركانجيل — افريقية » ، وهي ترمز الى المعارك التي خاضها الجنود السكوتش في الحرب الماضية . وفي جناح نصفي ثالث اقيم هيكل من النقوش والتماثيل وضعت في داخله لوحة الشرف التي سجلت فيها اسماء مائتي الف اسكتلندي قتلوا او جرحوا او تفردوا بالبطولة النادرة.

في داخل القلعة ايضاً بناء البرلمان الاسكتلندي القديم ، وقد تحول الى معرض سلحة نارية فيها المدافع والبنادق ، واسلحة معدنية فيها الدروع والسيوف والرماح؛ ويلفت النظر بين الاسلحة السيف الاسكتلندي القديم وطوله متران وعرضه اكثر من عشرين سنتمتراً ، ومجموعة من الرايات من غنائم معارك القرون الماضية .

جواهر التاج الاسكتلندي

هناك غرفة ضيقة وضعت فيها جواهر التاج الاسكتلندي ضمن قفص زجاجي ، وفيه التاج الذهبي ووزنه ٥٦ اونسة من الذهب الخالص ، ترصعه ٩٤ لؤلؤة و٦٣

حجراً كريماً ، وهو من مخلفات القرن الرابع عشر . وفي القفص صولجانان صنعا سنة ١٤٩٤ وسيف ذهبي مرصع صنع سنة ١٥٠٧ ، وقلادة رصعت بـ ١٢٢ حجراً من الماس وفي ظهرها صورة القديس جاورجيوس على صهوة جواده وهو يقتل التنين ، ثم خاتم وشاح سانت اندروز رمز اسكتلندة وحاميها ، وقلادة وسام ربطة الساق من الذهب الخالص ووزنها ٢٢ اونسة . ويذكر مذيع هذه الشروح ان الملك شارلس الثاني آخر من تقلد هذه الجواهر يوم توج في « سبكون » سنة ١٦٥١ ، ولم يلبسها ملك آخر بعد ذلك .

كان البرد شديداً لايحتمل ، والرياح تصفع الوجوه بقوة ، والجليد المكدس في ارض القلعة ومرتفعاتها يجعل التجوال مستحيلا ، لذلك القينا قبل انصرافنا من القلعة نظرة على المدينة ، فاذا هي فاتنة ، ونهر « فورث » العظيم في الناحية الشرقية يوهم انها اتصلت ببحر الشمال ، وهي متصلة به في الواقع ، وكثيراً ماتصل مياهه المالحة الى ضفاف النهر في ادنبره .

في منجم كومري ومزارع روزبري

في صباح اليوم حملت نقالة بحرية كبيرة سياراتنا مع عشرات السيارات والركاب الى الضفة الثانية من نهر فورث ، على مقربة من جسر السكة الحديدية الذي يعتبر آية من آيات الفن ومعجزة من معجزات الصناعة ، والذي يصل ادنبره بشمال اسكتلندة من ناحية الشرق ، ثم حملتنا السيارات الى منجم كومري للفحم ، وهو اكبر مناجم الفحم في اسكتلندة ، وخلعنا ثيابنا لنلبس ثياب المنجم ونحمل اضواءه ، وهبطنا الى نحو اربعمائة وخمسين متراً تحت الارض بالمصعد الذي يحمل اثقال الفحم في بعض الاحيان والماء يقطر من جوانبه ، حتى وصلنا الى عالم السراديب حيث القطارات والشاحنات والثاقبات وناثرات الالغام ، وحيث العمال السود الوجوه من ذرات الفحم ، وحيث الهواء الجاري في السراديب تنفثه الآلات الضخمة الى هذه الربوع . ولقد مشينا نخطى سريعة نحو ساعة ونصف ساعة لنشهد طريقة استخراج الفحم ، واهملنا زيارة عشرات الاميال من الانفاق في هذه الطبقة

من الارض وتحتها وفوقها لان الطريقة واحدة ، والقينا نظرة على آلات توليد القوة الكهربائية ومعمل تصليح الادوات الضخمة ، وكنا نسرع الخطى لانه كان علينا ان نعود لندرك الناقلة على نهر فورث في وقتها المقرر . وقد افدنا معلومات كثيرة عن طريقة العمل وكمية الانتاج واجور العمال وطرق الضمان الاجتماعي لهم ؛

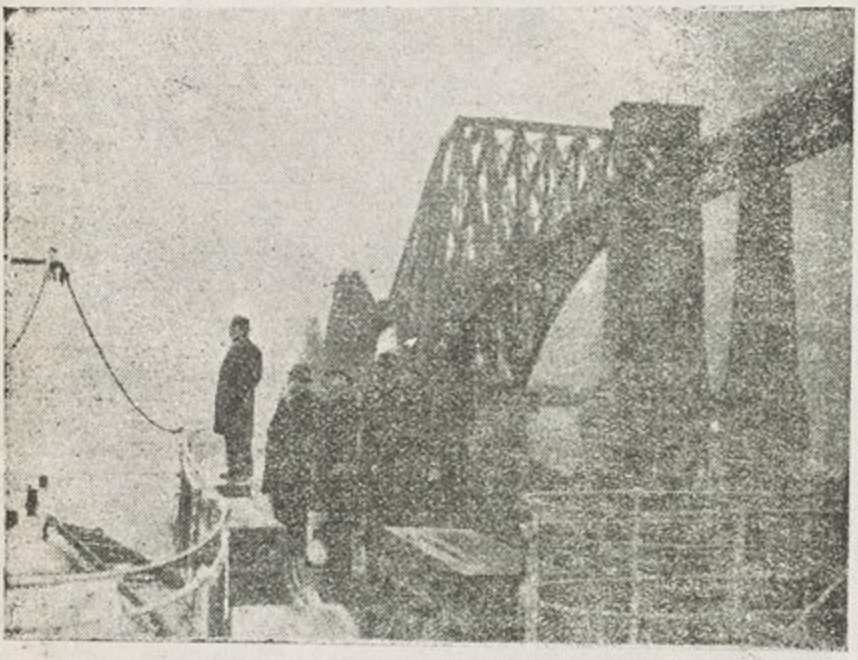

نحن وسيارتنا فوق الناقله البحرية الكبرى التي عبرت بنا نهر فورث العظيم الى الضفة الثانية لزيارة منجم كومري

ومثل هذه المعلومات المتصلة بمناجم الفحم يمكن ان تكون فائدتها قليله للقاريء العربي .

وفي الطريق الى ادنبره شهدنا في زيارة لمزرعة اللورد روزبري في « دالمني » تربية الماشية ولاسيما البقر . واللورد روزبري من اسرة غنية مفرطة في الغنى

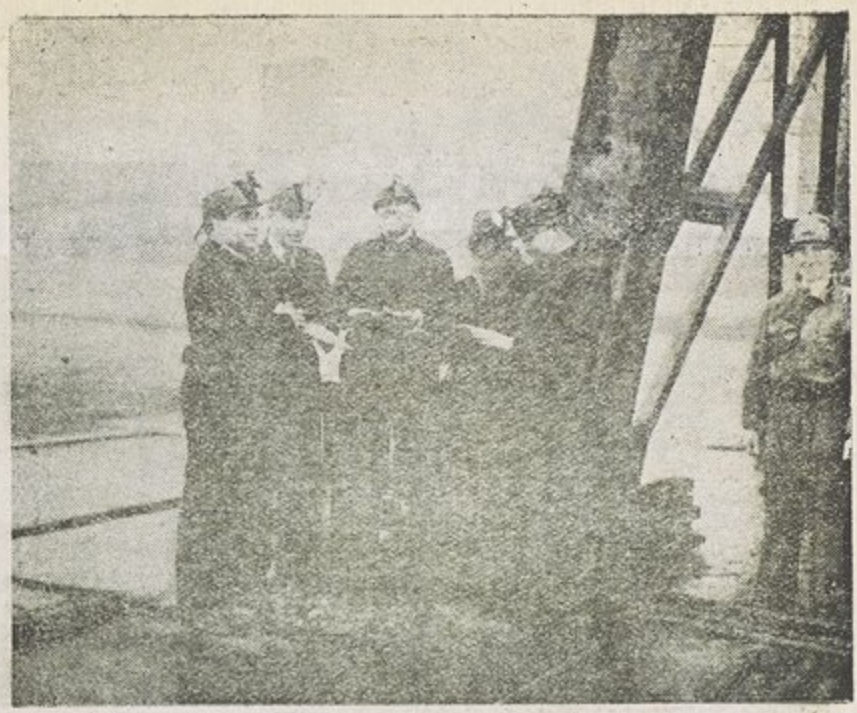

والثروة ، يملك في اسكتلنـدة مزارع ضخمة ، ومزرعته في دالمني احـــدى هذه المزارع واقلها اتساعاً ، ولكنها متقنة من ناحيـة الزرع والضرع ، وفي داخـل المزرعه قصر منيف يشبه قصور القرون الوسطى في وضعه وطراز بنائه ، يسكنـه اللورد وينعم فيه بترف العيش .

استعراض المواشي في مزرعة اللورد روزبري الشهيرة بادنبره

غلاسكو المدينة الثانية في بريطانيا

غلاسكو في ١٦ كانون الثاني سنة ١٩٤٧

غادرنا ادنبره امس في الصباح الى غلاسكو المدينة الاسكتلندية الكبرى ، وقد سلكت بنا السيارات طريقاً لو سارت بنا اربعاً وعشرين ساعة في مثلها لما مللناها : مزارع ومعامل ونجاد ووهاد ذكرتنا باجمل مناظر بلادنا يوم يكسو الربيع الارض حلة سندسية خضراء تبهج الناظرين .

نحن في الهايلاند في الطريق الى غلاسكو ، في هذه الارض العلوية المشرقه التي تعتد بالزراعة الى جانب اعتدادها بالصناعة الثقيله لاستخراج الخيرات من بطن الارض ، وقد تأكد لدينا من النظرة الخاطفة ان الارض عظيمة الثروة ، وان يد الانسان تعمل فيها اقصى مايمكن ان يعمله الانسان ، وهذه اليد الممدودة لانهاض مستوى السكان تصل بالمساكن فتقلب عاليها سافلها ، وتقيم البيوت الموقتة الى جانب البيوت المبنية . ان العامل والفلاح في نظر بريطانية العظمى هما الجديران بالعناية والرعاية والحياة الهنيئة ، لان هذا العامل وهذا الفلاح تقوم على سواعدهما عظمة بريطانية في السلم ، حتى اذا هددت هذا السلم عوامل الانانية والطغيان والاكتساح باسم المباديء الاتوقراطية اوباسم المباديء الديموقراطية المتطرقة ، تحول العامل والفلاح وكل من في البلاد من ابناء البلاد الى جنود يحمون حمى الدولة المهددة .

اذن هذه البيوت الحديثة المستوفية شرائط الصحة والرفاهية وهناءة العيش ، هي بيوت العمال والفلاحين ، وقد شهدنا القليل من البيوت الرديئة التي عناها المسؤولون

في حكومة اسكتلندة ، ولكن هذا القليل من البيوت يهدم الان بالتدريج لتنشأ مكانه المنازل الصحية الجميلة .

بحيرة « لومند » والمشروع الكهربائي الضخم

مررنا بمدينة سترلنغ ، ومررنا باكثر من بلدة ريفية ، ثم تبدل المشهد فاذا بحيرة هادئة شواطئها ملأى بالمزارع والبيوت الجميلة ، وفي اعلى المرتفعات من حولها ثلوج تجعل هذه المنطقة شبيهة بمقاصف سويسرة . قالوا لنا ان البحيرة مصيف اهل غلاسكو والمدن المجاورة القريبة ، فقلنا ان هذه البحيرة كان يمكن ان تكون مهوى افئدة الاجانب في اميركة واوربة وافريقية وآسية لولا طول الشتاء في اسكتلندة ، ولولا امطار الصيف ، وفي الامطار بعض رائحة الشتاء .

قطعنا مسافة شاسعة من حول البحيرة التي يبلغ طولها ٢٧ ميلا ، واسمها « لوخ لومند » ، حتى بلغنا نقطة على الشاطئ الجميل يقام فيها معمل ضخم لتوليد الكهرباء عند « لوخ سلوى » ، وهو واحد من مائة وستة مشاريع عامة قيد الانشاء في اسكتلندة ولكنه اعظمها جميعاً ، واقواها اثراً في الحياة الصناعية ، فهو يولد من الماء قوة كهربائية هائلة تبلغ ١٣٢ الف كيلو فولت لصناعات منطقة غلاسكو والاستعمال البيتي في مدينة غلاسكو ومنطقتها الواسعة .

صنو مشروع الكولورادو العظيم

يقول رئيس مهندسي المشروع الكهربائي المستر ه . ا . دانيالس الذي اشترك مدة غير يسيرة في انشاء مشروع « الكولورادو » العظيم في اميركة ، ان مشروع « لوخ سلوى » ينشأ على نسق الكولورادو ، وخلاصة تصميمه ان مياه الينابيع ومياه الامطار والثلوج المتفرقة هنا وهناك في اعلى الجبل ، تحصر الآن لتجمع وتساق بقناة واحدة تصب في بحيرة سلوى ، وعند هذه البحيرة المحجوزة بين جبلين شاهقين يقام خزان كبير مساحته ستة اميال مربعة ونصف الميل ، وارتفاعه مائة وخمسون قدماً من الاسمنت المسلح ، تتجمع فيه المياه وتصب في نفق منحدر ضمن الجبل الى حيث

تصل الى شاطئ بحيرة « لوموند » على مسافة ميلين اثنين، حيث تولد هـــذه القوة المائية من تلك المسافة وبهذا الانحدار قوة الكهرباء.

والعمل جار في المشروع منذ ثمانية عشر شهراً ، فالطرق الى الجبل شقت وعبدت وفرشت بالاسفلت ، وابنيـــة العمل في السفح القريب من الشاطئ اقيمت وأنيرت بمحركات موقتة ريثما ينتهي المشروع ، وبيوت العمال تبنى على مقربة من المكان ؛ والناقلات والرافعات وحافرات الجبال تعمل بجد ، والالغام تطلق هنا وهنـاك لدك الجبال واخضاعها لمشيئة الانسان .

وتعني القارئ معرفة شيء عن رأس مال المشروع ومنشئه ومصيره : انه واحـد من تلك المشاريع العامة التي تتولاها الحكومة ومجالس المحافظات ، وتؤخـذ الاموال اللازمة للمشروع من المصارف بفائدة تضمنها الحكومة ، كما تضمن خسائره. اما ارباح المشروع ـ ومثل هذا المشروع ينتظر ان يكون عظيم الربح ـ فستعمل للقيام بمشاريع عامة اخرى في اسكتلندة . وبلغت التقديرات الاولية للمشروع الكهربائي الذي نحن بصدده اربعة ملايين وستمائة الف ليرة استرلينية ؛ وهذا المشروع تقوم على شؤونـه لجنة رسمية معينة من جانب وزير الدولة الاسكتلندي .

لست ادري كيف يقدمون هذا الاقدام على انشاء المشاريع برؤوس اموال مستدانة من المصـارف ، او على الاصح كيف نحجم نحن في بلادنـا عن سلوك هذا السبيل لاقامة المشاريع الانشائية ، وفي رايي انه ليس من حسن الادارة او حسن السياسة في شيء ان تظل امكانيات موازنة الدولة السنوية في ذاتها هي الحد الفاصل للمشاريع العمرانية ذات النفع العام .

نحن في اشد الحاجة الى نهضة عمرانية شاملة نضع اسسها اليوم ، ونعقد لهـا القروض الوطنية او القروض المصرفية ، وفي وسعنا ان ندرس اساليب العمل هنـا وهناك وهنالك ، في سبيل بلوغ غاية النهوض بهذا الوطن الى المستوى الرفيع الذي يريده له .

غلاسكو المدينة البريطانية الثانية واحواض بناء السفن فيها

غلاسكو اكبر مدينة في اسكتلندة تتميز بامرين رئيسيين ، الاول هو انها المدينة الثانية في بريطانيا العظمى من حيث الاتساع وعدد السكان ؛ والثاني هو انها تقع على نهر « الكلايد » الذي يعتبر من طرق الملاحة الكبرى ، وفي احواضه بنيت وتبنى اكبر السفن ، وانشئت وتنشأ اقوى الوحدات البحرية .

وكان علينا ان نزور هذه الاحواض التي تعتبر اعظم مافي غلاسكو ، فشددنا اليوم اليها الرحال على قارب بخاري من قوارب البوليس ، وقطعنا اميالا او عشرات الاميال في الذهاب والاياب من غلاسكو الى النقطة التي تتصل فيها مياه نهر الكلايد بمياه الاطلنطيك ، وشهدنا احواض انشاء السفن وفيها عشرات من البواخر في حالة البناء ، بينها باخرة محمولها ٣٥ الف طن ، وبينها بواخر العشرة الطنان والتسعة ، ثم الاحواض الجافة التي يجري فيها اصلاح السفن المصابة ، ومئات الناقلات والرافعات تشرف على الاحواض المختلفة ، واحدى هذه الرافعات تحمل ١٧٥ طناً .

الكوين ماري والكوين اليزابيث

قيل لنا ونحن نسير في عرض الكلايد ان الكوين ماري بنيت في هذا الحوض ، والكوين اليزابيث بنيت في ذاك الحوض ، وقد تم توسيع مجرى الكلايد على مقربة من الحوض لانزال السفينتين ، وان البارجة هود التي اغرقها الالمان في معركة بالاطلنطيك وحزنت عليها البحرية البريطانية حزناً شديداً انشئت هنا ، وان كانسات الالغام تنشأ في هذا المكان ، والمدمرات للبحرية البريطانية ولاكثر الدول الاجنبية تنشأ هنا ، والبارجة « فانغارد » اكبر بارجة بريطانية اليوم انشئت هنا ، وهي تحمل الملك جورج السادس والملكة والاميرات في رحلتهم الى جنوب افريقية. ولحاملات الطائرات احواض تبنى فيها على الكلايد ، وقد اصلحت هنا في ايام الحرب

جميع السفن التي كان يعطبها الاعداء ، وبنيت في هذه الاحواض اكثر السفن الحربية والمدرعات والمدمرات التي انزلت في البحر للاشتراك في المجهود الحربي .

الاضرار الحربية والمجهود الحربي في غلاسكو

لم تكن غارات سلاح الطيران الالماني كثيرة على غلاسكو مثلما كانت على لندن وليفربول وسوثمبتون ومانشستر ، الا ان احدى هذه الغارات احدثت ضرراً بليغاً في منطقة الاحواض على الكلايد ، فقد قتل ٢٥٠٠ شخص في ليلتين متواليتين ، واصيب معمل لتقطير الويسكي في النهر فسال منه الويسكي بغزارة ، وفيما عدا اضرار طفيفة آثارها باقية في بعض الانحاء ، يمكن القول ان غلاسكو رغم كونها مركزاً من اهم المراكز الحربية سلمت من اذى الاعداء في هذه الحرب ، واستطاعت ان تبذل مجهوداً هائلا لتزويد البحرية بالسفن وحاملات الطائرات والطرادات والمدمرات وكانسات الالغام ، ولاصلاح كل ما يعطل من قطع الاسطول ، ولتسيير قوافل السفن الى البلاد السوفياتية ، ولتسيير المراكب بين اسكتلندة واميركة . ومرفأ غلاسكو على الكلايد يعتبر من اهم مراكز الملاحة ، وتدخله كل يوم ثمانون الى مائة باخرة ، والمرفأ الرئيسي فيه هو حوض الملك جورج الخامس . والملاحة ممكنة في نهر الكلايد الى مسافة ٢٧ ميلا ، مع ان طول النهر يبلغ ٨٧ ميلا ويمتد عرضه في بعض الاحيان حتى يبلغ عدة اميال .

وقد شهدنا في هذه الزيارة النهرية مركزاً لتطهير المياه القذرة حتى تصبح ممكنة الاستعمال ، ومصنعاً لتوليد الكهرباء لاسكتلندة الجنوبية ، ومركباً صغيراً بهيأة جرس يضغط على الرجل فيوصله الى قاع البحر للقيام بالاعمال المطلوبة منه ، كما شهدنا اكبر مركب في العالم لوضع الشريط التلفوني والتلغرافي في قاع البحار . وفي الجملة كانت زيارة الكلايد في غلاسكو ذات اثر في التدليل على عظمة غلاسكو كمركز بحري لاسكتلندة في الغرب ، وكمركز حربي خطير . وقد بني في احواض غلاسكو سنة ١٩٤٣ نحو ١٦٥ سفينة مختلفة ، وفي سنة ١٩٤٤ بني فيها نحو ١٤٤ سفينة ، وفي سنة ١٩٤٥ بني فيها نحو ٩٤ سفينة ، وفي السنة المنصرمة ١٩٤٦ بني في الاحواض

خمسون سفينة ، وتدل هذه الارقام على مدى المجهود الذي بذل في الحرب في ابان الحاجة الى السفن ، ثم هي تشير الى تدهور الانتاج بسبب تحديد ساعات العمل بالنسبة الى ما كانت عليه في زمن الحرب ، والى اختلاف نوع السفن التي تبنى اليوم من الحجم الكبير للنقل التجاري .

لم يكن لنا بد من السرعة في التجوال هنا ،وقد طفنا المدينة بشوارعها ومناطقها القريبة والبعيدة ، وشهدنا مدارس نموذجية في الريف ، وزرنا دار الدايلي ميرور وزميلاتها في « كامسلي هاوس » ، وفيها من الاتقان للعمل الصحافي والطباعي مالايس في بعض صحف لندن الكبرى ومطابعها . وقد اعربنا عن هذا للمدير العام فقال لنا ! هذه غلاسكو !

واقيمت في « سنترال اوتيل » في المساء مأدبة عشاء جمعت مديري الصحف في غلاسكو الى اعضاء الوفد الصحفي برئاسة السر الكسندر كنغ المدير العام لشركات السينما هنا ، وخطب فيها السر الكسندر كنغ والمستر ليفينكستن المدير العام لثلاث صحف كبرى من صحف اللورد كيمسلي كما خطب الاستاذ سعيد فريحة والاستاذ وجيه الحفار من اعضاء الوفد الصحفي .

وجرت على المائدة احاديث سياسية واجتماعية مهمة تناولت فيما تناولته قضية فلسطين والقضايا العربية الاخرى التي يجهلها البريطانيون جميعاً ، وبصورة خاصة مديرو الصحف ومحرروها والعاملون فيها ، ليصبح بحث هذه القضايا منوطاً باصحاب الاغراض ممن يتبرعون لنشر المعلومات والمقالات عن الشرق !

الجالية السورية في مانشستر

مانشستر في ١٩ كانون الثاني ١٩٤٧

قضينا صباح يوم اول امس في غلاسكو بجولة في الشوارع الرئيسية ، وكان المطر منهمراً والجو ثقيلا ، وركبنا القطار بعد الظهر الى مانشستر ، وفي البرنامج اننا نبلغها حول الساعة الثامنة ، وقطعنا اشواطاً من المزارع الخضراء بين غلاسكو ومانشستر تشبه ماعندنا من هذه المزارع في سورية شبهاً غريباً .

ومانشستر تختلف في نظرنا نحن عن جميع المدن البريطانية التي زرناها لان لنا فيها اخواناً كثيرين تتألف منهم جالية كبيرة قوية قد لاتكون قوتها في عدد افرادها بقدر ماهي في صفات رجالها ، وقد وصلنا محطة فيكتوريا في مانشستر ، فوجدنا مجموعة من هؤلاء الاخوان في استقبالنا ، يسرعون لتحيتنا ونحن لانعرف اكثرهم ، ولكن الرابطة المتينة التي تربطنا بهم هي رابطة الوطن ، وهي اقوى من كل ماسواها من الروابط !

ولعل اختيار الجالية السورية لمدينة مانشستر دون غيرها من المدن البريطانية موضع تساؤل في بعض الاحيان ، يرد في الجواب عليه ان مانشستر مدينة صناعية

كبرى اختصت بالغزل والنسج ، والذين استوطنوا مانشستر انما اختصوا بعمليات تصدير الغزل والمنسوجات الى الشرق ، ثم جاء المدينة فريق من الذين يعملون في افريقية الغربية ، في نيجيريا وفي « الغولد كوست » اي شاطئ الذهب ، فعملوا في التصدير الى افريقية ايضاً ، فالهجرة الى بريطانية تختلف اذن عن الهجرة الى اميركة بمعنى انها لم تحمل اناساً من الذين خلا وفاضهم ؛ جاءوا يشتغلون في مختلف ميادين العمل لكسب عيشهم ، بل حملت تجاراً واصحاب رؤوس اموال جاءوا الى بريطانية ليبتاعوا منتجاتها فيساعدوا في الوقت نفسه على انتعاشها . هذا الفارق بين الهجرتين له مغزى كبير واثر خطير في تكوين الجالية وفي نظرة البلد اليها .

ويسرنا اعظم السرور ان تكون جاليتنا من السوريين واللبنانيين — وكانوا يسمونها الجالية السورية وهي اليوم الجالية العربية — يسرنا ان تكون محترمة الجانب ، وان تكون النظرة اليها مشتملة على ابلغ معاني الاعتبار ؛ ويسرنا ان يكون اخواننا في هذه المدينة ماسكين زمام انفسهم ، متماسكين متفاهمين على السراء والضراء ، وان يكون التضامن بينهم قوياً الى الدرجة التي لمسناها ؛ بحيث لا تحاسد ولا تنابذ ، ولا خلاف على متاع ؛ ولا نزاع على تجارة ؛ بل التزام لاسباب الالفة والمحبة ؛ يضاف اليه تسابق في مجال الكرم والسخاء ؛ يدل على انهم في بعدهم عن الوطن لا ينسون انهم عرب ؛ وان الكرم احدى الخلال المحببة عند العرب .

في مدينة يزيد عدد سكانها عن المليون كمانشستر ، وتتسع رقعتها هذا الاتساع ، يصعب على الناس ان يلتقوا ولو ارادوا لقاء بعضهم بعضا ، لذلك يجتمع هؤلاء المواطنون كل يوم في مطعم لتناول الغداء اسمه « سيفن ستارس » اي النجوم السبع ، يأكلون فيه في اغلب الاحيان طعاماً شرقياً ، ويسألون عن الغائبين ليتفقدوا احوالهم ، وهذه العادة لا يشذ عنها الا القليلون ، والغداء في المطعم ضرورة لا مفر منها .

رجلان في الجالية لهما موقع ممتاز

وارى الواجب يدفعني الى القول في هذه المناسبة ان بين الجالية رجلين

اثنين ينزلان منزلة ممتازة في القلوب ، احدهما السيد فضلو الحوراني الذي جاء من لبنان سنة ١٨٩٢ ، مع العلم ان تاريخ الجالية قديم، وان اول مهاجر من آل الادلبي استوطن مانشستر جاء اليها منذ ٧٥ سنة ؛ والسيد الحوراني رجل طاعن في السن ، وله في مجال الخدمة العامة جولات موفقة ، ويذكر له جهد مشكور في سبيل مؤسسة العصفورية في بيروت، فقد جمع لهذه المؤسسة مالا كثيراً ، وحمل من الحكومة اللبنانية مائة الف ليرة سورية الى لندن في رحلته الاخيرة الى لبنان سلمها الى مجلس ادارة المؤسسة هنا . ومنذ نحو سنة عهدت اليه الحكومة اللبنانية بمنصب قنصل لبنان الفخري في مانشستر ، تقديراً له واقراراً بمكانته وفضله .

ورجل آخر ينزل أرفع منزلة في قلوب الجميع هو السيد صالح الحفار ، الذي جاء مانشستر سنة ١٩١٩ بعد ان اتم دراسته في الجامعة الاميركية ببيروت ليتعاطى التجارة فنجح فيها وأحرز مكانة تجارية ممتازة بين البريطانيين باستقامته وأمانته وصحة نهجه في المعاملات . وكرس السيد صالح الحفار جزءاً غير يسير من جهده هنا لاعمال الخير ، فانصرف بما أوتي من قوة لدعم كل مشروع خيري وطني انساني ، واوقف نفسه لتأييد بلاده ومعاونتها في كل محنة حلت بها ، فاذا ماتادى المنادي يقول ان سورية نكبت في ابنائها أو اموالها كان صالح الحفار المتبرع الاول للمنكوبين والمصابين والعامل الاول لجمع التبرعات . وفضلا عن هذا فان السيد صالح الحفار عالم مدقق ، يتقن اللغة الانكليزية اتقان خواص الانكليز لها ، ويتقن اللغة الفرنسية ايضاً ، ويتقن اللغة العربية بالطبع ، وله في المجال العلمي والادبي جولات كبيرة خطيرة ، وهو مدعو لالقاء محاضرة يوم ٣ شباط ١٩٤٧ في (مركز الثقافة الاسلامية) بلندن باللغة الانكليزية ، موضوعها « محمد المصطفى » يناقش فيها معنى الاصطفاء والاختيار في التوراة والانجيل والقرآن ، ويذكر شروط الاصطفاء ويتكلم عما امتاز به النبي (صلعم) مما يؤيد كونه المصطفى . وليست هذه اول محاضرة له في مركز الثقافة الاسلامية في لندن ، فقد كانت له محاضرات قبلها في مواضيع علمية مختلفة . وللسيد صالح الحفار رأي صحيح واتجاه قويم في سبل الحياة ، فهو يتمسك بالنظام ويدعو

عميد الجالية السورية في مانشستر السيد صالح الحفار ، وقد انعمت عليه الحكومة السورية اثناء زيارته سورية في هذا الشهر - حزيران ١٩٤٧ - بوسام الاستحقاق السوري من الدرجة الاولى ، وعينته قنصلاً فخرياً للجمهورية السورية في مانشستر . وقد اكرم فخامة رئيس الجمهورية السورية مثواه فأقام حفلة غداء على شرفه ، وبلغت حفلات التكريم لمناسبة زيارته البلاد اكثر من اربعين ؛ منها ما كان من الحفلات الضخمة الرائعة .

اليه ؛ ويرفض ان يتناول شيئاً فيما عدا حصته المقننة من الطعام واللباس ، مع انّ في مقدوره ان يفعل ذلك بسهولة ، ويعتقد ان التجاوز على النظام مفسدة للمجتمع .

وفي مقدمة رجال الجالية السيد عبد الغني الادلبي ، الرجل الطيب القلب الكريم النفس ، ويغلب عليه حب الانزواء ، والسيد اميل ابو فاضل الشاب المثقف اللبق ، ومن الرجال المذكورين السادة رفعت الحفار وصبري الشلاح ومختار الفرا وعزيز كحالة وعيد ناعورة وشريف اللبابيدي ومتري يني وجورج ميداني وكلاهما شاعر رقيق الشعر ، ورضا السيوفي وعلي الادلبي ومحمد الدبس ، وحسن الصعيدي ورمضان الصعيدي وخيري الكحالة ، وفريد جريديني واسعد العجة وسليم سبط ومحمد طاهر وكامل سعد وسليم الدبغي . وقد فاتني ذكر الكثيرين من الغائبين او من الذين لم يتسن لنا ان نراهم ، فمعذرة .

حفل الجالية العربية على شرف الوفد

اقامت لنا هذه الجالية الكريمة النبيلة حفلة كبرى مساء يوم امس حضرها جميع السوريين واللبنانيين في مانشستر ، ترأسها السيد فضلو الحوراني وجلس الى يمينه السيد صالح الحفار ، وكانت دليل عناية اخواننا ابناء الجالية بالوفد الصحفي في زيارته بريطانية العظمى . وكأن مثل هذه الاجتماعات تبعث حنين النفس الى الوطن العزيز ، او كأن لهفة المقيمين عند لقاء الغادين والرائحين تثير شجون القلب وتغذي مشاعره ، وتطلق الالسنة من عقالها لتكون ترجماناً صادقا لدواعي اللذة والالم ، فاذا وفدنا امام طائفة من المتكلمين يعبرون عن اصدق الشعور نحو الوطن العزيز الذي ادرك امانيه وحقق رغباته واستقل كما استقلت الامم .

وقد كان في مقدمة هؤلاء المتكلمين السيد فضلو الحوراني ثم السيد صالح الحفار ، ثم السادة اميل ابو فاضل ومتري يني وجورج ميداني ، وتعاقب اعضاء الوفد الحاضرون جميعاً للكلام واحداً بعد واحد ليقولوا ما بدا لهم قوله في هذه المناسبة السعيدة التي يجتمعون فيها الى نخبة من المواطنين المغتربين ارتسمت على وجوههم صورة البشر ، وعلت جباههم انطلاقة السرور ، فبدوا وكأنهم في عرس جميل بهيج .

ولم تكن هذه الحفلة وحيدة في مانشستر ، فقد لبى الوفد من الدعوات الخاصة ماسمح له برنامج الزيارات والحفلات والاقامة القصيرة بتلبيته ، وكانت جميع هذه المظاهر وما رافقها من احاطة وعناية دليل الارتباط الوثيق بين ابناء الوطن ، خصوصاً متى ضمتهم ديار الغربة وضربت فوقهم خيامها .

نجاح افراد الجالية في ميادين التجارة

لقد راعني ما شهدته من التنظيم في مكاتب افراد الجالية ، وسرني ما عرفته من ادراك اكثرهم قسطاً من الربح الحلال يشهد لهم بالبراعة والنشاط ، فالمقيمون منهم كمهاجرين ، والغادون والرائحون لضرورات العمل بين بريطانية والشرق او بين بريطانية وافريقيه، نالهم من جهدهم ثمر طيب يتكافأ مع ماهم اهل له من التكرمة .

والمعروف ان الكثيرين منهم جاهدوا في ميادين العمل التجاري جهاداً محمود الاثر ، فبدأوا في افريقية الوسطى والغربية واسسوا لانفسهم كياناً تجاريا بين العبيد بمجهود يعجز عنه من لم يؤته الله جلداً وصبراً منقطع النظير ، ولما جاءوا الى مانشستر كانت نظرة الانكليز من اصحاب المصانع والبيوت التجارية اليهم نظرة اثمان ، وهو ماساعدهم اكبر مساعدة على التوسع في الاعمال ، خصوصاً في فترة الحرب التي تضخمت فيها اعمالهم وتجمدت ارباحهم .

وقد وسع اكثر اخواننا من ابناء الجالية آفاق اعمالهم ، فأسسوا مصانع لهم لافي انكلترة ، بل في سورية ولبنان وفلسطين وصل بعضها الى البلاد والبعض الآخر يوشك ان يصل ، وهي مساهمة قيمة منهم في الانعاش الاقتصادي ، وكسب لا يستهان به في الناحية المالية . ويااليت المهاجرين الى اميركة — وبعضهم اصبحوا من اصحاب الملايين ومن ذوي الثراء الضخم — يفكرون بالوطن الأم في مختلف الاحوال كما يفعل هؤلاء المهاجرون ، ويااليت ابناءنا في القارة الاميركية يتخذون وطنهم مرجعاً نهائياً لاعمالهم ، اذن لكانت مساهمتهم في المجهود الاقتصادي حقيقة وفعالة .

قلنا ان اخواننا التجار السوريين في مانشستر يعملون في التصدير الى افريقية والى الشرق ، ومع ان امكانيات التصدير محدودة وموزعة بحسب اوضاع الوسطاء والتجار في فترة الحرب وما قبله ، فان هذه الامكانيات تتضاءل رويداً رويداً ، لان خطة الحكومة البريطانية في التجارة الخارجية هي الاستغناء عن الوسطاء ، وتيسير الاتصال المباشر بين المنتجين والمستهلكين . وقد ينال ابناء الجالية العربية بعض الضرر من هذا الاسلوب الجديد ، ولكن آفاق العمل لن تظل محدودة امام رجال قدموا الدليل على كفاءتهم وحسن استعدادهم في ميادين التجارة المختلفة. وقد استوطن الكثيرون منهم مدينة مانشستر فتزوجوا بانكليزيات واشتروا منازل السكن واستقروا ، ولن يكون لهم من وراء هذا الاستقرار الا اجزل النفع ، ثم لن يكن مستقبلهم الا في الوطن الذي يحنون اليه حنيناً اكيداً .

في معامل مانشستر

مانشستر في ٢٠ كانون الثاني ١٩٤٧

قضينا سحابة اليوم الاول من اقامتنا هنا ، وهو يوم امس الاول ، بالتجول في شوارع المدينة ، وهي لا تقل ضخامة عن شوارع لندن ، ولكن المحلات التجاريه اللندنية التي تشبه المدن في اتساعها لا تشبهها محلات مانشستر ، وحضرنا مساء امس الاول مباراة بكرة القدم بين فريق مدينة مانشستر وبين فريق ميلوول تعد من المباريات الدولية .

وبعد ظهر اليوم الثاني حملتنا السيارات الى اماكن بعيدة من اجل اماكن الزيارة ، وكانت الشمس ترسل لاول مرة منذ ثلاثة اشهر اشعة حارة ، وكانت السماء صافية الاديم زرقاء نقية لا يشوبها ضباب ولا دخان ، ذلك ان مداخن المعامل في عطلة نهاية الاسبوع تنقطع عن ارسال تياراتها المزعجة من ذرات الفحم ، يضاف الى ذلك ان الطقس في حالة غريبة من الاعتدال والنقاء ، وقد اتفقت احوال الجو مع الاوضاع المكانية حتى بدت هذه المجموعة المتلائمة من عناصر الجمال وكأن البرنامج أوصى بانسجامها .

اللورد المحافظ يستقبل بعثة الصحفيين

في صباح هذا اليوم ، رافقنا مندوب دائرة نشر المعلومات الى دار المحافظة في « البرت سكوير » وهو بناء من اضخم الابنية داخلاً وخارجاً ، لزيارة محافظ

مانشستر اللورد الدرمان . هـ . ادامس ج . ب . دخلنا بين صفوف من التماثيل الضخمة الى مكتب المحافظ ، وكان منتصباً وراء مكتبه وهو يرتدي الحلل التقليدية، فاستقبلنا بخطبة قصيرة قال فيها ان مانشستر ومقاطعة لانكشير منطقة صناعية في الدرجة الاولى ، وسيتسنى لنا ان نرى مشاهد من نشاطها الصناعي ؛ وقال انه كمحافظ لهذه المدينة يرحب ببعثة الصحفيين السوريين واللبنانيين ويرجو ان تسرهم هذه المشاهد . وقد اجابه كاتب هذه السطور بكلمة قال فيها ان زيارة مانشستر بعد هذه السلسلة من الرحلات الى مدن انكلترة واسكتلندة لها مغزى خاص في نفوس اعضاء البعثة ، لان في هذه المدينة جالية كبيرة من السوريين واللبنانيين تشترك في المجهود التجاري وتثبت وجودها بشرف وامانة بين ابناء البلد ، وقال اننا نرى واجباً علينا ان نشكر سلطات البلد في شخص اللورد المحافظ على ماتلاقيه هذه الجالية من حسن الرعاية وطيب المعاملة ، وشكر اللورد على حسن استقباله واثنى على مشاهد المدينة ومجهود المقاطعة الصناعي الضخم .

ثم وقع اعضاء البعثة على دفتر الزائرين ، وتقدم المحافظ صفوفنا الى زاوية من زوايا البناء الضخم ، الى قاعة استقبال وطعام كبرى لمآدب المحافظة ، في صدرها ارغن كبير يرسل اجمل الالحان ، وفي ناحيتها الاخرى تمثال لغلادستون ، وقد بدت في سقف الصالة الواح كبيرة من الزجاج رسم على كل واحد منها شعار احد بلدان الامبراطورية . وعند مدخل القاعة وعلى عتبتها الخارجية سقف من الزجاج الملون ايضاً ، خصص كل لوح منها لواحد من المحافظين الذين تعاقبوا على كرسي المحافظة .

وانتقلنا الى قاعة اجتماع مجلس المحافظة حيث يجتمع ١٤٤ عضواً في هذا المجلس مرة في الشهر لمعالجة شؤون المحافظة ودرس القضايا التي تعرض للبحث ، مما هو داخل ضمن اختصاص مجالس المحافظات كما مر معنا ، وقد وضع امام كل عضو من الاعضاء مفتاحان كهربائيان كتب على احدهما « نعم » وعلى الاخر « لا » ، وعند التصويت يضغط العضو على احد المفتاحين ، فتسجل لوحتان معلقتان في صدر القاعة

هذا التصويت بنور كهربائي احمر او اخضر ، وتجمع الاصوات بالموافقة او المخالفة في اقل من نصف دقيقة بحركة اوتوماتيكية .

بعد هذه الزيارة الخاطفة ودعنا اللورد واسرعنا الى برنامج الزيارات ننجزه ، وهو برنامج يثقل الكواهل اجمالا .

الشركة التعاونية لبيع الجملة

في زيارة للمركز الرئيسي للشركة التعاونية لبيع الجملة **C . W . S.** ليمتد ، تعرفنا الى نوع جديد خطير من الاعمال ، فقد استقبلنا مدير الشركة ، وذكر لنا ان هذه الشركة بدأت منذ مائة سنة برأسمال قدره ٢٨ جنيهاً ، وقد توسعت في الفترة القائمة بين سنة ١٨٤٠ وبين سنة ١٨٦٠ ، التي قامت فيها الثورة الصناعية في انكلترة ، وهي اليوم تملك ١٨٧ مصنعاً لمختلف الصناعات ، وتملك مزارع واراض واسعة في الجزر البريطانية وفي خارجها كالهند وسيلان ، ولها مصرفها الخاص الذي يمول سائر مشاريعها ، ولها شركة ضمان خاصة ايضاً ، وفروعها موزعة في جميع انحاء الجزر وعددها الف وثمانية .

عدد المساهمين في هذه التعاونية يبلغ تسعة ملايين بريطاني من مجموع السكان البالغ ٤٦ مليوناً . وراس المال الذي يدفعه المساهم قدره جنيه انكليزي واحد يدفع سلفاً ، واذا عجز العضو عن الدفع سلفاً امكن حسم هذا الجنيه من ارباح المساهم في آخر السنة ، والارباح توزع على المساهمين بنسبة مشترياتهم لبضائع الشركة التي تباع بالاسعار الرسمية المقننة . وقد وزع في السنة المنصرمة شلن ونصف عن كل جنيه ، اي سبعة ونصف في المائة ، وكان مجموع مبيعات الشركة في جميع فروعها مائتي مليون ليرة استرلينية ، واشتغل المصرف الخاص بالشركة بمبلغ الفي مليون جنيه استرليني .

يتألف مجلس ادارة الشركة من ٢٨ عضواً تنتخبهم الفروع من الشركاء ، ويكفي ان يكون الشخص حاملا سهما واحداً بجنيه واحد ، وان يكون دون الخمسين من

عمره حتى ينتخب لعضوية مجلس الادارة ؛ والاعضاء يتولون شؤون الادارة دون منازع ويتناولون اجراً باهظاً على عملهم . وقد حدث ان بعض المنتخبين آثروا عضوية الشركة على عضوية البرلمان ، ولم تجر العادة ان تنتخب النساء لعضوية مجلس الادارة ، على ان انتخابهن مباح ، وقد انتخبت امرأة واحدة لادارة الشركة في كل هذه السنين .

زرنا معملاً لصنع الدخان ، من مجموع المعامل التي تملكها الشركة ، لم يكن اكبرها وانما كان من مصانع الدخان الكبيرة في انكلترة ، ينتج جميع انواع التبغ ، وقيل لنا ان معامل الشركة لاتكفي الاستهلاك من التبغ ، مع ان انتاجها زاد عشرين في المائة عما كان عليه سنة ١٩٣٩ ، والسبب في ذلك ان الطلب زاد خمسين في المائة من تلك السنة الى الآن ، لان النساء يزاحمن الرجال في التدخين مزاحمة قوية !

وعدنا الى مقر الشركة لنتناول الغداء ، فكان كل مافي غرفة الطعام من الاثاث والمفروشات والاقمشه والاطباق والكؤوس وانواع الطعام والشراب ايضاً كشراب البرتقال والصودا والبيرة واللحم المقدد والبطاطا من انتاج معامل الشركة ، والبسة العمال والعاملات كلها من صنع معامل الشركة . وقد احببنا ان نعرف مقدار رأس المال الحالي ، فلم نفلح رغم ان المدير استمهل لدراسة الموضوع في سبيل معرفة التفاصيل الحسابية .

ان الشركة التعاونية معجزة من معجزات التنظيم المالي والتجاري والصناعي ، فهي تملك رأس مال اصلي يبلغ تسعة ملايين من الجنيهات ، ولكنها تملك تسعة ملايين شخص من الزبائن الدائمين اصحاب المصلحة المباشرة بالشراء ، وهي اكبر مؤسسة من نوعها في العالم كله ، ويزيد رأسمالها الحالي عن مائة مليون جنيه .

معمل اسيا للغزل ومشاكل العمال

اليوم ايضاً زرنا معمل آسيا للغزول ، وهو من المعامل الكبيرة الضخمة الانتاج ، تأسس سنة ١٩٠٥ ، ويقع في المدينة الصناعية الملتصقة بمانشستر والقائمة الى شمالها

الشرقي في حي او مجموعة من الاحياء لاتلمح فيها غير المداخن الكبيرة المتعالية والابنية المتشامخة . ونحن في بلادنا نعرف كيف تتكون معامل الغزل والنسيج

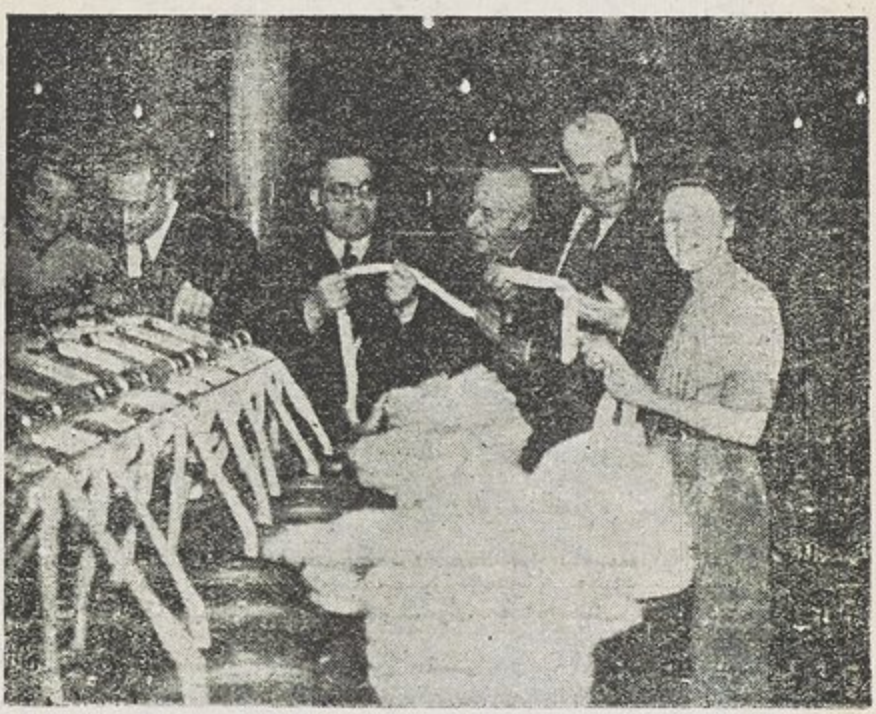

في زيارة معمل غزل « آسية » بضاحية مانشستر

ومن اي الادوات تتكون ، ولكن هذا المعمل يمتاز بانه ينتج الخيوط من جميع القياسات ، من ١٠ الى ٧٠

ومما يؤسف له ان ثلث آلات المعمل متوقفة بسبب قلة العمال ، وعلى الاخص العاملات ، وهذه الازمة في لانكشير وفي جميع المقاطعات الصناعية رأس الازمات كلها ، وقد سألنا مدير المعمل ماهو العلاج الذي يفكرون فيه لمداواة هذه العلة ، فقال ان العلاج مفقود ؛ وتعزى قلة اليد العاملة الى سببين رئيسيين ، الاول تعديل سن التعليم الاجباري من الرابعة عشرة الى الخامسة عشرة ، وهذا يحرم العمل من

نحو ستمائة الف عامل ، والثاني بقاء قسم كبير من المجندين قيد الجندية في الاسلحة المختلفة ؛ وتساءلنا هل يمكن معالجة ازمة العمال باستقدام قسم من سكان ايرلندة نساء ورجالا فقيل كلا، ولا نعرف السر في هذا الجواب السلبي ، وان تكن حال الايرلنديين معروفة بالنسبة الى بريطانية .

الوفد مع مدير معمل « آسية » يفحص نماذج القطن الذي يغزله المعمل

قضية فلسطين في مانشستر

مانشستر في ٢١ كانون الثاني سنة ١٩٤٧

ملأت قضية فلسطين رحاب الوفد يوم امس ، وفلسطين ترد على السنة بعض المتكلمين منا كلما دعتنا مناسبة بارزة للحديث مع البريطانيين ، ولا سيما مع رجال الصحافة .

اقيمت مساء امس مأدبة عشاء في « ميدلاند اوتيل » حيث نقيم ، حضرها رؤساء تحرير الصحف في مانشستر ، وبعد الطعام وقف المستر مود مدير مكتب نشر المعلومات الذي ترأس المائدة فالقى كلمة فتح فيها مجال البحث امام الصحفيين في الشؤون التي تهمهم . وعلى الاثر تكلم خطيب الصحافة الانكليزية الاول ، وكان اهم ما قاله انه لا يعرف شيئاً مذكوراً عن مشاكل الشرق الاوسط ، وان من الخير أن نسمعهم بصراحة تامة ما نعتقد الفائدة في بحثه ،وأيد الخطيب الثاني هذا القول ، وزاد الخطيب الثالث على هذا — وهو محرر « مانشستر غارديان » — ان من واجب الصحفيين البريطانيين ان يزوروا الشرق ليتعرفوا بانفسهم على شؤونه ومشاكله .

رأي الوفد يعلنه لممثلي الصحف البريطانية

فوقف الزميل الاستاذ زهير عسيران والقى خطبة نلخصها هنا مع المناقشات التي دارت فيما بعد حول شؤون فلسطين ، فقد استأذن في اول الامر بالتكلم بصراحة ورحب الجميع بهذه الصراحة ، فقال انه من دولة صغيرة هي لبنان ، تجاورها دولة صغيرة أخرى هي سورية ، لم تكن علاقاتها مع بريطانيا العظمى حسنة قبل الحرب ، ولما اعلنت بريطانيا انها تخوض غمار الحرب ضد الطغيان على حقوق الشعوب ، واعلنت مع اميركة في ميثاق الاطلنطيك انها حامية الحريات للشعوب الصغيرة والكبيرة على السواء ، وقف الشعبان المجاهدان يتربصان وينتظران تحقيق العهود المقطوعة في سبيل تأييد الحق والعدل ولما اعتدت فرنسة على لبنان سنة ١٩٤٣ للقضاء على استقلاله ، واعتقلت رئيس الدولة وحكومته ورجاله ، وقفت بريطانية في وجه هذا الاعتداء حتى اعادت الحق الى نصابه ، فقدر الشعب اللبناني لها هذا العمل النبيل ، وحمل راية الامم المتحدة يرفعها على رؤوس الاشهاد ، وكانت صور الملك جورج والمستر تشرشل تملأ رحاب المنازل والمكاتب آنذاك . ثم لما اعتدت فرنسة على سورية عدوانها الظالم سنة ١٩٤٥ وقذفت مدنها الآمنة وسكانها العزل من السلاح بنيران قنابلها ، وأحرقت الدور بساكنيها ، وأمرت جيوشها بالنهب والسلب والتقتيل والتدمير ، نزل الجيش البريطاني الى الساحة ليوقف هذا العدوان تنفيذاً لقرار اتخذته الحكومة البريطانية بعد استشارة مجلس العموم ، فقدر الشعب السوري هذا القرار تقديراً بالغاً ، ووثق ببريطانية ثقة لا حد لها ، ومحضها الود والتأييد . والدول التي تضمها الجامعة العربية كانت هي ايضاً مقدرة لليد التي اسدتها بريطانية للشعب السوري وللشعب اللبناني من قبل ، وذاكرة لها حسن صنيعها في انقاذ شعبين عدت عليهما فرنسة باسم الاحتلال التي تدعي لنفسها فيه حق السيطرة على مقدراتها .

وقد انتهت الحرب بظفر مبادىء الحرية التي نادت بها بريطانية ، والقضاء على

الطغيان الذي لم تقبل بالرضوخ له ، فرأى العرب انفسهم امام حركة تطويق خطرة من جانب الصهيونية ، بدأت في قطر عزيز على كل عربي وهو فلسطين ، لتتخذ منه راس جسر الى سائر البلاد العربية ، ووجدوا ان هذه الحركة العرقية الخطرة التي تشبه النازية في كثير من نواحيها ، والتي تقوم على اساس اخراج العرب من ديارهم لاستخلاصها وجعلنا وطناً قومياً لمن جمعتهم آفاق الدنيا من الصهيونيين ، وجدوا ان هذه الحركة الخطرة تعالجها بريطانية بمقتضى مبادىء الحق والعدل والانسانية ، والعرب اذ يقاومون اليهود في فلسطين لا يقاومونهم على انهم اصحاب دين معين ، فاليهود يعيشون منذ مئات السنين في بلاد العرب عيشة هانئة ، وتاريخ ستمائة سنة لم يسجل اعتداءاً واحداً على يهودي واحد في اي قطر من هذه الاقطار العربية المنتشرة في انحاء الشرقين الادنى والاوسط . ولكنهم يقاومونهم اليوم كاصحاب حركة عرقية ، ودعاة وطن قومي في قطر عربي لا ترضى مبادىء الحق ان تستخلص ارضيم ، ويجردوا من وطن عاشوا فيه من آلاف السنين ، وجبلت تربته بدماء اجدادهم وذكريات تاريخهم وجملة امانيهم في الحياة .

والان أحب ان أتساءل من الذي ثبت اقدام اليهود في فلسطين ؟ لقد كانوا قبل وعد بلفور المشؤوم سبعين الفاً فاصبحوا بفضل هذا الوعد ستماية الف بحسب الاحصاءات الرسمية ، وعددهم في الحقيقة يربوا على هذا ، وماذا كانت النتيجة ؟ كانت ان هؤلاء الصهيونيين انكروا جميلكم ولم يعترفوا باليد التي اسديتموها لهم ، وقد اخذوا يقتلون الضباط البريطانيين ويجلدونهم بالشكل المنكر الذي نقلته اخبار فلسطين الاخيرة .

وعاد الخطيب يفند مزاعم اليهود ويقول : ان عندكم في مانشستر جالية عربية كريمة تاقى منكم أجمل الترحيب ، وتعامل من حكومتكم أحسن معاملة ، تصوروا ماذا يكون موقفكم اذا جاءتكم هذه الجالية تدعي ملكية المقاطعة بحجة انها استوطنتها منذ خمسة وسبعين عاماً وان لها مسجداً بنته لتقيم شعائر دينها !؟ ان هذا ما يصنعه اليهود على الضبط ، وما كانوا ليدركوا فيه اي قسط من النجاح لو لا

موقف الحيرة والتردد الذي تقفه بريطانية العظمى منهم ، فتكسبهم عنصر الوقت وعنصر المفاجأة .

ان العرب قوم اوفياء ، يذكرون للمحسن احسانه كما يذكرون للمسيء اساءته ، وقد ادركت بريطانية العظمى اي ربح ربحته عندما مدت يد المساعدة لسورية ولبنان في محنتها الطاغية . وهؤلاء العرب الذين يسكنون الشرق يتوقعون ان تقف بريطانية في جانب الحق عند بحث قضية فلسطين في المؤتمر الدولي القادم بلندن ، ونحن كزملاء نتوقع ان تكونوا انتم معشر الزملاء في جانب الحق كلما اثيرت هذه القضية .

مناقشة قضية فلسطين وسؤال عن الحل المطلوب

هذا بعض ما ورد عن فلسطين في كلام الزميل ، وقد كان يلقيه بلهجة جدية والاهتمام باد عليه ، فقوبل باهتمام واصغاء ايضاً من جانب الصحفيين البريطانيين ؛ ولما نقل اليهم باللغة الانكليزية ، ثارت مناقشة حول الكثير مما جاء في الخطاب . على شكل اسئلة القاها الصحفيون الانكليز ؛ كان يجيب عليها اعضاء الوفد ؛ فقد قال احدهم : ألا تعتقدون ان القضية ذات صبغة دولية ، وان على بريطانية ان تتشاور فيها مع اميركة التي تقف منها موقفاً معروفاً ؟ فقلنا ان اميركة تدخلت في قضية فلسطين في السنين الاخيرة فقط ، وان بريطانية هي المسؤولة اولا لانها هي صاحبة الوعد المعروف ، وهي المسؤولة في النهاية لانها هي الحاكمة في فلسطين ، وما دام للقضية وجه دولي باعتبارها ذات تأثير مباشر على الامن في الشرق الاوسط ، فان حلها يجب ان يستمد من ميثاق الامم المتحدة ، ويرتدي طابعاً غير طابع المصلحة الانتخابية او المصلحة المالية عند بعض الدول كاميركة .

وسأل سائل : ماهو الحل الذي تعتقدونه صالحاً لانهاء هذه القضية بمقتضى الحق ؟ فقلنا : ان الحل الممكن هو في وقف الهجرة الصهيونية نهائياً ومنع الصهيونيين من امتلاك الاراضي وانشاء دولة في فلسطين تستمد اصولها من الوضع الراهن تمنح استقلالها بضمان الدول الداخلة في ميثاق الامم المتحدة ، وعندما تزول

ن الوجود فكرة تحقيق الوطن القومي الصهيوني ، يعود اكثر المهاجرين اليهود الى الاوطان التي هجروها وتحل المشكلة من ذات نفسها الحل الذي تقتضيه مبادئ الحق والعدل . ثم قلنا ان الاتجاه الذي لمسناه في اوساط الرأي العام البريطاني يشير الى كره البريطانيين عامه لليهود ، يدل على ذلك انهم احرقوا كنيسين يهوديين في لندن عندما وردت في مطلع هذا الشهر انباء جلد الضباط البريطانيين في فلسطين ، ومثل هذا لم يقع في أي بلد عربي من اقدم الازمان ؟ وما دام الرأي العام يفرض الاتجاه السياسي في كثير من الاحيان كما تفرضه الصحافة ، فاننا نأمل ان تسلك الحكومة البريطانية طريق الحق الذي سلكه الرأي العام والذي نرجو ان تتبعه الصحافة . ولما نهضنا من مائدة الطعام اقترب مني رئيس تحرير « مانشستر غارديان » وقال لي : احب ان تصحح فكرتك عن الرأي العام ، فليس الرأي العام البريطاني مخاصماً لليهود ، كما انه لم يكن مسانداً لهم ، وقد بدأ اليوم يتفهم بعض الحقائق ، ويمكن ان يصبح عدواً لليهود في المستقبل .

هذا هو يوم فلسطين في مانشستر ، المدينة التي يعيش فيها اكبر عدد من اليهود بعد لندن ؛ والتي تصدر فيها جريدة « مانشستر غارديان » المتحدثة برصانة واعتدال عن القضية الفلسطينية ، يغريان العرب بالشك في سيطرة اليهود على مرافق بعض الصحف وموارد رزقها ، ومع ذلك فاعتقادنا اننا نحن العرب مقصرون في شؤون الدعاية لقضايانا الكبرى ولا سيما قضية فلسطين ، وهذا الوفد الصحفي الذي تنقل في ارجاء البلاد استطاع على سبيل الارتجال ان يبشر بهذه القضية الحق ، وان ينقل الى الصحفيين في ادنبرة وغلاسكو ومانشستر كما فعل في لندن من قبل ، شيئاً عن هذه المشكلة المستعصية ؛ التي يمكن ان يحلها تضافر العرب على انهائها مهما يكلفهم الامر من جهود وتضحيات .

في برادفورد مدينة النسيج

برادفورد في ٢٢ كانون الثاني سنة ١٩٤٧

مقاطعة لانكشير التي تعتبر مانشستر مركزها ، ومقاطعة يوركشير التي وصلنا امس الى مدينة برادفورد قاعدتها ، محافظتان صناعيتان كبيرتان ، تسنى لنا ان نرى فيها انواعا من الصناعات ، وشكواها كلها واحدة ، هي النقص الكبير في اليد العاملة الناشيء عن بقاء عدد كبير من الجنود تحت السلاح في الاسلحة المختلفة في الجيش والبحرية والطيران ، وعن انظمة التعليم الجديدة التي رفعت سن التعليم الجبري من الرابعة عشرة الى الخامسة عشرة ، فحرمت المعامل من نحو ستين الف عامل كما قلنا .

زرنا امس قبل مغادرتنا مانشستر معمل مكلسفيلد لغزل الحرير ونسجه ، واستغرقت الزيارة يوم امس بكامله بسبب بعد المسافة ، وزرنا اليوم في برادفورد معمل ليستر وشركاه لتمتد لغزل الصوف ونسجه ، وفي كلا الزيارتين مشاهدات مدهشة لعظمة الصناعة وتنظيم العمل ودقة الانتاج وتنويعه . انهم في منطقتي لانكشير ويوركشير يصنعون كل شيء ، وتبرز قدرتهم على احكام صنع كل نوع من انواع النسيج ، ومع ان النساء يقمن باكثر من نصف المجهود الصناعي في هذه المعامل ، ومع انهن يجدن كل عمل آلي وراء المغزل وامام انوال النسيج ، فان نقص العمال يجعل اقساما كاملة او طوابق كاملة من هذه المصانع الكبيرة الواسعة خاوية خالية .

وبرادفورد مدينة صغيرة ، بل لعلها اصغر المدن التي وضعت في برنامج زياراتنا

ولكن لها اهمية صناعية كبيرة، فهي مركز تجارة الصوف والغزل بانكلترة، وفيها معامل كبيرة شهيرة ، سكانها يبلغون ثلاثمائة الف نسمة، وفيها جريدتان لا تطبع كل واحدة منها اكثر من عشرين الف نسخة ، ولا تباع نسخها في غير المنطقة ولكن

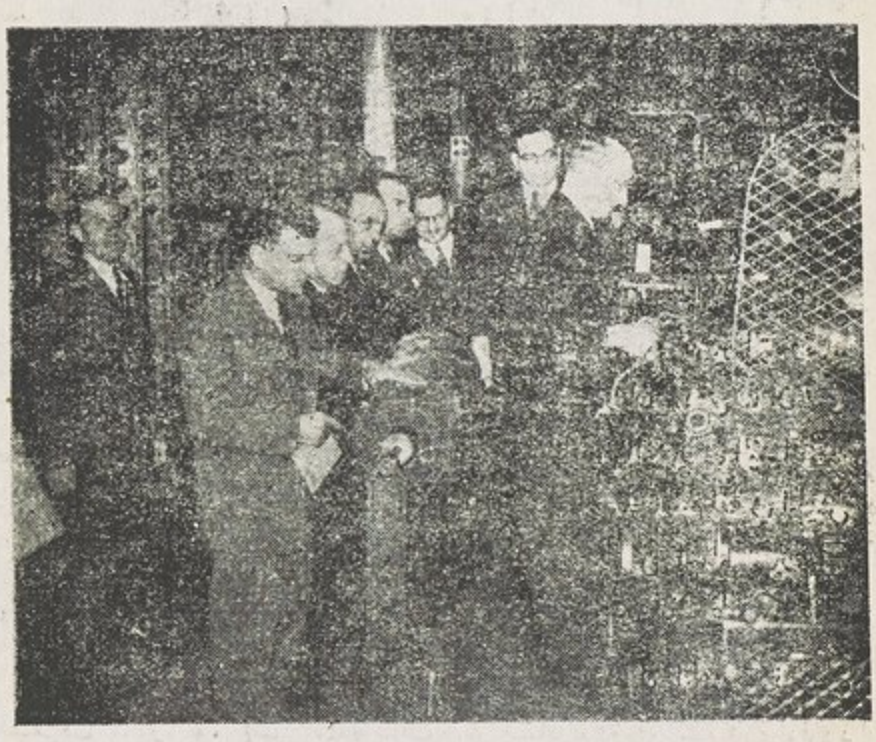

في معمل ليستر وشركاه ليمتد لغزل الصوف في مدينة برادفورد بين آلات النسيج الضخمة

مكان المحافظة يجدون فيها بغيتهم اكثر مما يجدون هذه البغية في صحف لندن ، لان تمركز المضالح يجعل لها قيمة ريفية محلية كبيرة. ومن الغريب المدهش ان صالات الرقص في هذه المدينة تأخذ طابع صناعة النسيج ، خذ لك مثلا اضخم صالة للموسيقى والرقص هنا اسمها « صالة رقص النسيج » ، فكأن الناس هنا يجدون صناعة النسيج حيثما التفوا واني وجدوا . على ان تنظيم المعامل الكبري في

اكثر الاماكن آخذ هذا الطابع من العناية بشؤون العمال ، بحيث لاتكاد تجد مصنعاً يتجاوز عدد عماله الالف الا وفيه صالة كبرى للطعام، وصالة للرقص والتمثيل والسينما يختلف اليها عمال المصنع وعاملاته اكثر من مرة في الاسبوع في مواعيد يعلن عنها ، ويعطى الطعام للعمال بسعر رخيص يسدد المعمل خسارته من الموازنة السنوية ، فوجبة الطعام الكاملة عند الظهر يدفع العامل ثمنها عشرة او احد عشر بنساً اي نحو اربعين قرشاً سورياً ، مع العلم انها بحسب نظام التقنين اكثر كمية من

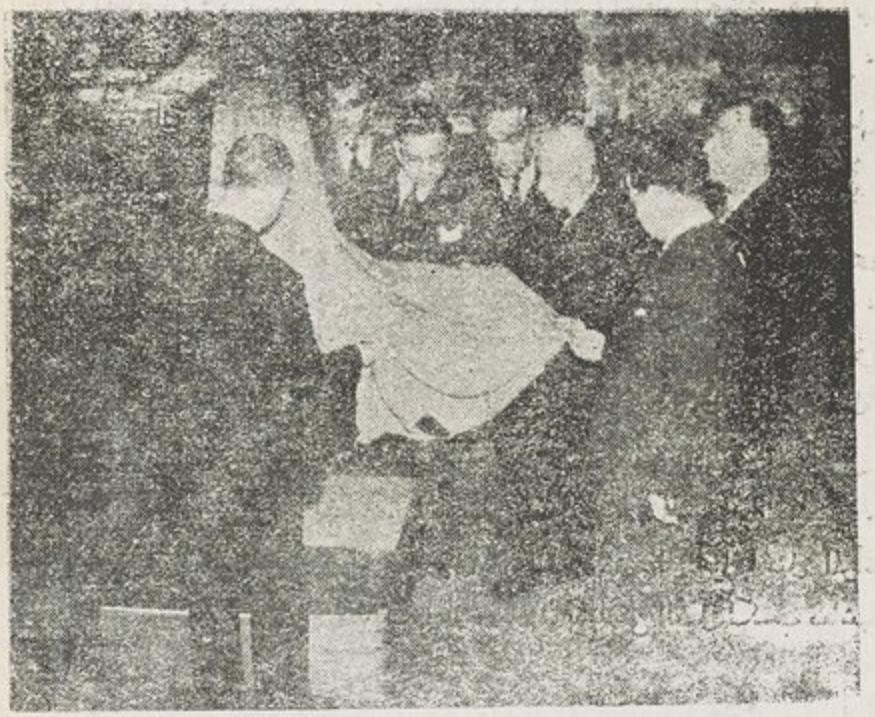

الاقمشة المنسوجة تفحص بدقة بعد نسجها قبل ان تجهز نهائياً وترسل للاستهلاك

الوجبة التي تعطى لغير العمال ، والشاي في المساء مع الصمدويش والحلوى يعطى بثلاثة بنسات اي بنحو عشرة قروش سورية : وسائل من الترفية تختص بها المناطق الصناعية التي يجتمع فيها عدد كبير من العمال ، اكثر من نصفهم من الجنس الانيق اللطيف .

وفي براد فورد مدرسة فنية يتعلم فيها الاحداث ضروب صناعة غزل الصوف ونسجه في مصنع صغير كامل معد للتعليم ، على ان مقاطعة يورك شير مختصة على الارجح بصناعة الحديد والفولاذ واستخراج الفحم في مناطقها الواسعة ، وان تكن قاعدتها مركز صناعة الغزل والصوف وتجارتها .

نحن في هذه المدينة ، كما كنا في مانشستر التي قضينا اربعة ايام تتنقل في ارجائها ونجوب مصانعها ، وكما سنكون في برمنغهام غداً ، في قلب المناطق الصناعية التي تتألف منا شهرة بريطانية العظمى ، وتتكون من انتاجها ثروة ضخمة وجاه عريض ، وفي شعورنا ان هذه الثروة الصناعية مردها الى النظام والاقتصاد ، نظام العمل وتوفير الرخص في قيم الانتاج .

ان نظرة بسيطة الى اجور العمل عندنا والى اجور العمل في بريطانية العظمى تدلك دلالة واضحة على مبلغ الغبن الذي تلاقيه صناعتنا ، فهي تدفع اجوراً مضاعفة ، وربما ارتفعت هذه الاجور في بعض الاحيان الى ثلاثة اضعاف ماهي عليه في بريطانية ، على حين يعيش العامل في بلادنا بوجه الاجمال عيشة اقرب الى البساطة بالنسبة الى العامل البريطاني الذي لاينقصه شيء من اسباب كمال العيش في المسكن والطعام واللباس وضروب التسلية . وهذه المرأة التي دخلت اليوم ابواب العمل ، وحلت في كل ناحية من نواحيه ، تجدها في اناقتها وفي وسائل حياتها مثل المرأة القريرة البال التي تستغني بتربية اطفالها وادارة شؤون بيتها عن العمل لكسب معاشها الذي ضمنه رب بيت موسر .

في اعتقادي ان مرد الامر الى النظام الذي جعل اكلاف المعيشة متناسبة مع دخل العامل ، وليس معنى ذلك ان الرخص شائع في بريطانية العظمى ، كلا بل ان الغلاء يفوق ماعندنا في بعض الاحيان ، ولكن الدولة استطاعت ان تفرض مستوى للمعيشة يستطيع العامل ان يجد معه البغية التي يبتغيها ، ويرضى بالاجر الذي يتناوله ، وحسب العامل هذا وكفى .

الديمقراطية الصحيحة

محاضرة السر ستافورد كريبس وزير التجارة

برادفورد في ٢٢ كانون الثاني ١٩٤٧

هذا مشهد من مشاهد الديمقراطية الصحيحة في بريطانية العظمى تسنى لنا ان نشهده في برادفورد ، فقد دعينا مساء هذا اليوم للاستماع الى المحاضرة التي يلقيها السر ستافورد كريبس وزير التجارة على جمهور كبير من ممثلي نقابات العمال واصحاب العمل في المدينة في موضوع الانتاج ، وفي هذه المحاضرة جزء من الحملة التي تقوم بها حكومة العمال للرد على الانتقادات التي توجه الى سياستها في شؤون البلاد الاقتصادية من جانب المحافظين المسيطرين على جزء كبير من المرافق العامة في ميادين الصناعة والانتاج . وتعتبر الحكومة ان هذه الحملة لامندوحة عنها لشرح خططها امام جمهرة الشعب ، والدفاع عن وجهات نظرها ، حتى اذا تبين الشعب وجه الصواب في هذه الخطط ، خضع لها واذعن ، وتلقاها عن رضى واطمئنان ، من غير ان يكون لوسائل التنفيذ القهرية اثر في الاذعان والخضوع .

عقد الاجتماع في صالة عامة في صدرها مسرح فسيح ، ودخل محافظ المقاطعة بالحلل التقليدية ، فجلس في صدر السدة والى يمينه السر ستافورد كريبس والى يساره اللادي كريبس ، والى الجانبين جلس بعض ممثلي نقابات العمال ، وبعض

ممثلي نقابات اصحاب العمل ، وبعض ممثلي السلطة المحلية ، وهؤلاء هم الذين يتولون حل المشاكل القائمة بين اصحاب العمل وبين العمال بروح التعاون والانصاف من غير ان تتدخل الحكومة في هذه المشاكل ، وجلس في القاعة نحو ألف من ممثلي نقابات اصحاب العمل والعمال .

وقف المحافظ يلقي كلمة الافتتاح ، فقال انه كمحافظ لهذه المحافظة يهمه امر كل فرد من سكانها ، يود لو يتيح له السر ستافورد كريبس فرصة الاجابة على الاسئلة التي توجه اليه من مسز جون ومستر جون — اي من فلانة وفلان — متى ينتهي نظام التقنين ؟ ومتى تستغني ربة المنزل عن الوقوف في الصف لتأمين حاجات بيتها ؟ ومتى ومتى ... مما يماثل هذه الاسئلة ويعد من فصيلتها ؟ وقال ان عليه كمحافظ ان يدير الجلسة بحياد تام تاركا حزبيته الشخصية ونزعته الخاصة جانباً . ثم ذكر شيئاً عن حياة السر ستافورد كريبس وعن المناصب التي تقلدها والمهام التي اضطلع بها ، وعن اثره في هذه المناصب المختلفة ، وقدمه للكلام .

السر ستافورد كريبس يحاضر

ونهض السر ستافورد كريبس ، فالقى خطبة طويلة اوضح فيها ان بريطانية العظمى تجتاز اليوم ازمة اقتصادية لاتقل أثراً فى اهميتها وفي نتائجها عن ازمة الحرب التي تخطتها ظافرة موفقة ، وهو يأمل ان التعاون المشترك والتضامن القوي الذي كان عاملا اساسياً في كسب الحرب ، سيكون كذلك عاملا رئيسياً في التغلب على ازمة السلم . ولايعني ربح الحرب ان تقف البلاد وقفة المستهتر القليل الاكتراث ، وان تعتقد ان ازمات الشدة انتهت ، وان الصعوبات القائمة لا يؤبه لها ، وان الساعة قد دنت لتحديد ساعات العمل والاستسلام لدواعي التراخي واللهو والترف ، فمثل هذا الموقف هو الخطر بعينه وهو الذي يؤدي الى الكارثة الاقتصادية العظمى ، والموقف الصحيح يقضي بضرورة العمل والجد المتواصل اليوم كما في ايام الحرب ، ويقضي كذلك بضرورة التعاون في سبيل زيادة الانتاج ، حتى تعود الحالة الى ما كانت عليه سنة ١٩٣٨ ، وهذا هو هدف الحكومة والبلاد الآن .

وهناك صعوبات كثيرة تحول دون هذا الهدف ، وفي مقدمتها قله اليد العاملة واستهلاك المستثمرات المدخرة فيما وراء البحار لغاية كسب الحرب ، وضرورة الوقوف عند حد الكفاف في استهلاك ماننتج لكي نستطيع التصدير الى الخارج ، وهذا امر ضروري تتوقف عليه قدرتنا على استيراد الاغذية والمواد الاولية اللازمة لنا حتى تظل مصانعنا في الطليعة . وبعدان عدد السر ستافورد كريبس المصاعب وشرحها ، واوضح الطرق التي سلكتها الحكومة او التي تنوي سلوكها في سبيل اجتيازها ، حث الناس مرة اخرى على مواصلة العمل ومضاعفة الانتاج والاستمرار على التعاون في سبيل ادراك الهدف ، الى ان تمر ازمان الشدة ويأتي يوم الرخاء والهناء وتحديد ساعات العمل .

الجمهور يناقش وزير التجارة

واباح المحافظ الكلمة ، وقال ان لديه ستة اسئلة مكتوبة تقدم على سواها لانها وردت قبل غيرها . وطلب الى السائلين ان يتلو كل واحد منهم سؤاله ، فتليت وأجاب الوزير عليها والابتسامة لاتفارق ثغره ، ثم بدأت الاسئلة الشفهية فكان كل واحد من الجالسين في الصالة يطلب الكلام ويتحدث بدوره . وهذه نماذج من الاسئلة والاجوبة :

السؤال — هل تنال معامل النسيج نصيبها الكافي عند توزيع الفحم ؟

الجواب — بالنظر لقلة كميات الفحم ، ولاسيما في الاسابيع المقبلة ، ستكون خطة الحكومة تفضيل الضروري على الكمالي .

السؤال — لماذا تسمح الحكومة بتصدير معامل النسيج الحديثة الى الخارج دون ان يتاح لنا نحن اقتناء مايكفي حاجة معاملنا منها ؟ انكم بذلك تشجعون الصناعات الاجنبية على مزاحمتنا مزاحمة سيظهر اثرها بعد حين .

وكان الجواب على السؤال مستمدا من خطة الحكومة ووجهة نظرها في هذا الشأن .

ولفت انظار الجميع شاب عريض الصوت وضع يديه على جنبيه واخذ يمشي ذهابا وايابا وهو يلقي اسئلته وكانما يخاطب رجلا عاديا ، وكان الجميع يصغون الى اسئلته ، والوزير منتبه لها بوقار وحرمة ، وقد افسح له مجال القول ما دامت عنده اسئلة يلقيها . ومما قاله هذا الشاب الجريء : انني من المسرحين بعد الحرب ، اتخذت لنفسي متجرا في المدينة ، فلماذا لاتفسحون لي ولامثالي من المسرحين مجال العمل مع الخارج كما تفسحونه للذين عملوا في التجارة اثناء الحرب ؟ ولماذا تخصونهم بكميات التصدير والرخص من دوننا ؟ فاجابه الوزير انه يعرف هذه الصعوبات وانها من بقايا سني الحرب التي لاتزال ضرورات التنظيم تقضي بالاستمرار عليها ؛ والفرد كثيراً ماينبغي وتضحي مصالحه في سبيل المجموع ، والبلاد بحاجة الى العمل لتزول ماخلفته الحرب من آثار . بعد هذه الايضاحات كان جواب الشاب هكذا: انني وجميع هؤلاء مستعدون للتضحية ، مستعدون لنعمل لاعشر ساعات بل اثنتي عشرة ساعة وست عشرة ساعة.. شكرا ياسر ستافورد كريبس وتصبح على خير ... وجلس في مكانه متثاقلا !

وجرت بعد ذلك مراسم اغلاق الجلسة ، فاعلن المحافظ انه ورد استدعاء ثني عليه بان تقبل خطة الوزير الاقتصادية ويأخذ القوم بها طائعين مختارين ، رجاء ان يأخذ الوزير الملاحظات الواردة عليها بعين الاعتبار ، وقبل التصويت على الاستدعاء الوارد بالموافقة انسحب ثلث من في القاعة ، اشارة الى مخالفتهم او استنكافهم ، ووافق الاخرون واختتمت الجلسة .

مغزى هذا الاجتماع

ثلاثة امور تستخلص من هذا الاجتماع : الاول ان الحكومة لاتقتصر في مهمتها على سن القوانين وتنفيذها ، بل تلجأ الى شرح مضامينها وتبيان حسناتها واقناع الرأي العام بانها وسيلة من وسائل انعاشه ورفعة شأنه ، حتى اذا طبقت هذه القوانين رافق تطبيقها رضى الناس بها وشعورهم بانها تنفذ بموافقة الجميع . والامر الثاني هو روح النظام الذي ساد اجتماع الف شخص من فريق اصحاب العمل والعمال ، كل يتكلم بدوره ويعرف الانقياد الى امر رئيس الجلسة متى طلب اليه السكوت ؛

هـذه الروح لا تكاد تجدهـا في مجالس منظمة لا يزيد عدد اعضائها على المـائة في البلاد التي تعتد قليلا بمقتضيات النظام . والامر الثالث هو هذه الحرية المطلقة في اقدام كل امرئ على اعلان رأيه وارسال نقده مهما يكن هذا النقد لاذعـاً ، وتلقي وزير في الدولة هذا النقـد بروح الجد والاهتمام ، والاجابة عليـه بلهجة المرشـد لا المهجة الآمر .

ان روح الديموقراطية الحقيقية تجلت في هذا الاجتماع بمظهرها الجدي ، وحرية الانتقاد وحرمة النظام كانتا هنا ابرز مظاهر هذه الديموقراطية . وسيأتي الكلام عنها في بحث خاص .

وقد اقبل السر ستافورد كريبس علينا وصافحنا في نهاية الاجتماع عندما عرف اننا في زيارتنا لمدينة برادفورد استمعنا محاضرته القيمة وشهدنـا مساجلاته الطريفـة مع ممثلي الشعب .

في مدينة برمنغهام

برمنغهام في ٢٤ كانون الثاني ١٩٤٧

في جو بارد كثير الضباب ، غادرنا مدينة برادفورد يوم امس بقطار السكة الحديدية الى برمنغهام ، المدينة الثانية في انكلترة ، وفي الطريق الذي استغرق اجتيازه ثلاث ساعات ونصف الساعة بالقطار السريع ، تبدى لنا من مشاهد الصناعات الانكليزية مالا يحده وصف . يكفي ان نذكر منه مدينة شيفيلد حيث صناعة الفحم والمعادن والفولاذ ، وحيث آلاف المداخن ترسل الى الجو تيارات من الدخان الاسود الفاحم من شأنها ان تسمم الجو وتثير عبقة الصدر . الى جانب انعاشها للصناعة التي تحرص بريطانية العظمى حرصاً كبيراً على دفعها الى الامام .

وفي الحق انه مشهد لا يبرح الخيال : أميال وأميال من الابنية على مد البصر على جانبي السكة الحديدية ، لا يكاد يبصر المرء بينها بيتاً واحداً ، تتربع على مساحة عشرات من الاميال المربعة ، يحسب الانسان معها ان الدنيا تحولت الى آلة ، حتى اذا تجاوزها القطار الى الارض الخضراء الناعمة ، شعرنا بالوحشة والانقباض ، او ليست هذه الآلة عنوان العظمة وموطن الثروة وسبيل الرخاء !

وصلنا الى « كوينز اوتيل » في برمنغهام ، لنتنقل منه بعد قايل الى معمل « كادبوري » الضخم لصنع الشوكولاته والسكاكر والبسكويت ، في ضاحية المدينة الجميلة الانيقة ، الى اكبر معمل من نوعه في العالم كله تعبنا ونحن نصعد سلالمه بالمصاعد الكهربائية ، ونتنقل في طوابقه وارجائه لنشهد الآلة كيف تصنع العجائب ،

ومع الآلة سبعة الاف عامل وعاملة ، ينقصهم الف آخر ليتم استيعاب المعمل ويكمل عمله ، وقد شهدنا هذه الآلة تصنع في ثماني ساعات ٢٧ الف علبة من القصدير لتعبئة الكاكاو مختلفة الاحجام ، وشهدناها تحول كل شئ بسرعة فائقة . وتنقل كل ثقل الى سائر اجزاء المعمل ، ثم شهدنا في المعمل نفسه اكبر مطبعة يمكن ان ترى في الشرق ، تكاد لاتكفي حاجة المعمل وحده رغم عشرات الآلات الطابعة الاوتوماتيكية ومئات عمال الطباعة المبعثرين في اجزائها .

هذا المعمل الذي اصبحوا يسمونه اكبر معمل للشوكولاته في العالم اسس سنة ١٨٣١ ، وزاره ملوك انكلترة في القرن الحاضر ثلاث زيارات في سنة ١٩١٩ وفي سنة ١٩٢٩ وفي سنة ١٩٣٩ ، كأن الملوك يعتبرون فرضاً عليهم ان يكرروا الزيارة كل عشر سنين لينعشوا المعمل واصحابه . وانك تحسب وانت تجتاز عتبة احد مداخله ، وتواجهك صالة كبرى في صدرها مسرح فسيح ، والى اليمين واليسار من المدخل غرف الثياب واماكن الانتظار ، انك في صالة تمثيل او في دار للسينما ثم انك لتحسب وانت تشهد ساحات اللعب والمسابح من حول عشرات الابنية المتلاصقة القديمة والحديثة انك في ناد للالعاب الرياضية والسباحة ، مع ان صالة المسرح وساحة الالعاب والمسبح هي للعمال للعبهم ولهوهم ورياضتهم ورقصهم ، ثم لمشاهدة الروايات التمثيلية وافلام السينما وسماع الموسيقى ، فاذا صعدت الى الطابق الاول استقبلتك صالة للطعام تتسع لجلوس الفين وخمسمائة من العاملات والعمال معاً يتناولون وجبة الغداء كل يوم باقل من شلن والشاي والساندويتش والحلوى اذا شاءوا بنحو ربع شلن ، ثم يفسحون المجال لغيرهم حتى يتناول السبعة آلاف عامل طعامهم .

هذا المعمل لايشكو من قلة اليد العاملة فحسب بل يشكو لظام التقنين ايضاً ، فهو يتناول اربعة اسباع حاجته من السكر في هذه الايام ، وينتظر مع المنتظرين ان ترتفع قيود التقنين ليرفع القناع عن وجهه الحقيق ، فينتج انتاجاً مضاعفاً على الاقل.

بعد زيارة المعمل الجبار جاء وقت الشاي ، تناولناه على مائدة انيقة اعدت في

صالة طعام المديرين والزوار ، ثم كان الترحيب من جانب مدير المصنع بالوفد الصحفي وجواب الوفد عليه ، ثم التوقيع على دفتر الزوار الذهبي بالانكليزية والعربية مع ما تراءى للوفد من عبارات التقريظ .

بعد هذه الزيارة كانت مأدبة العشاء التقليدية مع الصحفيين في برمنغهام ، في صالة فخمة خاصة من صالات « كوينز اوتيل » ترأسها مدير مكتب نشر المعلومات في برمنغهام المستر ارثر كلارك ، وحضرها مدير مكتب تنسيق الصناعات في المقاطعة ومدير مصانع سيارات روفر الشهيرة ، وخطب فيها هؤلاء جميعاً كما خطب ممثلو صحافة برمنغهام وبعض اعضاء الوفد.

برمنغهام وصناعتها الضخمة

شعرنا ونحن في الفندق ان الجو يكفهر وان البرد يشتد ، وبدأ تساقط الثلوج منذ عودتنا من معمل « كادبوري » ، ولما انتهى العشاء كانت المدينة كلها تحت رداء كثيف من الثلج ، والبرد يحاول مهاجمة الفندق فتصده وسائل التدفئة . وعلى هذا منعتنا موجة الثلوج من التعرف الى هذه المدينة الجميلة في الليل ، ومنعتنا كذلك من الوقوف في هذا الصباح عند ساحاتها وابنيتها وشوارعها ومخازنها ، وامام تماثيلها وقصورها ، وحالت بيننا وبين رؤية برج الساعة وقصر تشمبرلن وتمثاله في الساحة الكبرى والهيكل الماسوني والكاتدرائية وقصر المحافظة والمكتبة العامة ودار مجلس المحافظة « كاونسيل هاوس » والمتحف والبناء المسمى « هول اوف ميموري » اي قاعة الذكرى وكنيسة سان مرتان . وفي مدينة برمنغهام فوق ذلك اجمل الحدائق العامة ، والحدائق في انكلترة يوضع تصميمها مع تصميم المدن وتعتبر شيئاً اساسياً فيها ويبالغ في سعتها وانفراج مابين اطرافها .

وأني لنا في مدينة سكانها مليون نسمة ، وصناعاتها تشمل الفاً وخمسمائة نوع ، ومساحتها ثمانون ميلا مربعاً ، ان نشهد كل هذا في يوم واحد ، في يوم بارد غمرت الثلوج فيه المدينة ؟ أنى لنا ان نشهد اعظم مصنع للدراجات في العالم يصنع ثلاثة آلاف دراجة في اليوم ، واعظم مصنع للمطاط ، ومصانع اخرى لصنع القطارات

الحديدية وما يتبعها ، ومصانع ادوات توليد الكهرباء التي تنار فلسطين برمتها بها ، ومصانع الانابيب البترولية التي استعملت لاسالة بترول العراق الى ساحل المتوسط؟ ثم كيف السبيل الى زيارة اكبر مصنع لادوات التلغراف والتلغراف اللاسلكي التي فرشت في قاع البحار لتأمين الاتصال بين انكلترة واميركة ، او زيارة مصانع الاسلحة والغاز والماكنات والفولاذ والادوات الفضية او الملبسة والمطلية بالفضة ؟ اما المجوهرات وادوات الزينة فان برمنغهام تصنع منها ما تطبق شهرته آفاق الدنيا بأسرها .

وليست برمنغهام مركزاً صناعياً فحسب ، بل هي من اجمل المدن في انكلترة بمرتفعاتها ونجادها ووهادها ، وفي احيائها الجديدة اجمل المنازل . ومن دواعي الاسف اننا مررنا بها مسرعين ، لننتقل الى معمل سيارات روفر الواقع في ضاحيتها ثم الى كوفنتري .

معمل سيارات روفر ومدينة كوفنتري

لندن في ٢٤ كانون الثاني ١٩٤٧

غادرنا مدينة برمنغهام ، المدينة التي يقصر كل ادراك عن وصف جمالها وتبيان اثرها في الصناعات ، وكان علينا ان لا نقضي في هذه المدينة الجميلة زمناً طويلا ، فان اقامتنا فيها لم تطل اكثر من يوم واحد قضيناه في معمل كادبوري ، وفي هذ الصباح الباكر حملت السيارات لمتعتنا وسارت بنا في شوارع برمنغهام في جو عاصف بارد ثقيل ، ولم نكد نتبين متى انتهت شوارع المدينة ومتى بدأت الضواحي ، ففي هذه المدن البريطانية يختلط عليك الامر فلا تعرف اين حدود المدينة من الريف ، ولا تدرك وانت في بلدة تعتبر من القرى انك في قرية بالمعنى الصحيح . انهم في القرى يسيرون على غرار المدن في شق الطرق والشوارع ، وانشاء الساحات والحدائق ، وبناء المكاتب ودور السكن ؛ واي فرق في الواقع بين من يسكن المدينة ليختلف الى معاملها ويلتحق في الاشتراك بالمجهود الصناعي ، وبين من يسكن الريف ليعنى بالارض الزراعية .

ان الارض الزراعية بمعناها الواسع غير موجودة في بريطانية العظمى ، ولكن هذا لا يعني ان الريف لا وجود له . هذه الارض البريطانية يعنى السكان بانتاجها ، وفيها كنوز زراعية دفينة لا يتوانى البريطانيون عن استخراجها .

وصلنا معمل سيارات روفر الذي كنا نقصد اليه ، فاستقبلنا مديره استقبالا حسناً ، واجلسنا في مكتبه هنيهة يشرح لنا نظام العمل ، ثم رافقنا مع مدير فرع البيع في اقسام المصنع حيث رافقنا صنع السيارة من اول جزء فيها الى ان تصبح جاهزة للاستعمال . بني هذا المصنع سنة ١٩٣٩ ليتولى صنع الطائرات ، وكان ينتج النوع المعروف باسم « هركوليس » ، وفي اواخر الحرب صنع طائرة نموذجية من ذوات الاندفاع النافوري ربحت جائزة السرعة اذ قطعت ٦١٦ ميلا في الساعة ، وفي نهاية الحرب تحول الى مصنع للسيارات ، ويعمل فيه اليوم ٢٦٠٠ عاملة وعامل ؛ وفيه مستشفى صغير للاسعاف الاولي ، فكثيراً ما تقع حوادث اثناء العمل من جراء استعمال الآلة . وقد تراءى لنا الاختصاص بشكل بارز هنا ؛ اذ قسمت صناعة السيارة بين الجنسين على اساس القدرة ، فكانت المرأة هي التي تخيط قماش السيارة وتجهز مقاعدها وتعمل في كل ما يحتاج الى اناقة المراة القادرة على العمل والانتاج ، وكان الرجل هو الذي يشتغل في تكييف المعدن والخشب وفي تجهيز السيارة ودهنها .

لم نشهد مصنعاً اميركياً للسيارات ، ولكن معمل السيارات البريطاني الذي زرناه اليوم اوضح لنا مدى الاتقان الذي يرافق صنع السيارة البريطانية . في محركها وهيكلها وفرشها ودهنها ، وقد انتقلنا بعد هذه الجولة الطويلة في ارجاء المصنع الى بناء ملحق به تناولنا فيه طعام الغداء ، واستمعنا الى كلمات الترحيب بنا ، والى ايضاحات جديدة عن معمل روفر ، وسيارة روفر اغرتنا بابتياع واحدة منها كانت نصيب زميلنا الاستاذ سعيد فريحة .

كوفنتري .. المدينة الضحية

حملتنا السيارات بعد الغداء في جو صاخب الى مدينة كوفنتري التي قذفها الالمان في اوائل الحرب قذفاً شديداً بقنابل طائراتهم ، وصلنا اليها بعد مسير نحو ساعة ، فمررنا في اول الامر بشوارع منسقة ، على جانبيها منازل جديدة انيقة ، فقلنا لعل

كوفنتري المدينة المهشمة غير هذه المدينة ... ولما بلغنا قلب البلد اخذ يتراءى اثر التهديم فيها، وتبدت الابنية المنهارة على نفسها ؛ فقد اتخذ سلاح الجو الالماني خطة التهديم بارسال اسراب متتابعة تقذف الثقيل من الحمم على قلب المدينة من الجنوب الى الشمال ، ثم من الجنوب الشرقي الى الشمال الغربي ، ثم من الشرق الى الغرب ، وهكذا حتى تمت لهم خطة التهديم فاصيبت كاتدرائية كوفنتري التاريخية ولم يبق منها قائماً الا البرج ، وتهدم ستة آلاف منزل ، واصيب عشرون الف منزل باضرار متفاوتة ، وبقي ثلاثة آلاف من السكان بلا مأوى ، وقتل الف شخص من ابناء المدينة نصفهم في غارة واحدة !

يشتغلون الآن في كوفنتري باعادة بناء المدينة على شكل جديد ، ويعمل مهندس المدينة في مكتب يضم عشرات الموظفين لاستكمال خطط البناء الجديدة ، ومتى بوشر بالتطبيق عمد الى هدم الابنية القائمة واحداً بعد آخر لتنفيذ المخططات ، وهذه الخطة ستجعل من مدينة كوفنتري احدث مدينة في العالم . وبطبيعة الحال لايشمل مخطط التجديد اطراف المدينة والشوارع والابنية الجديدة ، بل يقتصر على قلب البلد ، على الناحية المتضررة التي يقتضي ان يعاد بناؤها .

وكوفنتري مدينة كان يسكنها ٢٢٠ الفاً من السكان ، وقد اشتهرت الى جانب شهرتها كمدينة تاريخية بصناعة السيارات والدراجات .

ولقد انتقلنا من مكتب مهندس المدينة الى دار المحافظة ، فاستقبلنا اللورد المحافظ بالحلل الرسمية والشارات ، بحضور بعض اعضاء مجلس المحافظة ، وتناولنا الشاي واستمعنا الى خطبة الترحيب وأجبنا عليها ، ثم هرولنا مسرعين الى المحطة لنعود الى لندن بعد غياب استمر اثنى عشر يوماً عنها . ولست ادري لماذا كان اعضاء الوفد متشبطين بهذه العودة ، ولكن الذي استطيع ان اقوله انني كنت اشعر وانا في القطار الى لندن شعور من يعود الى بلده بعد سفر طويل شاق ، وليست لندن بلدنا ، فنحن فيها عابروا سبيل لمدة عشرة ايام اخرى ، ولكنها في بريطانية المدينة التي ينشرح فيها الصدر ، وتتفتح فيها آفاق الفكر ، فهي عاصمة ولا كالعواصم ، يزدحم فيها

الناس فلا تشعر انت بالازدحام ، وتتلاحم السيارات والاوتوبوس وتتلاحق حتى يكاد يجتمع منها خمسمائة في ساحة واحدة ، بينها خمسون « اوتوبوساً » من ذوات الطابقين ، من تلكم السيارات التي تخالها ابنية متحركة ، فلاتحس انك في ازدحام لان هذه السيارات كلها تتفرق ذات اليمين وذات اليسار متى اعطيت اشارة السير الاوتوماتيكية ، فاذا كل شيء مرتد الى اصله بنظام ليس له شبيه .

عدنا الى لندن ، وهاانني اكتب هذه الرسالة حين عودتي لاذكر وقائع النهار العاصف ، ولاذكر أيضاً وقبل كل شيء شعور الغبطة الذي كان وفدنا يحس به لانه عاد الى لندن .

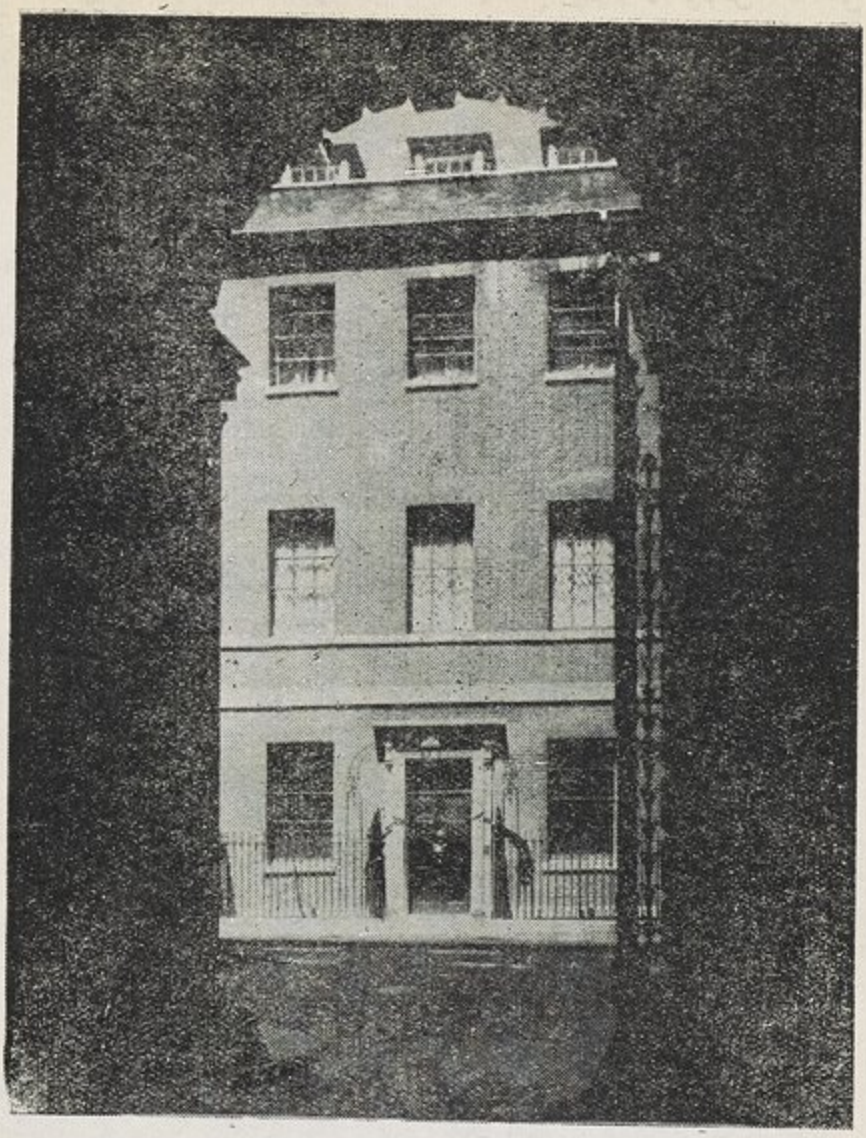

يظهر في هذا الرسم بناء ١٠ دواننج ستريت مأخوذاً من ارواق وزارة الخارجية كما كان يراه هوراس ولبول اشهر الكتاب البريطانيين في القرن الثامن عشر . وقد اقام في هذا البناء عدد من رؤساء الوزارة البريطانية ، وشهد اكبر الشخصيات الاوروبية تجوز عتبته على ضوء المصباح الحديدي الذي يتدلى فوق بابه .

في جامعة اوكسفورد

حديث مع المستشرق البريطاني البروفسور جيب:

لندن في ٢٦ كانون الثاني ١٩٤٧

فتحت ستائر غرفتي المطلة على حديقة « هايد بارك » في الصباح الباكر ، فرأيت الحديقة والشارع وابنية المدينة مغمورة بثلوج كثيفة لم ار مثلها من قبل ، وشهدت المارة والبرد يكاد يصرعهم — والحرارة داخل الفندق لاتهبط الى أقل من ١٧ درجة فوق الصفر بميزان سنتيغراد — فادركت ان رحلتنا الى اكسفورد التي تبعد نحو ستين ميلا عن لندن ستكون صعبة غير ملائمة ، وقد كنت متوقعاً ان تكون أجمل الرحلات ، وان نسلك فيها الطريق الجميلة المحاذية لنهر التايمز ، الا ان الثلوج المتراكمة في الطريق قضت علينا ان نسلك طريقاً آخر .

وصلنا مدينة او كسفورد في ساعتين ، والتقينا في « راندولف اوتيل » بالبروفسور ه.ا.ر. جيب استاذ اللغة والادب العربي في جامعة اوكسفورد . ومعه اثنان من اساتذه الجامعة هما البروفسور درايفر والدكتور بيستون ، والمستر ه . ر . هاربر ضابط الادارة الاقليمي لمكتب نشر المعلومات . وكان حديث بيننا وبين والبروفسور

جيب على مائدة الطعام وفي الطريق الى الجامعة وعلى مائدة الشاي ، نلخصه بعد الحديث عن كليات أو كسفورد .

جامعة اوكسفورد وكلياتها

تتألف جامعة اوكسفورد من عشرين كلية للبنين واربع كليات للبنات ، ولا يعني هذا ان التدريس مختلف يختص كل كلية بنوع معين ، وان الاناث يتلقين دروساً تختلف عن دروس الذكور ، بل ان الكليات هي عبارة عن ابنية كبيرة أو صغيرة ، مع حدائق واسعة او ضيقة ، فيها قاعات للمحاضرات وصالات للطعام وغرف لاقامة الطلاب وسكناهم ، مع مايتبع ذلك من شؤون الادارة والاساتذة . وينتسب الطلاب الى الكليات بحسب الفروع التي يختصون بها على الاغلب ، ومعنى ذلك ان توزيع الطلاب على الكليات لايعني حتماً توزيع الاختصاص . وعلى هذا الاعتبار تسكن طالبات الجامعة في اربع كليات مستقلة ، اما المحاضرات فقد يأتين الى كلية اخرى للاستماع اليها ، أو يأتي الطلاب الى كليات البنات حين تلقى المحاضرات فيها . بعض هذه الكليات يتألف من عدة ابنية متلاصقة تحف بها حدائق واسعة متناهية في السعة ، وبعضها قديم ضارب في مجاهل القدم ، واكثرها مبني على الطراز الغوثي الابناء واحد في كلية مودلين انشئ حديثاً على طراز عهد التجدد « رونيسانس » ، على حين بنيت كليات جامعة كامبردج كلها من طراز عهد الرونيسانس . وكان لكل كلية في اكسفورد في القديم معملها الخاص لصنع البيرة لاستهلاك الاساتذة والطلاب ، يوم كانت البيرة هي الشراب الوحيد في انكلترة ، وهذه المعامل توقفت منذ بعض الوقت .

هناك ثمانون استاذا من اصحاب الالقاب العلمية ، ومائتان وثلاثون مدرساً لجميع فروع الجامعة ، وهذه الفروع تدرس فيها العلوم على اختلافها ، والهندسة والطب بسائر فروعه ، والحقوق والادب القديم والحديث ، واللغات السامية واللغات الشرقية واللغة العربية ، واللاتيني واليوناني القديم وغير ذلك ؛ يحاضر الاستاذ نحو خمس مرات في الاسبوع ، والطلاب احرار في الاستماع الى محاضرته او في عدم

الاستماع اليها، ولكل طالب مدرس خاص يجتمع اليه ساعة في الاسبوع على الانفراد ليبحث معه نتيجة عمله الاسبوعي، ويهيئ مايبغي عمله في الاسبوع التالي، وكل مدرس يختص بعشرة أو اكثر من الطلاب يتابع الدروس مع كل واحد منهم بمفرده، وهو اسلوب خاص في التعليم الجامعي، والتدريس ثلاثة فصول في السنة يمتد كل واحد منها ثمانية اسابيع.

يجتمع الاساتذة والطلاب اجباريا في قاعة الطعام كل مساء بالالبسة الجامعية الرسمية لتناول طعام العشاء، اما طعام الظهر والشاي فللطلاب حريتهم في تناولهما حيث يشاءون، ويسكن الطالب في الكلية اجبارياً خلال السنتين الاوليين من دراسته، ثم يصبح اعتباراً من السنة الثالثة حراً في ايجاد سكناه في بيوت البلد او فنادقها، وليس له حق الخيار على الارجح لدوام سكناه في الكلية.

زرنا خمساً من هذه الكليات فقط، بدأنا بكلية مرتون التي تأسست سنة ١٢٠٦ بعد بناء الجامعة الاصلي الذي يعود تاريخه الى ١١٢٩، وانتقلنا الى كلية مودلين التي انشئ فيها البناء الجديد، وحديقتها من اكبر حدائق الجامعة، فيها سرب من الغزال والوعل يزيد جمالها جمالا، ثم الكلية الجديدة «نيو كوليدج» حيث تدرس اللاتينية واليونانية القديمة، ثم كلية وودوم فكلية سان جون، وهذه الكلية اتخذت في القرن السابع عشر مقراً للبلاط الملكي في عهد الملك شارل الاول يوم هاجمه البرلمانيون وأخرجوه من لندن فالتجأ الى اكسفورد وحصنها وأقام اسواراً من حوله لا تزال قائمة الى الان في ابنية الجامعة ولاسيما في كلية وودوم؛ وفي كلية سان جورج كنيسة صغيرة يدفن فيها رؤساء الكلية، وفي اغلب كليات الجامعة مثل هذه الكنيسة ايضاً.

وللجامعة كنيسة تاريخية قديمة العهد ازدانت ببعض التماثيل، شهدنا بينها تمثالا نصفياً للبروفسور ادواردس بوكوك، اول مستشرق درس اللغة العربية في جامعة اكسفورد سنة ١٦٣٦. وقد مررنا بمرصد الجامعة الذي سمي (مرصد هالي) العالم الذي اكتشف النجم المذنب لاول مرة، فسمي النجم نفسه باسمه.

ومن امتع ماشهدناه بناء مكتبة بودلي الحديث الى جانب البناء القديم الذي انشيء في القرن الخامس عشر ، هذا البناء الجديد واسع الجنبات جداً بني بالاموال التي تبرع بها الثري الكبير روكفلر ودشنه الملك جورج السادس رسمياً منذ ثلاثة اشهر ، والمكتبة منسقة احسن تنسيق واجمله ، وفيها فرع ضخم للمخطوطات الشرقية غني بالمخطوطات العربية والصينية والهندية والفارسية وما اليها ، وهناك كذلك بناية الفحوص التابعة للجامعة .

الاقبال على جامعة او كسفورد كبير جداً من البريطانيين والاجانب ، الطالب يسجل منذ ولادته كما في بعض الكليات ليدرك دوره عندما يصبح في سن الدراسة الجامعية . ويدفع ولي الطالب عند التسجيل عشرة جنيهات ، وقد اوجدت الحرب بعض الفراغ فيها ، فقبل من جراء ذلك بعض الاجانب بينهم لبناني واحد ترك الجامعة الان . وليست جامعة اوكسفورد باكبر جامعة في العالم كما سمعت بعضهم يقولون ، ولكنها من الجامعات الكبرى ، ومن اقدم الجامعات عهدا في العالم ، تجاوز عمرها ثمانية قرون .

حديث المستشرق البروفسور جيب

كانت احاديث البروفسور ه . ا . ر . جيب استاذ اللغة العربية والادب العربي في جامعة او كسفورد ، عنصرا مهماً من عناصر هذه الزيارة لجامعة اوكسفورد ، انه يتكلم العربية الفصحى شأن المستشرقين ، ولكنه يجد بعض الصعوبة في مباشرة الحديث وتداول الكلمات ، فهو يحتاج الى من يساعده في تقويم العبارة وانهائها ، ، وهل في ذلك من ضير عليه وهو في جامعة لايجتمع فيها الى عربي واحد يحدثه حديث اللغه ، ويكلمه بطلاقة العربي ؟ ؟

يقول الاستاذ جيب ان اللغة العربية لم تكن تلاقي شيئاً من الاقبال قبل الحرب الاخيرة ، فقد كان لديه طالبان للغة العربية فقط من الانكليز ، ولكن عدد الطلاب قفز بعد الحرب الى عشرين ، يعلمهم الالفباء العربية باحرف انكليزية في الاسبوعين الاولين ، ثم يصار الى استعمال الحروف العربية ، والطلاب يصادفون صعوبة كبيرة

في تعلم اللغة العربية ، وقد يتعذر على اكثرهم ان يخاطبوا واحداً او يفهموا لغة التخاطب بسبب فقدان المران ، وهذا طبيعي في مثل وسط جامعة اوكسفورد .

وقد سئل الاستاذ جيب لمناسبة ماقاله عن تعليم الالفباء العربية ، رأيه في مسألة تبديل الاحرف العربية باحرف لاتينية ، فقال انه لايوافق على هذا التبديل مبدئيا ، الا اذا كانت هناك مصالح اقتصادية تقضي به ، وسئل ماهي هذه المصالح الاقتصادية ، فاجاب انها ضرورات التفاهم بين الشعوب العربية وبين الشعوب الغربية على التبادل الاقتصادي باسلوب اقرب الى السهولة ، واحتاج هذا الموضوع الى نقاش طويل بيننا وبين الاستاذ جيب ، كان فيه متحفظا ، وان تكن فكرته واضحة من خلال هذا التحفظ !

وقال الاستاذ جيب انه يدرس الادب العربي الحديث او الادب المعاصر ، وانه يشرح للطلاب ادب شوقي وحافظ والمطران ، فسألناه رأيه في هؤلاء الشعراء الثلاثة ، اطال الله في عمر استاذنا خليل المطران ، فقال انه لايحب شعر شوقي وقال انه اميل الى شعر حافظ لسلاسته وسهولته وان تكن ديباجة شوقي امتن . اما استاذنا خليل المطران فلم يبد رأيا في شأنه ، وقد قال ان الحكم على الشعراء المعاصرين من اصعب الامور ، فقد تحكم على شعر المتنبي او البحتري او ابي تمام لانك تستطيع أن تدرس هذا الشعر دراسة موضوعية لاأثر للشخصية فيها ، ولكنك لاتستطيع ان تحكم على شعر المطران مثلا لان الناس يتأثرون في الحكم له او عليه بالاعتبارات الشخصية والعلاقات الودية وغير ذلك .

وانهالت الاسئلة على البروفسور جيب ، فسئل رأيه في شعر الاساتذة شفيق جبرى وخليل مردم بك وعمر ابو ريشة ، فتنصل من الجواب ، وقال انه لم يدرس شعرهم دراسة تؤهله للحكم ، كما تنصل من الجواب في شأن الاستاذ خليل المطران للاعتبارات الشخصية العاطفية التي ذكرها ، فان الشعر المعاصر يرفعه قوم الى السماك الاعلى ويهبط به قوم الى اسفل السافلين ، فتضيع الحقيقة بين من يبالغ في الحكم متعاليا وبين من يبالغ في الحكم متدنيا .

وسأل الاستاذ جيب عن جملة حال الاستاذسامي الكيالي اديب الشهباء ، سأل هل يصدر مجلة الحديث الى الآن ؟ فقلنا أنه يصدرها وهو في أمتع حلل العافية والحمد لله،وقد قال انه كان يتلقى مجلة الحديث الا ان الحرب قطعت اسباب الاتصال فانقطعت معه ، ولم تعد بعد استئناف الحياة العادية . ولم يقتصر حديث الاستاذ جيب على هذا ، بل أنه كان في خلال هذه الساعات التي قضيناها معه يجيب على كل سؤال سلباً أو ايجابا ، ويملأ المحادثه علماً ومعرفة .

وبعد ، لقد كانت زيارة اوكسفورد ممتعة رغم قسوة البرد ، وكان حديث البروفسور جيب وافياً مفيداً ، وكان يمكن ان يكون اكثر فائدة لولم تحجب المجاملة عنا حقيقة رأيه في المعاصرين . وها نحن نعود الى « الدورشستر » بعد هذا اليوم العاصف لنجد في كنفه الدفء وانس الحياة !

البرلمان البريطاني

لندن في ٢٧ كانون الثاني ١٩٤٧

زيارة دار البرلمان البريطاني من الزيارات الممتعة ، حرصنا على ان نستمع فيها بكل ما نود مشاهدته ونرغب في معرفته ، فكان لنا ما اردنا ، وكانت هذه الزيارة اكثر من زورة عابر سبيل ، فقد ذهبنا الى البرلمان في الساعة العاشرة من الصباح وخرجنا منه في الساعة الرابعة مساء ، وتناولنا طعام الغداء مع المستر نويل بيكر احد أعضاء مجلس العموم من حزب العمال واصغرهم سناً واثنين من زملائه النواب ، وحضرنا بعد الغذاء جلسة رسمية لمجلس العموم : ساعات طوال تملينا فيها من حديث التاريخ ، ومن حديث التقاليد ، وشهدنا أروع الصالات واجمل اللوحات ، وتملينا كذلك من حديث السياسة — سياستنا العربية المتصلة بفلسطين ومصر — مع ثلاثة من أعضاء مجلس العموم البارزين ، رفاقنا على مائدة الطعام .

دخلنا باباً من هذه الابواب الكثيرة التي تؤلف مداخل دار البرلمان ، المتصلة ابنيتها بعضها والمطلة من الناحية الاخرى على نهر التيمس في منظر يأخذ بمجامع الالباب ، فاستقبلنا قاعة من تلكم القاعات الضخمة كانت منذ ثلاثمائة سنة مكان اجتماع مجلس العموم ، تشير علامات خاصة في ارضها الى حدود مكان الرئاسة ، ولما احترقت منذ مائة سنة اعيد بناؤها وانشئت من حولها ابنية دار البرلمان ، وزينت هذه القاعة باثني عشر تمثالا من الحجر لاشخاص بارزين من رجال الحكم والبرلمان ،

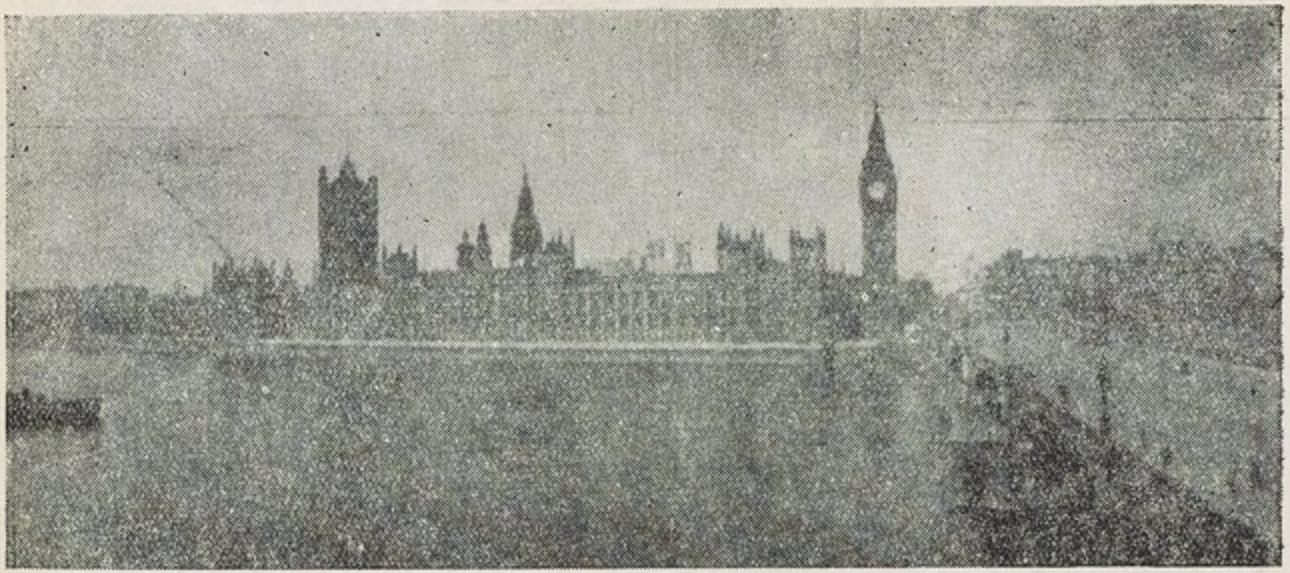

منظر عام لدار البرلمان البريطاني اخذ من الضفة الاخرى من نهر « التيمس » ، ويظهر فيه انسجام الابنية التي شيدت في ازمنة مختلفة ولكن على طراز واحد بشكل من التناسق لا مثيل له، وتعد هذه الدار من اجمل المنشئات في لندن ، ويزيد في جمالها وجودها على ضفة النهر

وزينت كذلك بصور ولوحات تمثل مراحل مختلفة من تاريخ بريطانية .

هذه القاعة التي تسمى قاعة سان ستيفنس ، استعملت في اثناء الحرب الاخيرة فاجتمع فيها مجلس العموم مرتين في شهر نوفمبر في احدى سني الحرب عندما دمرت غارة من غارات سلاح الطيران الالماني القاعة التي يجتمع فيها المجلس ، وفيما عدا هذين الاجتماعين الرسميين استعملت هذه القاعة لانتظار الملك حين يفتتح دورة البرلمان ، وكان ينتظر قبل ذلك في قاعة مجلس اللوردات .

وتنتقل متى بلغت صدر قاعة سان ستيفنس الى القاعة الوسطى، وهي صالة مستديرة واسعة ، معدة لانتظار من يودون مقابلة اعضاء البرلمان أو زيارتهم ، وقد حشرت فيها بعد كارثة التدمير غرف التلفون ومكاتب استعلام لهذا او ذاك من مجلسي البرلمان

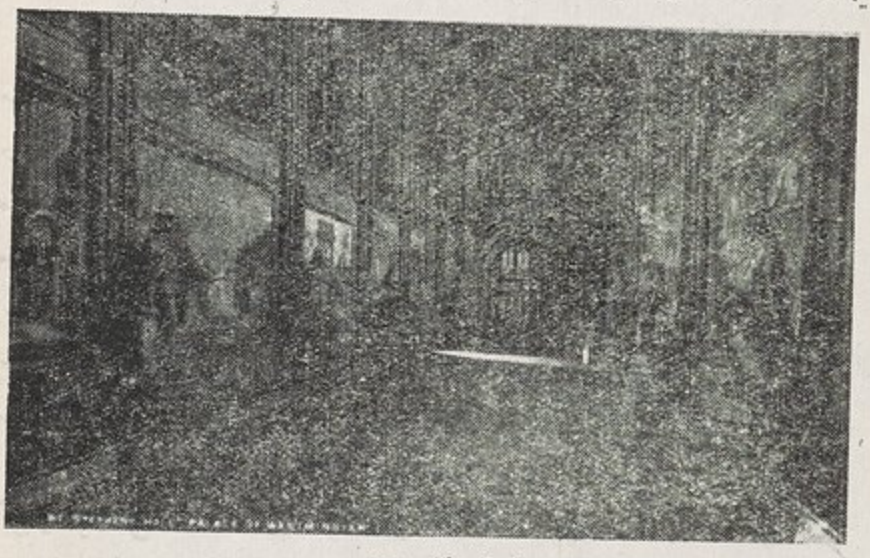

قاعة سان ستيفنس

ولكنها في تزيينها وفي اللوحات الفنية التي تملأ جدرانها تعتبر من القاعات الجميلة . والى اليسار من هذه القاعة الوسطى مدخل يؤدي الى قاعة مجلس العموم التي دمرت فخسرت دار البرلمان بتدميرها وتدمير قاعة وستمنستر أيضاً ثروة فنية تبذل اعظم الجهود لتعويضها في الوقت الحاضر . وما لنا وللقاعة المهدمة ، لقد الفينا عليها نظرة

أسف وشهدنا العمل متواصلا في سبيل اعادة بنائها ، وانتقلنا الى اليمين من القاعة الوسطي، الى قاعة تدخين النواب الملاصقة لقاعة الاجتماع ، وهي غرفة مستطيلة زينت جدرانها بست لوحات عظيمة الشان ، حسبي ان احدثك عن اثنتين منها .

تستقبلك وانت داخل هذه القاعة لوحة على الجدار الايسر طولها ثلاثة امتار وعرضها ثلاثة ، تمثل مشهداً تاريخياً من مشاهد الحياة البرلمانية في بريطانية : الملك شارل الاول يهاجم مجلس العموم بالقوة المسلحة سنة ١٦٤٢ ليقبض على خمسة من اعضائه ، ورئيس المجلس راكع امام الملك يقول له كلمته الشهيرة : « اسمح لي يامولاى صاحب الجلالة ، انه ليس لي عيون ابصر بها ، ولا لسان اتكلم به في هذا المكان ، الا كما يشاء هذا المجلس الذي انا خادم له هنا . »

ويعود الملك ادراجه خائباً بعد هذا الموقف ؛ وقد كان ملوك انكلترة في ذلك الزمن يملكون حق دخول قاعات اجتماعات المجلس في اي وقت يشاءون ، ويطلبون مايتراءى لهم ان يطلبوه حتى المال بالقدر الذي يريدون ، ولكن نضال مجلس العموم بعد هذه الحادثة وماتبعها من محاكمة الملك شارلس الاول في دار مجلس العموم ذاتها والحكم عليه بالاعدام وتنفيذ الحكم بقطع رأس الملك بالمقصلة ، حرم على ملوك بريطانية دخول مجلس العموم ، ويكاد هذا المجلس يكون المكان الوحيد الذي لايستطيع الملك دخوله . وقد تفقد الملك جورج السادس قاعه مجلس العموم بعد تدميرها بقنابل الاعداء ، فلاحظ انها المرة الوحيدة التي يتاح لملك بريطانية فيها ان يطأ ارض قاعة المجلس! وهذا المشهد الثاني ، مشهد الملك شارلس الاول مقطوع الرأس ومحمولا على اكف اعضاء البرلمان الى مرقده الاخير سنة ١٦٤٨ ، هو الذي سجلته لوحة ثانية على الجدار المقابل ، وكانما تشير هاتان اللوحتان الى مااشتمل عليه هذا المكان من قدسية سجلها التاريخ ودعمها .

من هذه القاعة المملوءة بهذه العبر ، يدخل الداخلون قاعة المجلس ، فهو الباب الذي يلج منه النواب قاعة الاجتماع . ولما كان الوقت صباحا ، فقد كان باب القاعة مخفوراً يرابط اثنان من رجال الحرس امامه ، واسرع احدهما تلبية لطلب مرافقنا

من موظفي وزارة الخارجية للاستئذان ، ولما اذنوا لنا بدخول القاعة في غير وقت الجلسة ، فتح الخفير الباب بمفتاح ضخم ، ورافقنا بحذر وانتباه ودقة ، ومنع واحداً منا ادركه التعب من الجلوس على مقاعد الاعضاء !

قاعة مجلس العموم

القاعة مستطيلة يجلس الرئيس في صدرها بالالبسة الرسمية ولا سيما حلة الشعر ، واسم الرئيس السبيكر the Speaker ، وليس أمامه مكتب كما أنه ليس امام اعضاء المجلس مكاتب يتكئون عليها او يكتبون أو (ينامون) . . . وعلى مسافة منه طاولتان كبيرتان تفصلان المجلس الى ناحيتيه اليمنى واليسار ، فالى اليمين من الطاولة الكبيرة

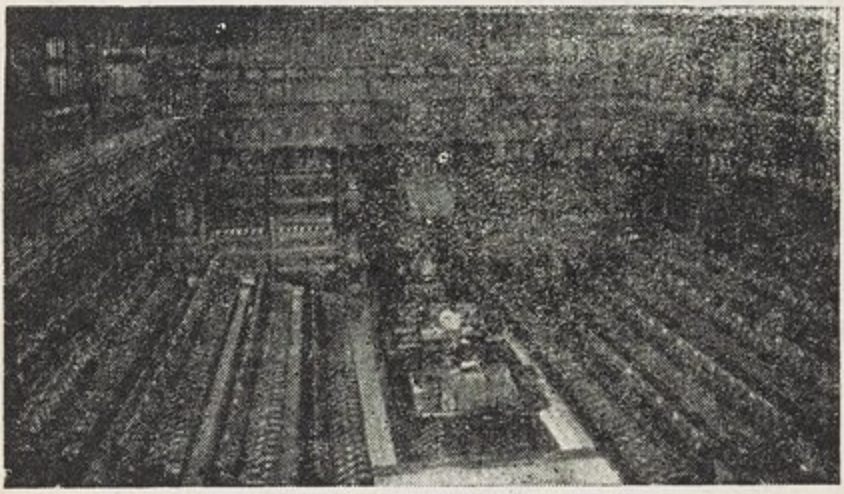

قاعة مجلس اللوردات التي يجتمع فيها المجلسان اليوم

يجلس رئيس الوزراء امام صندوق يحتوي على الرسائل والقسم الذي يقسمه الاعضاء ، والى اليسار من هذه الطاولة امام صندوق آخر يجلس زعيم المعارضه وهو اليوم المستر تشرشل بحيث يكون اليوم رئيس الوزارة وزعيم المعارضة متقابلين وجهاً لوجه.

ويحتل مقاعد ناحية اليمين مؤيدو الحكومة من اعضاء حزب العمال يجلسون

على مدرج يتألف من أربعة مقاعد مستطيلة وراء الصف الامامي الذي يجلس عليه رئيس الوزارة والوزراء ، وكذلك يجلس الى اليسار على مقاعد مستطيلة مثلها المعارضون من أعضاء مجلس العموم ، والمقاعد مفروشة بالجلد الاحمر ، وهو لون مجلس اللوردات . وكان ينبغي أن يكون اللون اخضر ، ولكن مجلس العموم ينعقد في قاعة مجلس اللوردات ، بعد أن هدمت قاعته ، فيجلس أعضاؤه بشكل استثنائي على المقاعد الحمراء . وعندما تعقد جلسة المجلس يوضع الصولجان على الطاولة بين الصندوقين ، ومن حول الصولجان مجموعة من المجلدات المختلفة للمراجعة .

وفوق سدة الرئاسة شرفة كبيرة خصصت المقاعد الامامية منها لممثلي الصحافة ووراء مقاعد الصحافة أماكن للجمهور ، على حين يجلس الرجل الديبلوماسيون وكبار الزوار في شرفه ضيقة الى اليمين والى اليسار ومقابل سدة الرئاسة . على ان كل ما في القاعة مزين تزييناً بديعاً ، ومزركش بشكل لامثيل له ، تعد النقوش العربية في مجلسنا النيابي شيئاً ضئيلا أمامه ، ومكبرات الصوت موضوعة تحت مقاعد النواب بشكل غير مرئي .

يفتتح البرلمان رسمياً في شهر نوفمبر من كل سنة في هذه القاعة ، فيدخل الملك من الباب الخلفي المقابل لسدة الرئاسة ، ويكون اعضاء مجلس اللوردات في القاعة بانتظاره ، وبعد وصول الملك يدعى أعضاء مجلس العموم المنتظرون في قاعة سان ستيفنس التي تحدثنا عنها . والملك عرش يجلس عليه في جلسة الافتتاح وراء حاجز لا يستطيع غير أعضاء البرلمان تخطيه ، ويحرس هذا الحاجز موظف يدعى حارس المجلس يأتمر بامر الرئيس ليحول مع رجاله الموجودين خارج المجلس دون كل تجاوز ، وله مقعد وطاولة صغيرة على مقربة من الحاجز ، ولا يحق لمن يكون خارج هذا الحاجز ان يتكلم في المجلس أو يشترك في بحث أو مناقشة لانه يعتبر خارج المجلس .

وفي مجلس العموم اليوم ٦٤٠ نائباً ، أما مجلس اللوردات فيضم اكثر من ثمانمائة عضو ، وفي مجلس العموم في هذه الدورة ٢٣ سيدة . ويشتمل الصندوق الموضوع على الطاولة على قسم الاعضاء كما قلنا ، ونص القسم كما يلي : « اقسم أني سأكون أميناً

ومخلصاً لجلالة الملك جورج السادس ولورثته وخلفائه من بعده بموجب الشريعة، وهكذا ساعدني يا الله». اما الملحدون فيقسمون اليمين التالية: «انني بكل اخلاص ووقار وحقيقة اعلن واثبت انني سأكون أميناً ومخلصاً لجلالة الملك جورج السادس ولورثته وخلفائه من بعده»، وتحذف من هذا القسم العبارة الاخيرة طبعا. ويضع المسيحيون يدهم على الانجيل عند اداء القسم، على حين يضع اليهود يدهم على التوراة.

يجري التصويت الخطير في مجلس العموم على شكل خاص، فيخرج المخالفون من باب اليسار، ويخرج الموافقون من باب اليمين، ويعد موظف خاص في الباب عدد الخارجين من هنا ومن هناك. وقبل التصويت الخطير الذي يجري على هذا الشكل تقرع الاجراس في جميع اجزاء دار البرلمان وفي غرف اللجان لدعوة النواب للاشتراك في التصويت، وبعد ست دقائق من قرع الاجراس يغلق البابان ويبدأ التصويت.

جولة في فناء دار البرلمان

يصادف الخارج من قاعة مجلس اللوردات هذه التي يجتمع فيها اليوم مجلس العموم، قاعة مزينة بصور بعض ملوك بريطانية وملكاتها، وفيها تمثال كبير للملكة فيكتوريا في صباها، وهي تدعى «قاعة الامراء» ومن خلف القاعة صالة كبرى

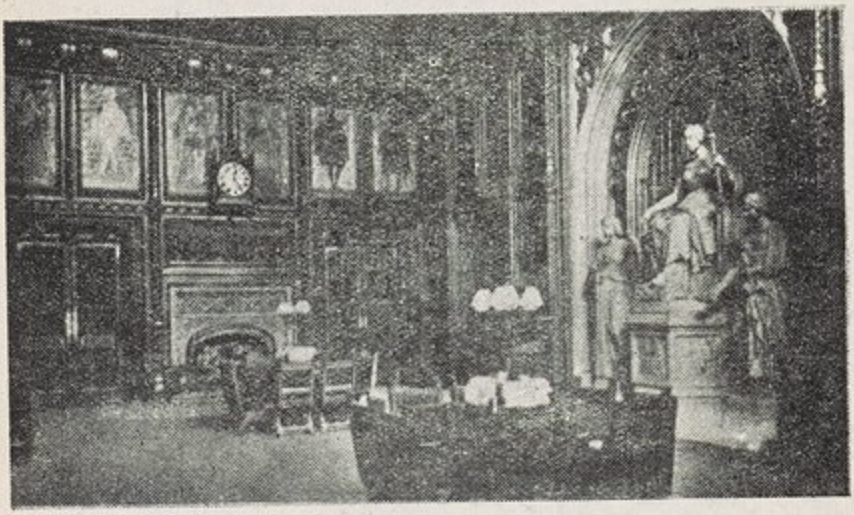

قاعة الامراء وفيها تمثال للملكة فكتورية وهي شابة

يسمونها « الممر الملكي » لان الملك يدخل منها لافتتاح البرلمان ، وفيها لوحات فنية ضخمة للملكة فكتورية والملك ادوارد السابع والملكة الكسندرة زوجته ، والبرنس البرت زوج الملكة فكتورية ، ومعركة واترلو ، ومقابلة ولنغتون وبلوشر ،

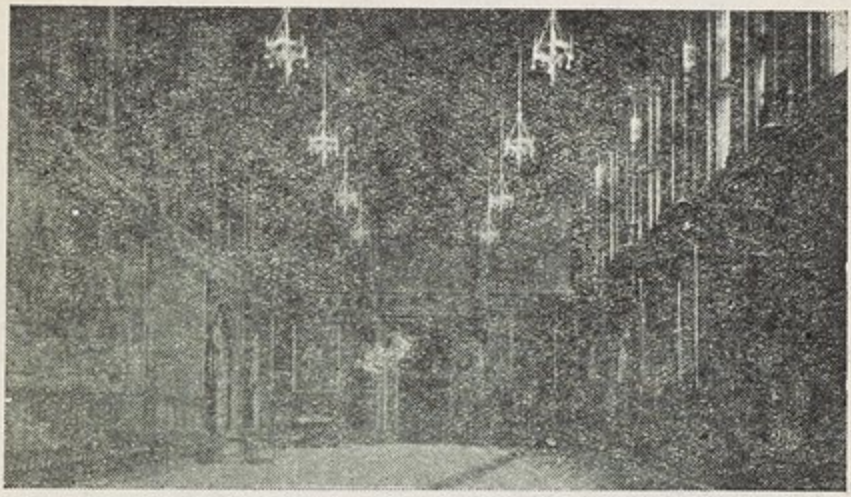

الممر الملكي الذى يدخل منه الملك قاعة البرلمان

ومعركة ترافالغار او « الطرف الاغر »، وموت الاميرال نلسون ، ثم الملك جورج الخامس والملكة .

وفي الساعة التي كنا نزور فيها هذه القاعات البديعة ، كانت محكمة الاستئناف التي يتولاها اللوردات وتستأنف اليها جميع القضايا في الجزر البريطانية ، منعقدة في احدى الغرف . وقد دخلنا غرفة المحاكمة التي حكم فيها اللورد « هوهو » الذي هرب الى المانية في اثناء الحرب وتعاون مع الاعداء ، واعضاء المحكمة مع من يتولون الادعاء والدفاع فيها يرتدون الالبسة التقليدية وغطاء الرأس المعروف .

واصلنا الطواف في دار البرلمان ، فدخلنا جناح مجلس اللوردات والغرف الكثيرة المتصلة به ، ويجتمع فيه المجلسان الان كما اسلفنا ، هذا المجلس يرأسه اللورد

شانسلور ، ورئيسه الحالي هو اللورد جاويد ، يجلس على مقعد يعرف باسم « الكيس الصوفي » ، وهو عبارة عن كيس يؤتى بالصوف الذي يحشى به من سائر انحاء الامبراطورية . واللوردات يلبسون ملابس خاصة في الحفلات الرسمية ، والرئيس كذلك ملابسه ، ولكن الملك واعضاء المجلس لم يرتدوا هذه الملابس منذ نشوب الحرب والى الان . وبين اعضاء مجلس اللوردات بعض الاساقفة يجلسون في المقاعد الامامية ، ولهم غرفة خاصة لارتداء ملابسهم .

ولمجلس اللوردات مكتبة ضخمة خطيرة الشأن ، شهدنا فيها مجموعة جريدة « التايمس » منذ صدورها سنة ١٧٩٥ والى الان ، وجميع مافي غرف مكتب المجلس من المقاعد والستائر مفروش باللون الاحمر . ومتى انتقل الزائر من مكاتب مجلس العموم في الرواق ذاته يتبدل اللون ، فاذا المقاعد والستائر خضراء .

في الطابق الارضي المطابخ وقاعات الطعام حيث يتناول اعضاء المجلسين طعام الغداء والشاي والعشاء ، ففي لندن وفي بريطانية كلها على الارجح يخرج الناس الى اعمالهم في الساعة العاشرة فلا يعودون الا في المساء ، ووجبة الغداء والشاي لزام على أصحاب الاعمال ان يتناولوها حيث يعملون . ولكل عضو من اعضاء البرلمان ان يدعو ثلاثة من الزوار فقط لتناول الطعام معه ، ولعل هذا هو السبب الذي دعا ثلاثة من اعضاء مجلسي العموم لتناول الغداء معنا باعتبار اننا كنا سبعة : هؤلاء البريطانيون يحرصون على النظام حرصاً عظيماً ، ويمتنعون بقوة عن مخالفة احكامه ، ويلتمسون جميع الاسباب لاحترام مايقضي به نظام الدولة من الاوامر والنواهي : هؤلاء البريطانيون اقوياء بهذا النظام ، وقد ازداد تمسكهم بمقتضياته بعد الحرب الاخيرة لان شعورهم جميعاً ان النظام هو القوة التي جابهوا ويجابهون بها القوى مهما تعظم.

لم نصعد الى الطابق العلوي الذي يشتمل على ست عشرة غرفة للجان المجلسين علاوة على الصالات الفخمة والقاعات الضخمة ، ذلك ان غرف اللجان ملآى على الدوام باعضاء اللجان . وقبل ان ننتهي من هذه الجولة قبل الغداء ، عرجنا على قاعة وستمنستر ، وهي اقدم بناء في هذه المجموعة من ابنية دار البرلمان ، شيدها وليم

روفس في القرن الحادي عشر ، واستعملت لمقاصد عديدة من بينها محاكمة الملك شارلس الاول الذي عدا على مجلس العموم فاقتحمه وهزئ بحرمته ، فكان جزاؤه الاعدام بعد محاكمة شهيرة في التاريخ جرت على مدرج القاعة التاريخية . وقاعة

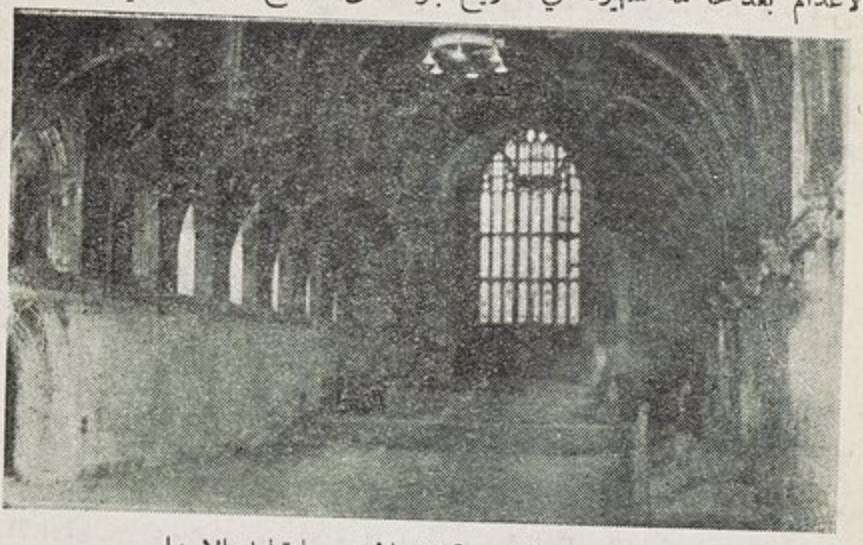

قاعة وستمنستر التاريخية قبل ان تهدمها قنابل الاعداء

وستمنستر لها اكبر سقف في العالم ، يتماسك بدون اعمدة ، ويستند الى رواجع ضخمة من اخشاب السفن القديمة تبدل بمثلها كلما شفها البلى ، وقد اصابت هذا السقف غارة من غارات سلاح الطيران الالماني فاحترق ، والعمل جار لاصلاحه .

حديث السياسة العربية في البرلمان

تناولنا الغداء بضيافة مجلس العموم ، وجلس الينا المستر نويل بيكر واثنان من زملائه النواب يحدثوننا في مختلف الشؤون ، ومن البديهي تطور البحث وتحوله ناحية الشؤون العربية ، وقضية فلسطين في مقدمة هذه الشؤون ، وقضية مصر من اخطرها أيضا .

الميجر ف . ا . نويل بيكر نائب برنتفورد وشيزويك في مجلس العموم ومن اعضاء حزب العمال ، الذي حدثنا في هذه الشؤون العربية ، انتخب نائباً وهو في الخامسة والعشرين من عمره ، وهو اليوم في السابعة والعشرين ، وقد تمرس في هاتين السنتين بشؤون السياسة التي يمارسها حزبه ويعتمد فيها على أمثاله من الشباب الممتلئين نشاطاً وحيوية وفهماً . الميجر نويل بيكر يقول ان سياسة الحكومة البريطانية في قضية فلسطين تقوم على أساس سرعة ايجاد الحل المطلوب لهذه القضية ، ويعلل هذه السرعة بضرورة تلافي خطر يتزايد وعلة تتفاقم ، وهي الشعور الذي تلمسه الحكومة في الرأي العام البريطاني بكره اليهود ، والنزعة الجامحة الى اضطهادهم نتيجة لهذا الكره الشديد . والحكومة البريطانية تخشى أن يتحول هـذا الشعور الى خطة لاسامية ينزع فيها الشعب ، وتضطر الحكومة أن تنزع هي نفسها أيضاً الى اضطهاد اليهود وتقتيلهم على نحو ما جرى في المانيا النازية ، وعندئذ تقوم الحرب عنيفة بين بريطانية العظمى وبين اليهود في العالم ، وهذا ماترغب حكومة صاحب الجلالة بالحيلولة دونه ، وتقطع الطريق عليه بايجاد حل سريع لقضية فلسطين . ويذكر المستر نويل بيكر ان الارهاب اليهودي والتصدي المستمر للجيش البريطاني بقيادته وضباطه وجنوده ، يزيد في هياج النفوس ضد اليهود في بريطانية ولا سيما في صفوف الجيش ، وهذا مضر بسياسة بريطانية ، ويرى المستر نويل بيكر أن التقسيم هو ما استقرت عليه الفكرة عند رجال السياسة في لندن ، وان هذا الحل هو محور المذاكرات في المؤتمر المنعقد الآن في العاصمة البريطانية بين الحكومة البريطانية وبين وفود الدول العربية .

ومن البديهي أن يثير مثل هذا الايضاح مناقشة بين اعضاء الوفد الصحفي وبين النواب الثلاثة ، وجملة مادارت حوله الابحاث هو التعرف الى مدى انطباق هذا الحل ـ وهو التقسيم ـ على فكرة الحق والعدل بالنسبة الى العرب المعتدى على وطنهم من جانب الصهيونيين الغاصبين ؛ وهذا السؤال الصريح الذي طرح على النواب الثلاثة اعتذروا عن الاجابة عليه ، وواضح معنى هذا الاحجام عن اعطاء الجواب !

التقسيم الذي يحدثنا النائب البريطاني عنه كمشروع ترغب الحكومة البريطانية في الماضي به ، لايصادف في صفوف العرب الا المقاومة ، ولايجد في سائر البلدان العربية الا المناهضة ، لانه في الواقع يمنح الصهيونيين حقوقا جديدة لم يسلم لهم بها وعد بلفور نفسه ، فلقد ذكر وعد بلفور ان الحكومة البريطانية تنظر بعين الارتياح الى مشروع اقامة وطن قومي لليهود ، ولم يذكر أنه يرتاح الى اقامة دولة يهودية في فلسطين ، والتقسيم يتيح للصهيونيين اقامة دولة تستقبل الهجرة اليهودية على نطاق واسع ، وتصبح مركز خطر على البقاع الاخرى من فلسطين وعلى بلاد العرب . والمعلومات الاكيدة المجتمعة لدينا عن ابحاث مؤتمر لندن وعن اتجاهات المندوبين العرب ، تشير الى ان الوفود العربية ترفض مشروع التقسيم رفضا باتا ، وتتمسك بالحل الذى ينطبق على مقتضيات الحق والعدل والانصاف ، ولا يبعد ان تطالعنا انباء المؤتمر قريبا بما يؤيد هذا التقدير الذي نكاد نلمس فيه الاتجاه الاخير ، كما لايبعد ان تفرض الحكومة البريطانية من ناحيتها مشروع التقسيم ، فتعاني ازمة حادة لاتريد ان تنشب بينها وبين العرب في جميع الاقطار والامصار .

سألنا الميجر نويل بيكر ورفيقاه عن الحل الذي نقترحه لقضية فلسطين ، فقال قائلنا انه الحل الذي يتضمن الحق لصاحبه ، بقطع النظر عن الاعتبارات والمصالح الدولية ، انه الحل الذي تفرضه المبادئ المعلنة والعهود المقطوعة في الحرب الاخيرة وما بعدها بان تصان حريات الشعوب الكبيرة والصغيرة ومصالحها على السواء ، وفي فلسطين شعب صغير من هذه الشعوب التي تنشد العدالة الدولية ، وقلنا كذلك نا نعتبر بريطانيا العظمى مسؤولة عن نكبات فلسطين ومحنها ، ووعد بلفور أصل اهذه النكبات ومنشأ هذه المحن ، وموقف السلطة البريطانية الحاكمة في فلسطين منذ نهاية الحرب العالمية الماضية والى الان هو الذي جعل امر الصهيونية يستفحل وخطرها يتفاقم ومطامعها تتزايد . أما الولايات المتحدة الاميركية فليست من الامر في شيء ، وتدخلها لصالح الصهيونيين لايستند الى مبدأ من المبادئ التي اقرت وسجلت في بلادها في ميثاق هيئة الامم المتحدة بمؤتمر سان فرنسيسكو .

وبحثت قضية مصر وامانيها بجلاء الجيوش البريطانية ووحدة وادي النيل ،

فانبرى النواب لمعالجة مسألة السودان والدفاع عن حقوق السودانيين ، وغالوا في وصف اهداف المصريين على غير حقيقتها ، وقالوا ان مصر لا يجوز ان تتسلط على السودان لتستعمره على الشكل الذي تستعمر به الطبقة الحاكمة من المصريين طبقة الفلاحين في الريف المصري ، واعلنوا ان بريطانية انما تحرص على هذه الناحية ، ناحية انقاذ السودان من حكم مصر ! ويكاد هذا الحديث ينطق من ذات نفسه ويشف عما وراءه ، وتكاد المناظرة التي قامت بين الوفد الصحفي وبين النواب البريطانيين تأخذ شكلا من الخلاف بين وجهات النظر لا يشبهه تبادل الرأي في قضية فلسطين . على ان زميلا لنا من الصحفيين المصريين رافقنا في هذه الزيارة ، هو السيد عمر عزمي ، تولى عنا المناقشة ، فوضع فيها النقاط على الحروف ، وذكر ان المصريين والسودانيين اخوان ، وان المصري أرفق باخيه السوداني من أي أجنبي يريد حمايته ورعاية مصالحه ويعلن الغيرة على حريته وكرامته وحقه !

جلسة مجلس العموم الرسمية

وبينما كنا مستغرقين في هذه المناظرة ، نبهنا مرافقنا المستر بانتام الى ان موعد انعقاد جلسة مجلس العموم قد أزف وان علينا ان نحضرها ، فنهضنا من مائدة الطعام نودع الميجر نويل بيكر ورفيقيه ونشكرهم على ضيافتهم وعلى صراحتهم وعلى هذه المحادثة التي اتاحت لنا عرض وجهات نظرنا في قضايا عربية عزيزة على قلوبنا جميعاً .

رسم لنا مخطط الطريق الذي يجب ان نسلكه والسلالم التي ينبغي ان نصعدها الى شرفة مجلس العموم المخصصة لرجال السلك الديبلوماسي والضيوف الاجانب ، فكان في الطريق الى هذه الشرفة اكثر من ستة من عمالقة البوليس يفحص كل منهم ورقة الدخول الموجودة بين ايدينا ، ويعطينا واحد منهم كتيباً مطبوعا ذكرت فيه على التتابع جميع الاسئلة التي يجيب عليها في هذه الجلسة رئيس الوزارة والوزراء ، ويرافقنا آخر الى المقعد ذاته المخصص لنا فيدخلنا من بابه المخصوص .

كانت الجلسة معقودة ، وكان وزير الخارجية يجيب على الاسئلة الموجهة اليه ،

ولما اوشكت الاسئلة ان تصل الى رئيس الوزارة شوهد المستر اتلي يدخل قاعة المجلس ليأخذ مكانه أمام الصندوق الذي اشرنا اليه ، وكأن التعب آخذ منه كل مأخذ فرفع رجليه على الطاولة امامه . اما زعيم المعارضة المستر تشرشل ، فكان غائباً عن الجلسة ، ولكن المستر انطوني ايدن كان في صف المعارضة ، يناقش بعض الاجوبة التي يدلي بها الوزراء ؛ وقد كان على هذه المناقشة طابع الجد والدعابة معاً فكثيراً ما كان اعضاء المجلس ينطلقون في قهقهة عالية لكلمة محكمة او لنكتة بارعة . وقد اجاب كل واحد من الوزراء بدوره على الاسئلة الموجهة اليه ، وهي كثيرة جدا وتستغرق اكثر من ساعة في مبدأ كل جلسة من جلسات المجلس ، ثم يصار الى برنامج الاعمال .

لم يطل بنا الوقت في جلسة مجلس العموم ، فقد اكتفينا بالجزء الاول منها ، وهو الجزء الذى خصص للاجابة على اسئلة النواب ، وانصرفنا بعد ذلك الى برامجنا المرهقة ، وكانت متعتنا كاملة هذا اليوم الذي قضينا شطرا غير يسير منه فى دار البرلمان .

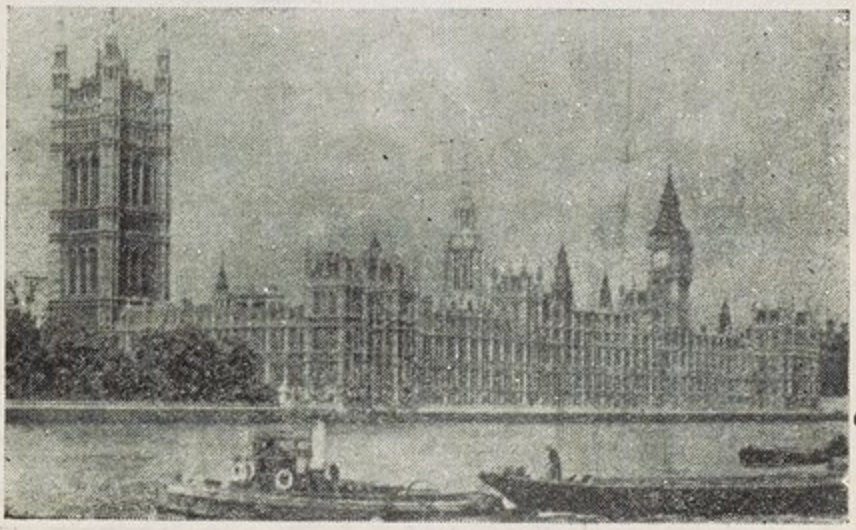

منظر عام آخر لدار البرلمان البريطاني على نهر التيمس

محطة الاذاعة البريطانية

لندن في ٢٨ كانون الثاني ١٩٤٧

محطة الاذاعة البريطانية B. B. C. شهيرة في بلادنا باذاعاتها العربية ، سطع نجمها وتألق في زمن الحرب الاخيرة ، فكانت مركز نشر الانباء عن وقائع الحرب باذاعتها العربية بالنسبة الى بلادنا ، وكانت تنافسها محطة برلين بالاذاعات العربية باعتبارها مصدراً آخر من مصادر الانباء عن الحرب يتولاها الفريق الثاني المحارب ؛ والمذيع العراقي يونس البحري في محطة برلين ادرك شهرة عند الطبقات الشعبية باذاعاته الحماسية وتعليقاته ، ولكن سرعان ما مجت الاذواق اسلوبه البعيد عن الرصانة في التعليق على اخبار الحرب وعلى اخبار البلدان العربية . وبقيت محطة الاذاعة البريطانية وحدها بما كانت تذيعه من النشرات بعيداً عن الاقذاع في الاسلوب ، وعن المبالغة في ذكر الوقائع ، وعن الامعان في اخفاء الحقائق .

وأذكر انني لم انقطع في يوم من ايام الحرب عن الاستماع الى نشرة الانباء الصباحية الاولى من محطة الاذاعة البريطانية ، وقد كنت اوفق ساعة نهوضي من فراش النوم مع وقت اذاعة هذه النشرة ، وكثيراً ما كنت استقبل يومي بانباء خطيرة متناهية في الخطورة بالنسبة الي مجرى الحرب وتطورات وقائعها . ولم تكن هذه الاذاعات سبيل الناس الى معرفة الحالة الحربية فحسب ، بل كانت في الاسواق التجارية على الاخص سبيل المضاربات والتلاعب بالاسعار صعوداً وهبوطاً واحتكاراً ، ولكم

من صفقة عقدت على ضوء الاذاعات كانت وسيلة الربح او سبيل الخسار .

رافقنا المستر ريس الى دار الاذاعة البريطانية « ايلستري » ، وهي واقعة على مسافة بعيدة خارج لندن ، استغرقت رحلتنا اليها اكثر من اربعين دقيقة بالسيارة في يوم عاصف ملأت الثلوج فيه اجواء المدينه ، وهذه الدار تشتمل على القسم الخاص بالاذاعة العربية ، فيها ادوات الالتقاط الخاصة تعطيها عشرات من الآلات الحديثة « تيلبرنتر » ، وفيها فرع ضخم خاص بالترجمة وفيها مكتب تحرير مجلة «المستمع العربي » ويتولى التصوير فيها الفنان « علي نور » ، وغرف التسجيل واستوديوهات الاذاعة كثيرة ، والموظفون العرب عدد لايستهان به ، والذين يعملون مع الموظفين العرب من البريطانيين يحسنون اللغة العربية .

الكلمة المسجلة في الاذاعة البريطانية

دعينا بعد تناول الشاي لتسجيل ماطلب الينا اعداده من الكلمات ، على ان لاتستغرق الكلمة اكثر من ثلاث دقائق ، فدخلنا غرفة التسجيل ، وسجل اعضاء الوفد كلماتهم بالتتابع على اسطوانات سمعناها بعد تسجيلها مباشرة . وها اني انشر الكلمة التي سجلتها وأذيعت من المحطة البريطانية بعد يومين :

من الامور مالايدركه غير الحس ، وقد أدركنا في هذه الرحلة الى بريطانية العظمى اموراً كانت غامضة في نطاق التصور من قبل ، ولكننا شهدنا العظمة الآن متجلية فيما رأيناه بأعيننا وسمعناه بآذاننا ولمسناه بأيدينا . ولعل سراً من ابرز اسرار هذه العظمة — على كثرة مالها من الاسباب — يتلخص في الانقياد الى النظام ، في حسن تلقي الاوامر والنواهي وحسن تطبيقها بروح الاقتناع بضرورتها ، ومرجع هذا الانقياد أخلاق الشعب وتهذيبه وايمانه بالحرية ، فاذا جمعت هذه العوامل الى بعضها تجلى لك النظام ابرز مزية من مزايا الشعب البريطاني .

فرض نظام التقنين كضرورة من ضرورات الحرب ، فنجح في بريطانية العظمى ، وطغت عليه السوق السوداء في فرنسة وايطالية وبعض بلدان اوروبة والشرق فلم

ينجح . ومع أن النظام يتصل باخطر شأن في الحياة ، بالغذاء واللباس ، ويجثم ربات البيوت اثقل المتاعب ، ويلاقي منه الجميع ضروبا من الحرمان تؤلم النفس ، فانه في واقع الحال مطبق على افضل منوال يرضي الجميع ، لان فيه مصلحة بريطانية ، والشعب في متانة اخلاقه يستسيغ التضحية في سبيل المصلحة ، وقد تحمل منها أروع الاشكال في هذه الحرب حتى ادرك النصر !

تعتبر مدينة لندن أكثر مدن العالم ازدحاما ، يسكنها عشرة ملايين من السكان ، وتذرع شوارعها ذهابا وأيابا مئات الوف من السيارات ، فلا تكاد تسمع سيارة تزمر أو سائقاً يذمر ، وقد يتعذر السير أحياناً بسبب زحمة السيارات ، فلا تجد سائقاً يبرح مكانه أو يفقد صبره ، والمشاة أنفسهم يهمهم نظام السير فيتقيدون به بدقة ليس لها مثيل .

وفي مدينة سكانها عشرة ملايين يسعى كل واحد فيها الى حاجته ، يرضى الجميع الوقوف بالصف ، وقد يقف الانسان ساعات ليبتاع تذكرة السينما أو تذكرة لعبة الكرة ، أو ليشتري حوائج البيت من السوق ، أو ليأخذ نصيبه من الاغذية المقننة ، او ليدخل الى المطعم والمشرب ، فلا يحاول أن يزحم آخر جاء قبله .

ومن مظاهر النظام المفعم بالتهذيب ، ان الداخل الى مكان ما يمسك الباب لمن يأتي بعده حتى يساعده على الدخول أو يتجنب صدمه ، واذا دفع انسان آخر بادر الى الاعتذار والتأسف . وشاءت الصدفة أن تجمعني برجل خالف هذه القاعدة لتزداد صحة ومتانة ، فدفعني بقوة في الشارع ولم يعتذر ، فوقفت انظر اليه فاذا هو يدفع سيدتين ثم يدفع رجلا آخر ، وساقني فضولي الى تبين شأنه ، فاذا هو من رعايا احدى الدول الصغيرة في اوروبة الوسطى ، ولو كان الرجل بريطانياً لكان اعجوبة الشذوذ في بريطانية .

لقد شهدت في هذه الرحلة مشاهد رائعة لعل أروع ما فيها النظام الذي ارجو مخلصاً ان تتقبس الدول والشعوب العربية محاسنه في حياتها الجديدة .

التلفزيون في محطة الاذاعة البريطانية

رافقنا مندوب مكتب نشر المعلومات بعد ظهر اليوم الى دار اخرى من دور الاذاعة البريطانية في « الكسندر بالاس » تذاع منها برامج التلفزيون كل يوم مدة ساعتين بعد الظهر . الاختراع مايزال جديدا وما يبرح في أول مراحل تطبيقه ، لان الاجهزة المستعملة لاترسل الصور الا الى مسافة ستين ميلا من مركز الارسال ، اي ان الناس لايستطيعون استعمال الآلة اللاقطة خارج محيط لندن وضاحيتها القريبة ، والآلات المستعملة الآن لاتتجاوز اربعين الف آلة ، تدفع كل واحدة منها جنيهين في السنة رسما ، ومجموع الرسم لايفي بنفقات الاذاعة والبرامج .

حضرنا في احد استوديوهات التلفزيون جوقة موسيقية ترافق مغنية بارعة ، كنا نراها ونرى في الوقت نفسه صورتها المتحركة على شاشة آلة الراديو اللاقطة ، وحضرنا مشاهد ومحاورات واذاعات مختلفة في استوديو آخر ، وزرنا آلات الارسال الضخمة في صالة فسيحة اخرى ، فاسفنا لان هذا المجهود الضخم تقتصر جدواه على عدد محدود من الناس على مسافة قصيرة من مكان الاذاعة . على انهم يفكرون اليوم بوسيلة ارسال هذه الموجات الى الجهات البعيدة بطريقة انشاء مراكز التقاط يبعد الواحد عن الاخر ستين ميلا ، فيلتقط كل واحد منها مايذيعه المركز الاقرب منه ويرسله من جديد . وسيكون ممكناً ارسال هذه الاذاعات الى اوربة عن طريق فرنسة ، باعتبار ان المسافة التي تفصل الشواطئ البريطانية عن الشواطئ الفرنسية في المانش قصيرة ، بحيث يمكن ان تنقل الموجات اليها محطة ارسال على الشاطئ البريطاني تتلقاها محطة التقاط على الشاطئ الفرنسي ، ولكن البحار والمحيطات ستظل عائقاً في طريق التلفزيون الى ان يزيح تطور الاختراع وتقدمه هذا العائق .

التعاون البريطاني ـ العربي

لندن في ٢٩ كانون الثاني ١٩٤٧

دعانا مرافقونا من جماعة مكتب نشر المعلومات لتناول العشاء في الدروشستر صحبة الميجرج . و.ج بايلي سكرتير الجمعية الانكلو ـ عربية التي أسسها الجنرال السر ادوارد سبيرس في لندن ، وكان الحديث بعد العشاء مهماً يتعلق بالعرب والبريطانيين معاً ، بالمصلحة العربية والدعاية العربية ، ومؤدى ذلك بطبيعة الحال الدعاية البريطانية والبريطانيين ، لأن التعاون لايفيد منه هذا الفريق على الانفراد ، ولايفيد ذاك الفريق على الانفراد ، بل يفيد منه الفريقان سواء بسواء .

استهل الميجر بايلي حديثه بوصف الدعاية ـ الدعاية السيئة التي يتولى اليهود نشرها عن العرب بصورة مشوهة في الافلام الاميركية والمجلات والصحف ـ وقال ان البريطانيين اذ يقرأون هذه الصحف والمجلات والكتب ويشهدون افلام السينما ، لايخطر لهم ببال ان العرب في بلادهم بلغوا حداً من التطور والتقدم والرقي يجعل هذه الدعاية اليهودية نوعاً من التشويه لحقيقة احوالهم ، فهم يحسبون ان العرب مايزالون في حالة البداوة ، ومايبرحون في حال اقرب الى حالة الانسان الاولى: اكواخ من التراب تؤلف بيوتهم ، واسواق ضيقة وخانات قذرة تؤلف اسواقهم

ومتاجرهم ، والباعة المتجولون يحملون متاعهم على ظهور الحمير فيبتاعها الناس . وهؤلاء البريطانيون يجب ان تتوفر لهم الصور الحديثة السورية من وجهة الصناعة والزراعة والاقتصاد والاجتماع ، وعليكم انتم ان توفروا ذلك وتعنوا بارسال الابحاث والصور ، حتى تتبدل تلك الصورة المشوهة عن بلادكم ، وتحل محلها الصورة الحقيقية الناصعة .

واستوى الميجر على مقعده ليوجه حديثه وجهة اصولية ثم قال : ان عدداً من الانكليز والاسكتلنديين والايرلنديين فهموا الحقيقة عن بلادكم ، ويؤلمهم ان يروا ان عامة البريطانيين لم يدركوا بعد — بسبب دعاية التشويه ومسخ الحقائق — انه قد تم في سورية تقدم هائل في مختلف ميادين الحياة العامة . والانكليز الذين عاشوا ردحا من الزمن في بلادكم وعرفوا الضيافة العربية بمداها الكامل ، يؤلمهم ان لايستطيعوا وهم في بلادهم مقابلة هذه الضيافة بمثلها . ان القهوة تقدم لك عند العربي بقطع النظر عن فكرة المقابلة ، وان الفلاح الفقير يقدم لك الضيافة ولو لم يكن عنده من الزاد غير هذا الذي يقدمه ، لذلك يجد الرجل البريطاني بالنظر لصعوبة العلاقات الاجتماعية ان مقابلة الجميل بمثله يمكن أن تكون على اشكال شتى اورد منها على سبيل المثال الامور التالية :

١ — ان تتولى الجمعية نشر احدث المعلومات عن حالة العرب الاجتماعية وتطورهم من الوجهات الاقتصادية والصناعية والثقافية ، وذلك بمقابل مايتبرع اليهود بنشره عن العرب في الصحافة الاميركية والصحافة الانكليزية .

٢ — ان العرب يجتمعون الى البريطانيين فقط في المآدب الرسمية وفي دور السفارات والمفوضيات ، فيجب ان لاتقتصر الدعوات على هذا النمط من المآدب والاجتماعات ، وينبغي أن يجلس العربي الى الانكليزي جلسة عادية في اجتماع عادي ليتفاهما ويمتزجا .

٣ — ان البريطانيين في البلاد العربية قلما يجتمعون الى العرب ويجالسونهم في غير الفنادق والاماكن العامة ، في شبرد والاقصر وميناهاوس وفي سان جورج

واوريان بالاس ، والافضل ان يأتي البريطاني الى بيت العربي وان يجتمع اليه في الشارع والمطعم والمكتب ، وعندئذ يستطيع الرجل البريطاني ان يرى بأم عينه كيف يعيش العربي في بيته ومصنعه ومخزنه .

هذه الاعتبارات هي التي دعت لجنة يرأسها الجنرال السر ادوارد سبيرس الى تشكيل جمعية انكليزية — عربية تعمل على توطيد العلاقات بين الانكليز والعرب ؛ وقد شرع في تأسيس هذه الجمعية في شهر ايلول الماضي ، وصادفت في تأسيسها صعوبات جمة لانه لم يكن لديها مكتب او آلة كاتبة ، وبدأ العمل بمراسلة ثلاثة آلاف شخص من الانكليز والعرب لابلاغهم الغاية التي من اجلها تتألف الجمعية ، فهي ليست جمعية انكليزية ولاهي جمعية عربية ، ولكنها انكليزية — عربية متضامنة ، يكون للعرب فيها نفس الاثر في التوجيه وتسيير الاعمال . وقد اجاب الدعوة فريق من الرؤساء والسفراء والوزراء المفوضين وضعت الجمعية تحت رعايتهم ، وانتخب لها نواب رؤساء من الانكليز والعرب على السواء .

الغايات التي ترمي اليها الجمعية بوجه عام هي تقوية التعاون والتفاهم بين الشعب البريطاني وبين الشعوب العربية ، وعلى الخصوص تنظيم الاتصالات الاجتماعية في جو ملائم بين الشعب البريطاني ولاسيما اولئك الذين يهتمون لشؤون العالم العربي ، وبين العرب القاطنين في بريطانية العظمى . ومن اهدافها الترحيب بالعرب الذين يزورون هذه البلاد ، وتقديم الضيافة وتوفير المساعدة الفعلية لهم ، وتغذية العطف المتبادل في اوجه النشاط الثقافي العربي والبريطاني والتعاون الفكري بالوسائل الملائمة ، وكذلك تشجيع الطلاب العرب في بريطانية العظمى ومساعدتهم وبذل الجهود لتأييد النشاط التجاري بين العرب وبين الانكليز كيما تتحسن العلاقات الاقتصادية لفائدة الفريقين ، وذلك بواسطة جمع المعلومات التجارية وتنسيق وسائل التعامل الشخصي ، وكذلك درس موقف البلاد العربية في حقل العلاقات الدولية درساً مشبعاً بالعطف ، وتعضيد مطالبها العادلة المعقولة .

هذه هي الغايات التي تعمل لها الجمعية ، وقد انضم اليها حتى الآن اربعمائة عضو ،

ويدفع العضو رسماً سنويا قدره ٥ شلنات ، وهو رسم ضئيل اريد منه تمكين الطلاب العرب والجنود البريطانيين المسرحين الذين عرفوا بلاد العرب وعاشوا فيها من الاشتراك فى عضوية الجمعية بحيث لايكون الرسم عائقاً في سبيلهم . ويعمل الجنرال سبيرس ومعاونوه في هذه الجمعية بلا مقابل ، وقد تلقى تحاويل مالية ذات قيمة كبيرة من مؤسسات تجارية قوية تؤمن بفائدة تحسن العلاقات بين العرب والانكليز ، واكبر تبرع تلقته الجمعيه هو مبلغ الف جنيه استرليني ورد اليها من الحكومة السورية . وقد فتشت الجمعية عن دار كبيرة تستأجرها لتكون مركزاً لها ، يأوي اليه العربي والانكليزي ، ويقرأ فيه كلاهما الصحف العربية والانكليزية ، ويتحدث العرب الى الانكليز ويسمرون . وسيكون في مقر الجمعية غرف خاصة للنوم يأتي اليها العرب الذين يزورون لندن من اعضاء الجمعية ، ومن مجموع غرف النوم الست تخصص ثلاث للطلاب وثلاث اخرى للزوار ؛ وستكون الجمعية كذلك مركزاً اجتماعيا وثقافيا ومركزاً لتوفير المعلومات التجارية عن البلاد العربية ، وبقدر مايبذل في هذه الجمعية من نشاط في هذه الميادين ، تكون الفوائد اكبر والنتائج اكثر ضمانا لخير العرب في حياتهم العامة والخاصة ، وفي دعايتهم لتمتين أوضاعهم وترسيخ كيانهم وتحسين موقفهم السياسى العام .

وتعطف على الجمعية وتؤيدها صحف قوية في بريطانيا العظمى في مقدمتها « الدايلي تلغراف » ، وستوفد مندوباً عنها ليكتب عن بلاد العرب ويحمل منها صور التقدم الاجتماعي والصناعي والثقافي وتؤيد الجمعية صحف اخرى اسبوعية ، وهي تابلت وتروث وويكلي نيوز .

هذه جملة المعلومات التى عرضها علينا المستر بايلي في اجتماع الليلة عن الجمعية الانكلو — عربية ، وهي تشير الى المجهود الكبير الذي بذله الجنرال سبيرس ويبذله مع معاونيه في سبيل تمتين أواصر الصداقة بين العرب وبين البريطانيين لمصلحة الفريقين معا ، ويسرنا ان تكون هذه الجمعية مؤيدة من جانب سفراء الدول

العربية ووزرائها المفوضين ، ويسرنا ان تكون الحكومة السورية مقدرة لمجهودها ومتفهمة للروح التي أملت على القائمين عليها فكرة تأسيسها .

ان العرب يحبون ان يمتزجوا بحياة البريطانيين لتنشأ بين الفريقين صداقة قائمة على المصلحة المتبادلة ، ويرغبون في ان يكون البريطانيون على فهم تام لحقيقة تطورهم ولحقائق التطور العالمي الذي لم يعد يألف اساليب الحكم المستند الى مصلحة واحدة يستمد منها خطوطه واساليبه . فاذا تسنى لهذه الجمعية ان تنمو وتزدهر ، امكن ان تكون عاملا من عوامل الفهم المتبادل للمصلحة المشتركة والتعاون الوثيق بين بريطانية والعرب .

المتحف البريطاني

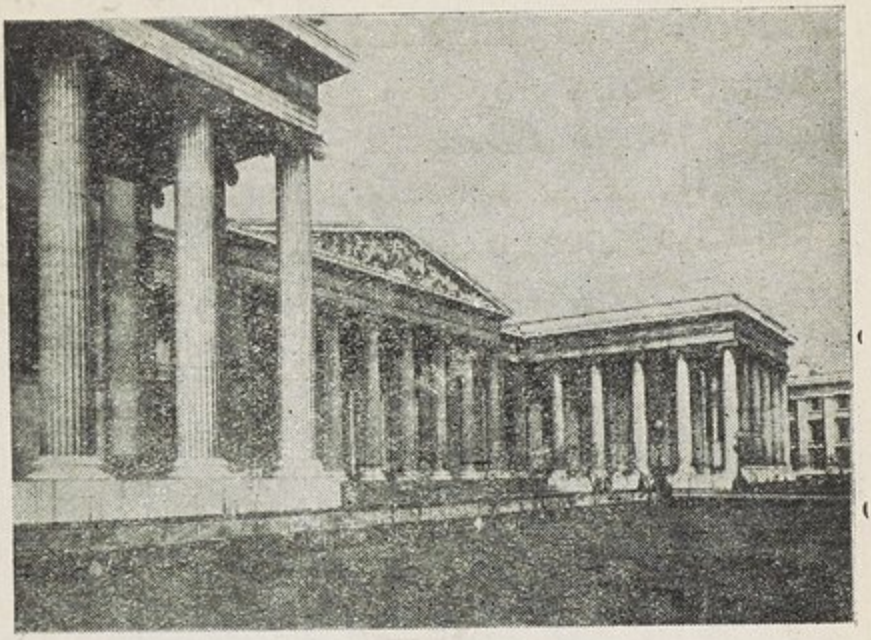

يمثل هذا الرسم «المتحف البريطاني» THE BRITISH MUSEUM الذي تأسس عام ١٧٥٣ ليكون متحفاً للاثار القديمة وداراً عامة للكتب، ويحتوي المتحف على ستة اقسام كل قسم منها يختص باحدى الحضارات : اليونانية والمصرية والرومانية والاشورية والبريطانية والشرقية . ويستمر القائمون على هذا المتحف في البحث عن تحف جديدة يضيفونها الى مجموعاته الاثرية التي تعد من أغنى وأثمن مجموعات العالم .

يومان في فرنسة

اكس آن بروفانس — في ٦ شباط سنة ١٩٤٧

قيل لنا ونحن في مانشستر اننا سنسافر يوم السبت الاول من شهر شباط على طائرة لانكستر الى مصر شبيهة بالطائرة التي حملتنا من القاهرة الى لنـــدن في مدة اثنتي عشرة ساعة ، وعدنا الى لندن فأخبرنا ان السفر تأخر الى يوم ٣ شباط على طائرة من نوع داكوتا كالتي حملتنا من بيروت الى القاهرة تصل بنا الى بيروت . وحدث انه في الاسبوع الذى ابلغنا فيه ان طائرة داكوتا ستحملنا الي بيروت ، توالت حوادث الداكوتا في الدانمرك والسويد والنرويج وفي سويسرة وليشبونة ، وهنـــا وهناك وهنالك ، حتى بلغ عدد الداكوتا التي سقطت او احترقت في اسبوع واحد نحو عشر طـــائرات ، وكانت صحف لندن — وصحف العالم كذلك بلا شك — تنشر حوادث الطائرات في صفحاتها الاولى بعناوين ضخمة ، وتفند اسباب السقوط وملابسات الحوادث واسماء الضحايا ، وتنشر بالتلفوتو رسوم حطام الطائرات المسكينة. كل ذلك في الاسبوع الذي سبق عزمنا على العودة الي بلادنا بطريق الجو وانتظار موعد السفر ! وكان احد الزملاء وهو الاستاذ شكري كنيدر صاحب جريدة « التقدم » في حلب ، قد ابلغ انـه لايسافر بالطـائرة ، وحجز له مكان على احدى البواخر ، فكان يأتينا كل يوم بتفاصيل حوادث الطائرات ليثنينا عن عزمنا

على السفر جواً ، فكنا نقول له : قل ان يصيبنا الا ما كتب الله لنا ، ونذكر ان الوقت ثمين ، وان السفر في يوم واحد بالجو خير من السفر في اثني عشر يوما بالبحر !

وتهيأنا يوم الاثنين للسفر ، فغادرنا فندق الدورشستر في الصباح المبكر ، وركبنا السيارة الى المطار في الساعة السادسة ليكون لدينا حتى موعد سفر الطائرة في الثامنة والنصف متسع من الوقت لاجراء مقدمات الركوب ، وكان المطار يزخر بالناس ، كل فئة تتهيأ للسفر الى جهة ما ، هؤلاء الى كندا واولئك الى اوسترالية ، وآخرون الى كراتشي ، وعدد آخر الى مصر ، ونحن الستة مع سبعة آخرين الى بيروت ، وربما كان في المطار عشرات من الطائرات تستعد للرحيل .

عاصفة حول مرسيليا

ابلغونا في اول الامر ان حوائجنا جميعاً تنقل معنا ، ثم عادوا يقولون ان نحو مائة كيلو مما يخصنا من محمول الطائرة يجب ان يترك في لندن لتحمل الطائرة كمية من المحروقات تغنيها عن النزول في مارينيان بالقرب من مرسيليا ، وتمكنها من مواصلة السفر الى مالطة في مرحلة واحدة . ومع هذا بلغت الساعة التاسعة والنصف ولم نتحرك ، وكان الركاب جميعاً واقفين في امكنتهم ينتظرون اشارة المرور ، بينما المطار منهمر بشكل لم نشهد مثله في يوم من ايام اقامتنا في بريطانية العظمى ، والضباب كثيف ومتكاثف ، والجو في جملته ينذر بالشدة . كانت ادارة المطار تنتظر الانباء النهائية عن الاحوال الجوية ، وموعد ورودها الساعة الحادية عشرة والنصف ، ولما وردت قيل لنا ان عاصفة قوية حول مرسيليا تجعل هبوط الطائرة مستحيلا فالى الغد .

يوم انتظار صعب

عدنا الى الدورشستر لنقضي هذا اليوم بالانتظار الصعب ، وقد قضيناه على انه خارج عن نطاق الرحلة ، فلم نخرج الا قليلا ، ولم نصنع الا ماتقتضيه اللياقات ، بعد ان كان يومنا السابق حافلا بالزائرين والمودعين من الوزراء ورجال الوفود العربية ورجال المفوضيتين السورية واللبنانية والاخوان المقيمين او الزائرين في لندن ، وحافلا بالاتصالات الهاتفية من مانشستر لوداعنا .

وقد فات سمو الامير سيف الاسلام عبد الله ان يودعنا في اليوم السابق ، فدعانا لتناول العشاء في صالونه الخاص في الدورشستر ، وكان يصحبه شقيقه سمو الامير يحيى والقاضي حسن وامين السر الخاص الدكتور يحيى الشريف والدكتور عدنان والاستاذ البلبيسي المرافقان ، وحول مائدة بذلت من حولها اقصى العناية جلسنا نتحدث الى الامير في الشؤون التي تهم العرب وتستأثر باهتمامهم في هذه الايام ، ثم ودعنا سموه وشكرناه .

وايزمن في الطائرة

نهضنا يوم الثلثاء ٤ شباط مبكرين كاليوم السابق ، وغادرنا الدورشستر العزيز يتملكنا شعور الاسف على مبارحة المدينة التي لم تبرح شؤونها وأوضاعها ونظامها واخلاق شعبها وتهذيب سكانها مشغلة لنا ومدار احاديثنا . وكان مرجحاً منذ البداية ان تسافر طائرتنا ، فقد كانت طائرات كثيرة قبلنا تحمل ركابها الى حيث يذهبون ، ولم يكن بد من التردد في اول الامر : ستأخذون حقائبكم معكم . . لا بل ستتركونها هنا . . . وهكذا تركنا معظم حقائبنا وركبنا في الساعة التاسعة والنصف في جو كثير الضباب شديد الظلمة الى مارينيان ، ولسوء الحظ كان الدكتور ويزمن وزوجته وابنه اوسكر تيره في جملة ركاب الطائرة ، ولم ينقشع الضباب الا بعد ان تجاوزنا نهر اللوار في فرنسة وحلقنا فوق « الماسيف سنترال » ، ولما اقتربنا من الجنوب سطعت الشمس بكل مافيها من اشراق وحرارة ، وتفتحت قلوبنا مع الشمس الطالعة . وفي نحو الساعة الواحدة والربع بعد الظهر هبطت بنا

الطائرة في مارينيان ، وفي الثانية والنصف استأنفت السفر الى مالطة وكل شيء على مايرام — الا رفاقة الشؤم هذه — حتى الشمس الساطعة كانت تصل الينا حرارتها في اعالي الجو ، فتنعش نفوسنا وتستأصل الرطوبة المزمنة من اجسامنا .

ساعتان كاملتان في مسير هادىء ، ثم دخل ضابط اللاسلكي فجأة وطلب الى قائد الطائرة ان يعود الى مكان القيادة ، وكان يتحدث الى احد الركاب ويشرح له خطة السير ويقول ان الطائرة تصل مالطة بعد ساعة ونصف الساعة . وبعد هنيهة عاد القائد يبلغ الركاب واحداً واحدا ان الطائرة تعود الان الى مرسيلية ، لان عاصفة هبت من الشمال الافريقي فجأة طوقت مالطة ، فاصبح النزول في مطارها مستحيلا ، واعلن اسفه لذلك ، واعلن كذلك انه التدبير الذي لامندوحة عنه لسلامة الجميع ، وقد استولى على الركاب شعور الاسف لضياع هذه المرحلة ، ومع ان السكون كان شاملا منذ أول الرحلة ، فان الوجوم زاد في هذه الفترة ، فترة الرجوع الى مرسيلية .

مرسيلية من الطائرة

في الساعة السادسة والنصف هبطت الطائرة في مارينيان ، بعد ان حلقت فوق مرسيلية المضاءة اضاءة كاملة ، ومارينيان تبعد عن مرسيليا نحو ثلاثين كيلو مترا ، وهي مطار مرسيلية ومرسى الطائرات المائية التي تجتاز القارة الاوربية الى العالم الجديد .

كذلك قدر لنا ان نعيش هنيهة على الارض الفرنسية ، ونتعرف الى مدينتين على ساحل المتوسط الفرنسي ، مرسيلية واكس ان بروفانس ، ونتصل بالاعمال الرسمية وبالحياة في فرنسة ، بعد ان رفض السفير الفرنسي في لندن المسيو ماسيغلي ان يؤشر على جوازاتنا لنقضي بضعة ايام في البلاد الفرنسية بعد زيارة بريطانية العظمى . وكان علينا أول الامر أن نقصد دائرة الجوازات والجمرك ومكتب القطع في المطار ، فاتجهنا مع ركاب الطائرة وهيأة قيادتها الى الدائرة حيث اخذ موظف يؤشر على جوازاتنا ونحن وقوف في مكان حقير يشبه محطة البرامكة عندنا ، وكان

من حسن حظنا ان جوازاتنا لاتحمل تأشيرة مرور افرنسية ، لان بقاءنا هنا لم يكن مقدراً ، فقيل لنا ان ننتظر . . . وانتظرنا وانتظر الجميع معنا نحو ساعة من الزمن حتى عادت الجوازات حاملة تأشيرة موقتة ليوم واحد . وجاء دور الجمرك ، فاخذ موظفوه يفتحون حقائب صغيرة لقائد الطائرة ورجاله لايعقل ان تتسع لغير البسة النوم وأدوات الحلاقة . . . ولم يكن معنا من ذلك غير ما كان مع هيأة قيادة الطائرة ، ثم سئلنا عن العملة الاجنبية التي نحملها وسجلت على الجواز .

المهم ان كل هذا كان يجري بـلانظام ، بل بـلا اثر للنظام ، وبدون تهذيب او رقة في السؤال والجواب ، اما الاصوات والحركات فقدر شأنها ولاحرج عليك في التقدير . الفرنسي في بلاده لايختلف عن الفرنسي الذي كنا نعرفه في بلادنا من حيث الطيش والرعونة وخشونة الاسلوب . ثمانية عشر شخصاً ينزلون الارض الفرنسية مرغمين بسبب رداءة الاحوال الجوية ليوم أو يومين لايعقل أن يبقوا ساعة ونصف ساعة في هذه الدوائر لاجل انجاز معاملاتهم . ولقد سألنا عن موظف دائرة البرق لنبرق أننا في مرسيلية ، فلم نجده في مكانه ، وانتظرنا الى آخر الشوط فلم يعد الى حيث يجب ان يكون ، فغادرنا الدائرة الى مركز شركة B.O.A.C وتناولنا طعام العشاء .

كنا نتوقع ان نقضي الليلة في مرسيلية ولكنا بعد مسير نصف ساعة في طريق سيء التعبيد ، تكتنفه ابنية ريفية مبعثرة كابنية القرى في بلادنا ، وصلنا الى فندق (روارونيه) Roy René في مدينة اكس آن بروفانس ؛ كل شيء في هذا الفندق عادي مع أنه من فنادق الدرجة الاولى في المدينة ، بل أن مانجده من فقدان النظام وارتفاع الاصوات هو الذي يجعل كل شيء عاديا في نظرنا بعد ان الفنا هذا التهذيب العالي في انحاء بريطانية العظمى مدة اربعين يوما . والغريب ان الفرنسيات العاملات في مطعم شركة الطيران البريطانية في مطار مارينيان كن من رقة الحاشية ودقة النظام بحيث اختلط علينا امرهن ، حتى سألنا احداهن عن جنسية العاملات هنا فقالت انهن افرنسيات !

مدينة اكس آن بروفانس لايتجاوز عدد سكانها اربعين الفاً ، وهي واقعة في مرتفعات تبعد عن المطار الواقع على الشاطئ نحو عشرين كيلو متراً ، وبينها وبين مرسيليا ثلاثون كيلو متراً ، ثم بينها وبين طولون ، المرفأ الفرنسي الحربي الكبير على المتوسط نحو ثمانين كيلو متراً ، وهي ملتقى الرواد والسائحين من الاوربيين والامريكيين في الصيف والشتاء . ومع هذا لم نجد في ابنيتها وشوارعها مايختلف قيد شعرة عن ابنيتنا وشوارعنا ؛ أما الريف والمزارع الواقعة في الطريق الى اكس ، فهي تشبه بما فيها من منازل واشجار المزارع والقرى في بلادنا . ولقد لاحظنا هذا الشبه ساعة حلقنا فوق الاراضي الفرنسية في الذهاب الى بريطانية العظمى وفي العودة منها ، ولكن العلو الشاهق أو همنا اننا نخطئ الظن في الحكم بوجود الشبه .

قضينا السهرة في صالة كازينو ويسمح فيه بالعاب القمار ، فاصطدمنا باول افرنجي يطالبنا بقائمة حساب قدره الف وثمانمائة فرنك ، ثم يعتذر عن الخطأ بعد اعتراضنا ويأخذ الفاً واربعمائة فرنك ثم يظهر لنا ان الحساب مغلوط فيعيد مائتي فرنك مع الاعتذار ! .

سهرة في مرسيليا

عدنا الى الفندق نسأل رائد المشرب عن العملة ، فقال انا أبدل لكم منها ماتشاءون : الجنيه الانكليزي بستمائة فرنك وسعره الرسمي في المصارف ٤٧٥ ، قلنا ولكن العملة التي نحملها مصرح عنها ، فقال : يجب ان يكون الانسان مصابا بمس من الجنون حتى يصرح عما يحمله من المال ، ان الناس جميعاً هنا يعملون في السوق السوداء ؛ كل شيء موجود ، مع ان اشياء كثيرة مقننة . اتريد سجاير ؟ مائتان ثمن العلبة الواحدة ، انهم يعطون الشخص الواحد ستين سيكارة في الشهر ، كيف يمكن الاكتفاء بها ؟

واجبنا ان لانضيع علينا فرصة زيارة مرسيلية ، ونحن مسافرون غداً فيما نرجح، فسألنا رائد المشرب ان يدعو لنا سيارة تاكسي تأخذنا الى مرسيلية وتعود بنا ، وكانت السيارة بعد هنيهة على باب الفندق ، فركبنا الى مدينة المليون نسمة ، الى مرفأ فرنسة التجاري الكبير على المتوسط ، الى المدينة الثانية بعد باريز ، وبلغنا مدخلها بعد نصف ساعة ، وسرنا في شوارع طويلة المدى ، وفي شوارع متسعة الجوانب ، وفي ساحة « الكانبيير » الشهيرة في مرسيلية ، ودخلنا الكثير من المقاهي واماكن السهرة والموسيقى، فلم نر غير التبذل طابعاً لكل هذه الاماكن ولكل هذا العبث . ومن المؤكد ان في باريز مايختلف عما في مرسيلية ، ولكن الطراز لايختلف في جوهره وان اختلف في بعض مظاهره .

كانوا في الساعة الثالثة يخرجون من ملهى « باريز — مونمارتر » فقصدنا الى « نادي السبعة » : انوار لاتسمى خافتة ولاهي قوية ، وموسيقى تتألف من بيانو وقطعة اخرى ، ومونولوجيست سمج يصيح باعلى صوته ويأتي بحركات تثير الهزؤ ولا تثير الاعجاب . كنا ستة ، اربعة من الوفد واثنين من قواد الطائرة الانكليزية ، وجلسنا اكثر من نصف ساعة نتطلع الى وجوه السيدات والشباب ، والى التبذل كيف يباشرونه علناً في هذه الاضواء ، ثم نشهد نوعا من الناس يرتادون هذه المقاهي يسمونهم « زعران مرسيلية » اين منهم اية طبقة من الناس في أي بلد من بلادنا ! ثم خرجنا وقد امتلأت النفوس منا عجباً بما رأيناه ، وعدنا من هذه الشوارع وليس فيها الا مايدهش القادم من بريطانية العظمى بعظم الفرق بين البلدين .

عدنا الى مرسيلية في اليوم التالي عندما ابلغنا ان العواصف اقتربت من سردينية فلا سبيل الى السفر قبل نهار غد ، وطفنا ثلاث ساعات في شوارعها نروح ونغدو ونصعد ونهبط وندور حول الكورنيش ونتسلق الهضاب والمرتفعات .

ومرسيلية على سعتها لاتتميز بالعمران ، ففي اهم شوارعها جدران كحائط ثكنة المدفعية التي هدمت مؤخرا في شارع النصر بدمشق ، وبيوت تشبه في مداخلها بيوت

المدن القديمة عندنا ، أما الناس فهم ناس من طينة غير طينة البريطانيين، يزحمون بعضهم بعضاً في الشوارع ، ويصيحون حيث لاحاجة الى الصياح ، ويخشون شيئاً اسمه السرقة والاجرام فلا يحمل انسان في جيبه الا ما يحتاج اليه للنفقة الضرورية ، ففي مرسيلية يسطو (الزعران) على من يقدرون انه يحمل الفي فرنك مثلا ، فيقتلونه عند الاقتضاء لاستخلاص ماله . لقد دعانا تاجر لبناني مقيم في مرسيلية لتناول الغداء ، وقبل ان يذهب بنا الى الفندق ، ذهب بنا الى المصرف فتناول من حسابه ما يكفي ثمن الغذاء .

وليس هؤلاء القتلة المجرمون السارقون نمطاً واحدا من الناس ، فقد يكون احدهم حسن الهندام الى ابعد حد ، وقد يكون بعضهم ممن يرتدون القميص السبور ، ولكن طابع الاجرام يقرأ على ملامحهم جميعاً .

والفرنسيون – الفرنسيون الذين رأيناهم في الجنوب – يكرهون الامانة ، ويضيقون ذرعا بالنظام ، ويتعشقون الفوضى ، وقد الفوا أساليب الاحتيال واللف والدوران ؛ حملنا سائق تاكسي الى موقع شاهق في مرسيلية فيه تمثال العذراء يسمونه Notre dame de la garde موقع يطل على المدينة والمرفأ ويعتبر من اجمل المواقع هناك ، وشهدنا على باب كنيسة نوتردام ميزاناً يزنك متى وضعت فيه فرنكا واحدا ، وصعد احدنا بعد ان وضع الفرنك ، ولما هم بالنزول قال له سائق التاكسي : انتظر قليلا ، انكم تستطيعون ان تستعملوا هذا الفرنك لتعرفوا وزنكم جميعاً ، ووضع رجله على صفحة الميزان ، وجعل يساعدنا واحدا واحدا حتى انتهت العملية بفرنك ، والسائق لم يستفد شيئاً ولكنه قام بواجبه في بث روح الاذي المتأصلة في نفسه ، ومنع عن الكنيسة خمسة فرنكات لوجه الشيطان .

هذه هي اخلاق الشعب الفرنسي وجدتها مجسمة في مجموعة من التصرفات المماثلة، وقد تكتفي بساعتين فضلا عن يومين للتعرف الى طابع الناس متى كنت تحسن الرؤية وتتقن فن الاستماع والملاحظة .

المرحلة الاخيرة من مرسيليا الى بيروت

بيروت — في ٧ شباط سنة ١٩٤٧

تأهبنا يوم أمس للسفر من اكس ، وكان الجو صافياً جميلا ، والشمس مشرقة على هذا المصيف اشراقها في كل بلد على ساحل المتوسط ، اعددنا العدة لمغادرة فندق الملك رونيه في السادسة والنصف صباحاً ، فمررنا مع الفجر في الطريق التي قطعناها في الليل يوم قدمنا اكس ، وستعنا النظر بالمزارع الجميلة جمال الطبيعة من غير ان تمتد يد الانسان اليها بكثير من العناية أو قليل .

وصلنا مطار مارينيان على ساحل البحر وقصدنا دوائر الجمرك والجوازات والقطع ، فكانت الاجراءات سهلة هذه المرة ، وذهبنا الى مقصف شركة الطيران نتناول الشاي وننتظر اشارة الرحيل ؛ كان يلتقي في هذا المقصف ركاب طائرات الشركة البريطانية ، يدخلون اليه ويخرجون منه عند اشارة المذيع . وفي الساعة الثامنة الا ربعاً صدرت الينا التعليمات بركوب الطائرة ، وفي الثانية تماما كانت طائرتنا A.C.A.D محلقة في الجو .

ثلاث ساعات ونصف الساعة ثم وصلنا الى مالطة ، وقد حلقنا فوق الجزيرة هذه المرة تحليقاً كاملا ، وشهدنا المدن في اطرافها والمزارع في مرتفعاتها ، ثم طفنا حول العاصمة لافاليت وابنيتها الجميلة وشوارعها الواسعة وهبطنا أرض المطار .

في الثانية عشرة والربع حلقنا ثانية ، وفي الرابعة الاقليلا هبطنا مطار العضم الى الشرق من طبرق . هو مطار جديد بكل ما فيه ، أنشأه سلاح الطيران البريطاني وزوده بكل ما يلزم المطارات الحديثة ، وقد شهدنا قبل الوصول اليه على الارض الافريقية كميات وافرة من بقايا معارك الحرب من المصفحات والدبابات والمدافع والطائرات

التي حطامها فوق الرمال لتظل سنين طويلة أثرا من آثار تلك الحرب الطاحنة، وشاهد على قسوة القتال الذي نشب في هذه الربوع .

تناولنا الشاي في مطار العضم ، وركبنا الطائرة من جديد في الرابعة والربع ، وفي السابعة والنصف هبطت الدا كوتا باسم الله مجريها ومرساها في مطار اللد ! كانت الرحلة شاقة وخطرة ، وكان شعور الوجل يساور جميع الركاب من غير ان يفضي أحدهم الى الآخر بدخيلة نفسه ، والدليل على هذا الخوف والاضطراب ما كان ملحوظا من صمت عميق في الطائرة ومن تنبه وتوفز وتطلع دائم الى وجوه قواد الطائرة في دخولهم وخروجهم من مركز القيادة .

واقد قضينا ليلة ليلاء في يافا ، وركبنا الى بيروت من جديد في الساعة العاشرة والنصف لنهبط في مطار بيروت في الحادية عشرة والنصف بين جمهور كريم من الاخوان ، وننفض عنا الغبار الذي لازمنا ، غبار الخطر في رحلة طويلة وظرف شديد .

معرض « تيت »

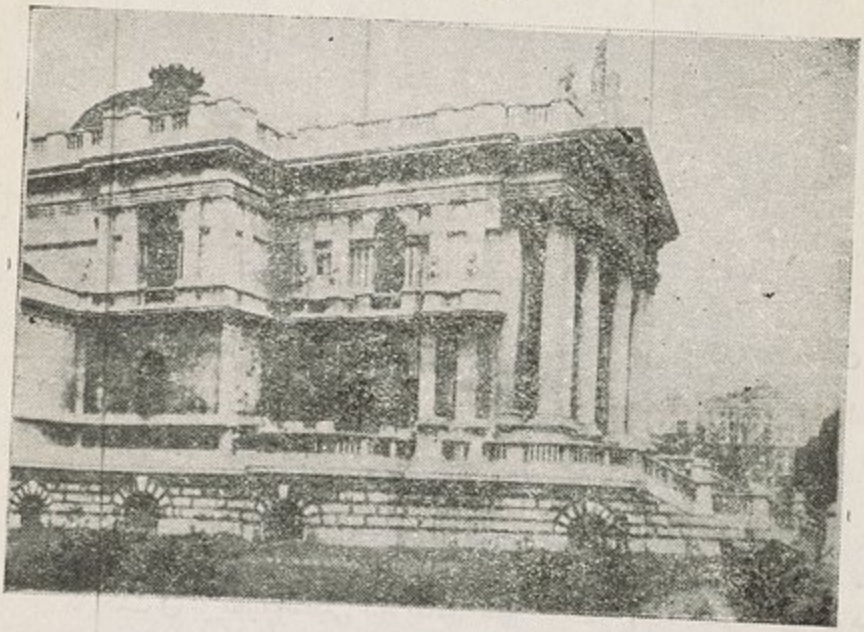

يمثل هذا الرسم مدخل احد المتاحف البريطانية الهامة ، ويعرف باسم « معرض تيت » ، وهو اسم مؤسسه ، وتعرض فيه التحف الفنية البريطانية التي ترقى الى القرن الثامن عشر ، وبعض التحف الفنية لاجنبية المعاصرة ؛ ومما يذكر ان هذا المتحف قد اخلي أثناء الحرب اولكنه على الرغم من ذلك ازداد غنى بما اقتناه من التحف الجديدة .

الشعب البريطاني

حديث اذيع من محطة اذاعة دمشق
مساء يوم السبت في ١٧ ايار ١٩٤٧

أيها المستمعون الكرام

لما كنت في بريطانيا العظمى منذ بضعة اشهر كتبت كثيراً ونشرت في جريدة «الانشاء» ما كتبته من المباحث المفيدة عن بريطانية ، ثم جمعت هذه المباحث في كتاب صدر مؤخراً اسميته «المملكة المتحدة» .

ولكن مادة الحديث عن بريطانيا العظمى لاتنضب ، ومعين البحث لايجف مهما يطل أمده ، وفي نفسي بعد اربعة اشهر من عودتي من تلك البلاد العظيمة اشياء لم افصح عنها ، وفي خيالي صور يحلولي ان ادونها كلما عرضت لي فرصة سانحة ، وفي ذاكرتي مما حفظته هذه الذاكرة احاديث يبلى الزمان وهي لاتبرح جديدة .

واني ايها المستمعون لاجد في هذا الحديث اليكم مجال القول ذا سعة واجد سبيل الاختيار ممهداً أمامي ، فأرجح ان اذيع عليكم شيئاً لم يتسن لي قوله من قبل عن هذا الشعب البريطاني الذي يحمل في ذاته سر عظمة بريطانية وجلال موقعها في العالم في العصور المتعاقبة .

لقد بلغ الشعب البريطاني ذروة النضج ، مافي ذلك ريب ، فأصبح يفهم مايعنيه

حكامه من تدابير الحكم وشؤونه ، كما اصبح حكامه على علم تام بالمقاصد التي ينبغي ان تدركها الدولة من تدابيرهم ، وعلى معرفة دقيقة بما يضمره الشعب في نفسه من رغبة في أن يوفق سلوكه مع هذه المقاصد المرتجاة .

وقف وزير التجارة السر ستافورد كريبس في مدينة برادفورد يشرح لجمهور من العمال واصحاب العمل خطوط السياسة الاقتصادية التي تقوم على اساس التقنين والحرمان فلم يجد عند جمهور الشعب حرجا في الانقياد لهذه السياسة الصعبة ، ولم يجد عنده روحا طاغية من التبرم ورغبة في الانفلات من قيود التقنين .

وليس هذا فقط ، بل ان الشعب بمجموعه يبدي من الضيق والتبرم بهذه السياسة قدراً ضئيلا لايذكر ، فلا الظفر في نشوته ، ولا النصر فيما يتركه في النفوس من أثر الاعتداد ، ولا القوة في جبروتها وطغيانها ، لتحول دون تحمل مرارة الحياة وشظف العيش عند هذه الملايين التي نعمت بالنعومة والفت الرخاء وسخرت ثروة الدنيا آجالا طويلة في سبيل عيشها الناعم الندي .

هذا الشعب الجبار يمنع نظام التقنين عنه الخبز فيمتنع عنه ، ولقد قال لي المستر اوستن بوزويل وزير بريطانية في لبنان ، في مأدبة غداء كنت فيها مجاورا له في لندن ، انه يتألم كلما جاس الى مائدة الطعام ولم يجد قطعة الخبز على المائدة ، ومع ذلك تجده منقاداً الى النظام مع هذا القليل من الالم والمرارة .

وصدقوني ايها المستمعون ان الشعب عندنا ، يفتن في اساليب المخالفة وفي طرقها لو قيل له ان يمتنع عن اكل التفاح في فصل الشتاء مثلاً .. ومن الملحوظ ان في مقدور البريطاني ان يجد من الطعام فوق حاجته لو سعى الى تخطي حدود النظام ، ولكنه يضن بشرفه ان يفعل ، ويضن بفهمه لحاجات الدولة أن يفسد خططها ، ويتخطى تدابيرها ، ويعبث بنظامها ، وهذا منتهى ماتصل اليه الشعوب من النضج والكمال .

وقد يختلف شأن البريطانيين في هذا عن غيرهم ، وقد تكون عظمة الدولة وقوة بأسها قليلة الاثر في خلق هذه الاتجاهات في الشعب . ومن آثار هذا النضج وهذا الكمال أن مسألة الانقياد الى النظام تطورت في نفوس البريطانيين حتى اصبحت غريزة

تعدت الآدميين منهم الى غير الآدميين ، ولقد شهدت في لندن كلباً يقف في الصف امام بقال ينتظر دوره ليأخذ حاجة بيت معلمه من الخضار ، ثم ينطلق عدواً على الرصيف بعد أخذ حاجته ، ثم يجتاز الشارع الى الرصيف الآخر في المكان الخاص بالمارة عند اشارة مرورهم ، وهذا يعني أن النظام أصبح غريزة من الغرائز لاسبيل الى مخالفتها. وشهد معالي الامير عادل ارسلان في لندن كلباً يقف في الصف ينتظر دوره لابتياع جريدة صاحبه فيضع البنس في مكانه ويتناول الجريدة من مكانها ، وينطلق مسرعاً الى البيت .

هذا النظام فعل في بريطانية الاعاجيب ، وقاد الشعب الى حيث يبتغي من علو الكعب ورفعة الشأن ، ووفر مجهوداً ضخماً كان ينبغي ان يبذل جزافا لضبط الامور وربطها ، فحوله الى حيث يجدي ويثمر ثمراً طيباً .

ومن اولى حسنات النظام في بريطانية أن الشعب يقبل عليه من ذات نفسه مطمئنا مرتاحا جزلا طروباً ، ينقاد اليه كبيرهم وصغيرهم ، وحفظ الله الملك انه اول بريطاني يأكل ويشرب ويلبس كما يفعل عامة الشعب .

واذا عدونا هذه الناحية من خلق الشعب البريطاني ، وهي اذعانه للنظام ، الى ناحية نفسية صميمية اخرى ، وجدنا هذا الشعب قوي الايمان بالله ، كثير الخشوع عند ذكر الله ، وقلما ترد كلمة الجلالة على السنة البريطانيين بغير المناسبات الخطيرة .

هذه الظاهرة لايشعر بها عابر السبيل ، بل يعرفها اولئك الذين خبروا البريطانيين خبرة صحيحة ، وعاشوا معهم حقبة من الزمن . وقد اكد لي اكثر من واحد من العرب القاطنين في بلاد الانكليز ، أن ايمان هؤلاء الانكليز بالله يكاد يبلغ الحد الذي لايصدقه البعيدون عنهم .

ومن نتائج هذا الايمان بالله ، وهذا الاحجام عن ترديد ذكره في غير المناسبات الفاصلة ، ايمانهم بالمثل العليا ، واعتدادهم بالفضائل ، وصدقهم في القول ، وامانتهم في العمل ، واستقامتهم في المعاملة .

ويعتقد البريطانيون اعتقاداً لايخامره اي شك او تردد انهم شعب مختار ، وان عليهم ان يطبقوا في العالم المثل العليا التي يدينون بها ، ويسعى المؤمنون بهذه العقيدة

منهم الى انفاذ مايعتقدون انه واجب عليهم بما يستطيعونه من الطرق .

على أن السياسة حيناً والمصلحة حيناً آخر ، والاعتبارات الواقعية احيانا ، تحول دون القواعد المثالية ، وتقف حائلا بينهم وبين مايبتغون من نشر الحرية والمساواة والفضائل الانسانية ، فيظهر عليهم هذا النوع من المخاتلة واخفاء الحقائق .

واذا قال قائل أن الخبث صفة تتميز بها السياسة البريطانية ، فان هذا القول هو الدليل على أنهم حين يغلبون على امرهم في التماس المثل العليا يلجأون الى طريقة المداورة لاخفاء مايخفقون في ادراكه .

ومن صفات البريطانيين التماساً المثل العليا التي لايتحولون عنها ، الصراحة والوضوح في اعلان الحقيقة في اكثر الاحيان .

لقد كان العالم يقف مشدوهاً امام اقوال المستر تشرشل في مجلس العموم في ابان الحرب الماضية ، امام الحقائق الاليمة والوقائع الصادعة التي كان يواجه بها الشعب البريطاني ، كلما حلت بالجيوش البريطانية نكبة من نكبات السلاح ، وكان الناس يتساءلون كيف يتلقى الشعب البريطاني هذه الصدمات ، وماهو رد الفعل الذي ينتج عن اعلانها على الملأ ، ولكن تشرشل كان يرفق بهذه الحوادث عند اعلانها ، اعلان عزيمة بريطانية القاطعة على كسب الحرب ، وايمانها بالظفر بعد مرحلة تنتهي في ثلاث سنين ، او اربع سنين ، او خمس سنين ، فتزيد هذه الخطة المستلهمة من الواقع في مضاء الشعب ، وتستحث خطاه نحو الظفر .

وما كانت هذه الحقائق تنتج غير الخذلان والتردي ، لو اعلنت لغير الشعب البريطاني ، وما كان يجدى عند الكثير من المحاربين غير التنويه بالظفر ولو كان كاذباً ، والتلويح بالنصر القريب ، ولو كان بعيد المنال .

واننا نحن نشيد بمزايا الشعب البريطاني وصفاته ، وكفاياته ومؤهلاته ، ونذكر انه معتقد بالمثل العليا ومعتدبها وعامل على توجيه العالم نحو القواعد المثالية ، نرجو رجاءً حاراً ان يعلن هذا الشعب مايضمره في طيات نفسه من اعتقاد بالحق ، ويوجه هذا الاعتقاد الحق وجهته المثالية ، في قضية مثالية هي قضية فلسطين ، قضية البلد المقدس الذي

يعدو عليه شعب يدعي انه الشعب المختار ، وقوامه شذاذ جمعتهم آفاق الدنيا ، ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ، ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون .

ايها المستمعون الكرام .

هذا حديث اسوقه الى السوريين ، رجاء ان يتأسوا بالشعب الذي ربح معارك الحرب والسلم بمتانة الاخلاق ، وصلابة العقيدة ، ونصوع المثل العليا .ومن اجدر من العرب بالتأسي بالقواعد المثالية والاخلاق .

كلمة الختام

كان علي أن أتحدث عن شؤون أخري يجد الزائر الغريب فيها جدة وطرافة ، وكان علي أن أنقل الى القراء كثيراً من الانطباعات عن حال الرجل البريطاني وعن حال المرأة البريطانية ، ففي الحديث عن المرأة وأوضاعها الجديدة بعد الحرب متعة وفائدة . وكان في نيتي أن أبحث عن الحرية كيف يفهمها الانكليز ويمارسونها عملياً في الاجتماعات والخطب والتوجيه ، فحديقة « هايد بارك » في لندن في يومي السبت والاحد ملتقى الشعب يتداول الناس فيها شؤونهم ، ويقولون فيها مايحلو لهم بثه للجماهير المزدحمة للمناقشة والاستماع .

المستر كيرك باتريك

المستر هاوز

ولكن كتاب رحلة كهذا يجب أن يكون صغير الحجم قليل عدد الصفحات ، وقد أوشكت صفحاته أن تبلغ المائتين ، وليست رحلة شهر الى بريطانية العظمى لتشبه رحلة ابن بطوطة الى الصين حتى تكتب عنها الاسفار الطويلة !

واجدني وقد اوشكت ان اختم البحث ، مسوقاً الى كلمة شكر اوجهها الى المكتب الرئيسي لدائرة نشر المعلومات في لندن C. O. I برئاسة الجنرال بولوك الذي وجه الينا دعوته لهـذه الزيارة ، ووفر لنا في البرنامج الضخم الذي اعده كل ماينبغي لنا من وسائل الاطلاع ، وعني بزيارتنا عناية قصوى حتى ادركنا من هذه الزيارة اعظم قدر من الفائدة يمكن ان يدركه زائر غريب .

وقد كان لمكتب نشر المعلومات في بيروت الذي يرأسه المستر هاوز ، ولمكتب نشر المعلومات في دمشق الذي يرأسه المستر كيرك باتريك ، ولمعاوني المديرين في البلدين ، أثر بارز في اعداد برامج الرحلة ، فلهم جميعـا جزيل الشكر وعظيم الامتنان .

فهرس الكتاب

الصفحة	
٣	اهداء الكتاب .
٥	مقدمة الطبعة الثانية
٧	صور ومشاهد .
٩	يومان في القاهرة .
١٣	من القاهرة الى لندن .
١٨	معرض بريطانية قادرة على صنع ذلك
٢٢	برج لندن .
٢٦	نظام التقنين .
٣٢	قصر هامبتون التاريخي .
٣٨	محافظة لندن .
٥١	مشاكل العمل والعمال .
٥٩	الصحافة في بريطانية .
٦٥	جولة في قصر وندسور .
٧٧	مصنع برسيفال للطائرات .

الصفحة	
٨٠	في مراقي اسكتلندة .
٩٢	غلاسكو المدينة الثانية في بريطانية .
١٠٠	الجالية السورية في مانشستر .
١٠٤	في معامل مانشستر .
١١٢	قضية فلسطين في مانشستر .
١١٧	في برادفورد مدينة النسيج .
١٢١	الديمقراطية الصحيحة .
١٢٦	في مدينة برمنغهام .
١٣٠	معمل روفر ومدينة كوفنتري .
١٣٥	في جامعة اوكسفورد .
١٤١	البرلمان البريطاني .
١٦٠	الجمعية الانكلو-عربية .
١٦٦	يومان في فرنسة .
١٧٧	الشعب البريطاني .
١٨١	كلمة الختام .

انتهى طبع هذه الطبعة الثانية

من كتاب « المملكة المتحدة » في ٢٢ حزيران ١٩٤٧

LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY

Princeton University Library
32101 072538091